رسالة رومية



آية آية

ناشد حنا

رسالة رومية

مفصلة آية آية

« أما البار فبالإيمان يحيا » (رو ١ : ١٧)

« متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح » (رو ٣ : ٢٤)

يطلب من مكتبة كنيسة الاخوة ٣ شارع آنجه هانم
شبرا مصر.

ناشد حنا

تقديم الكتاب

يسعدنى جداً أن أقدم هذا الكتاب للقراء الأعزاء بكلمة قيمة أعتز بها كل الاعتزاز من خادم الرب الشيخ الموقر متى بهنام ، الذى تفضل وراجع مسوداته قبل طبعه .

كما يسرنى جداً أن أفوز بكلمة تقديم من الأخ الفاضل فارس فهمى ، الذى له فى ميدان عمل الرب خدمات كثيرة وإن تكن مختفية . وهذه الكلمة تتضمن جولة سريعة ، ولكنها وافية ، فى رحاب هذه الرسالة العظيمة . وهى كلمة شيقة جذابة كفيلة بفتح شهية القارئ للإقبال بشغف على دراسة هذه الرسالة الممتعة .

ولا يفوتنى أن أقرر بصدق وإخلاص ، كما قررت فى تقديم « سفر الرؤيا » بأنى استقيت معظم أفكار وتأملات هذا الكتاب من عديد من أوثق المراجع الصحيحة لكتاب أفاضل ذوى مواهب جبارة ممتازة هم بحق عطايا المسيح لكنيسته .

وإنى مدين الدين كله للرب الذى بنعمته ومعونته وتوفيقه خرج هذا الكتاب . كما إنى أشكر من كل قلبى خدام الرب الأفاضل الذين تكرموا بمراجعته . والرب لا ينسى تعب كل من أسهم فى هذه الخدمة بأى قدر ، وبأية كيفية .

أقدم هذا الكتاب للقراء الأعزاء شاكراً الرب ضارعاً إليه بحرارة أن يتنازل ويستخدمه لإرشاد كثيرين إلى طريق الخلاص الواضح البسيط ،

ولإنقاذ كثيرين ممن هم فى صراع رو ٧ واقتيادهم إلى طريق النصرة فى المسيح بقوة الروح القدس ، ولإنهاض كافة المؤمنين للقيام بكل مسئولياتهم نحو الرب ، ونحو إخوتهم ، ونحو الجميع ، سيما وأن « خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا . قد تناهى الليل وتقارب النهار » (رو ١٣ : ١١ و ١٢) ؟

ناشره

القاهرة فى ١٧ أبريل سنة ١٩٧٢

كلمة

خادم الرب الشيخ الموقر متى بهنام

لقد أسعدنى الرب كثيراً بأن أقرأ أصول هذا الكتاب الثمين : « رسالة رومية مفصلة آية آية » ، وإن قلبي يفيض بالشكر الكثير للرب الذى أعان عبده وخادمه المحبوب الأخ ناشد حنا فى إخراج هذا الكتاب الذى فيه شرح واضح لكل الحقائق الإلهية الجوهرية الثمينة التى فى هذه الرسالة ، حيث فصلها تفصيلا وافياً فى يسر وسهولة ، حتى يستطيع كل قارىء أن يفهم ويستوعب غاية وقصد الروح القدس فى كل الموضوعات التى تناولتها هذه الرسالة . إن هذا الكتاب ، بكل يقين ، نافع ومفيد للجميع بدون استثناء ، ففيه يجد الإنسان الذى لم يدرك بعد طريق الله للخلاص كيف يفوز بالقبول أمام الله . كما يجد فيه المؤمن الحقيقى الوسيلة الإلهية للعتق من الخطية والتمتع بالحرية التى له فى المسيح ، ويجد الوسيلة الإلهية للعيشة فى البر والقداسة . وإنى أنصح جميع الراغبين فى معرفة الحق الإلهى أن يقبلوا على اقتناء هذا الكتاب القيم لفائدتهم الروحية .

وإذا كان قد بُذل فى إخراج الكتاب مجهود كبير فالفضل فى ذلك ، أولا وأخيراً ، للرب الذى أحسن إلينا بهذا الشرح الثمين . فلاسمه المبارك المعبود كل المجد وكل المدح . آمين ؟

متى بهنام

كلمة تقديم

بقلم الأخ الفاضل فارس فهمى

أمام بعض الأمور التى يقصر البيان عن وصفها ووصف عمق الحقيقة فيها يكون من بلاغة التعبير أن نقول كما قال فيلبس لنثنائيل « تعال وانظر » ولعل كلمة التقديم التى يراد بها تشويق القارىء إلى درس هذا الكتاب تكون على قصورها أبلغ وأفعل عندما نقول « تعال واقرأ » .

ولقد يقال إن هذه الرسالة تدرس فى كليات الحقوق والآداب فى جامعة اكسفورد ليتزود منها دارسو علم المنطق بمثال رفيع فى صناعة الكلام وصياغة الحجج . والحق أن هذا اختيار موفق من الناحية العلمية . لكن هذا المثال الرفيع ما أعطى لنا ولكافة القراء لأجل تعليمنا صناعة الكلام بل لإقناع الذهن البشرى المنتفخ بالحق الإلهى من جهة عدة قضايا أساسية وجوهرية . إنه أعطى لنا ليقرع الله الفلسفة البشرية الزائفة بمنطق يزرى بها ويضعها فى التراب والرماد ويدمغها بالفساد .

قديماً نطق موسى بعبارة ربما موسى نفسه لم يفطن إلى أبعاد مضمونها حين قال « السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا » (تث ٢٩ : ٢٩) . قالها فى ختام أحكام ووصايا الناموس . ونحن نعجب أن يقول موسى هذا عندما نتصفح هذه الرسالة ونتفرس فى جمال سرائر نعمة الله وهى تتكشف أمامنا وتتفجر نوراً مقدساً يشرق متكاملا ، فإذا بجد المعلنات الناموسية القديمة يميل إلى الغروب . هل كان يدرك موسى أن الناموس كان له مجرد « ظل » الخيرات العتيدة ؟ لقد كانت العقيدة القديمة أن هذا « الظل » هو أسمى إعلان أعطى للبشرية حتى ذلك الوقت . لكن موسى نفسه — وإن

لم يدرك ذلك — يقرر أن هناك سرائر للرب إلهنا ، وأن ما أعطى ما هو سوى المعلنات (الناموس وأحكامه) . هذه السرائر هى فى الواقع معلنات النعمة التى فاقت مجداً وكمالا عن مجد الناموس . وفى هذه الرسالة يكشف الروح القدس الستار عن قطاع كبير من هذه السرائر التى من شأنها أن تقود النفس إلى ماهو أبعد بكثير من مجد الناموس .

* * *

هذه الرسالة مثل بقية أجزاء الوحى لها جمالها الخاص . لكنها تتميز بتناولها عدة قضايا أساسية وجوهرية ظلت مستغلقة على الفكر البشرى أجيالا طويلة حتى جاء الوقت الذى سر الله فيه أن يعلن « إنجيل ابنه » وإذا بالروح القدس متكلماً فى آنية بشرية اختارها وأعـــدها وزودها بالمواهب الحسنى والفذة ، يتناولها قضية بعد أخرى فيبسط حقائقها ويفصلها . وبالدليل المقنع الدامغ . كتابياً ، وتاريخياً ، ينتهى فى كل قضية منها إلى نتيجة لا يسع القارىء إلا أن يصادق عليها .

خذ قضية « الإنسان فى الجسد » (فى الأصحاح الأول وجزء من الثانى) وكأن بولس يتمثل أمامنا جراحاً بارعاً يقودنا معه إلى حجرة المشرحة وبأنامل ماهرة يحرك مشرط الجراح فى جثة طال عهدها بفساد القبر ، لا ليعيد إليها الحياة ولكن لكى يشق عنها الأكفان ويمر بمشرطه على سائر أعضائها ليظهرها باطناً وظاهراً عارية فى حالة الهوان .

خذ أيضاً قضية « الإنسان اليهودى » الذى يتباهى على غيره نسبة ، وجنسية ، ودعوة ، وديانة ، ومواعيد ، وإذا ببرهان الروح والقوة يقنعه بأن امتيازاته لم تجبر كسره بل أثبتت عليه وزره ، وبالتالى زاغ الجميع وفسدوا .

ثم قضية « التبرير » وكيف يتبرر هذا الإنسان أمام الله ، وقد ملكت عليه الخطية فى الموت ؟ هل يكلف مثل هذا بعمل يتبرر به وقد أظهر ناموس

الأعمال عجزه التام ؟ هنا يعلن الروح القدس « بر الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون » (الأصحاح الثالث) . ويتوسع الروح القدس فى مناقشة هذه القضية فى الأصحاح الرابع بصورة جذابة وسهلة ، مع تفصيل قضية الفداء على أساس الدم المسفوك ووفاء مطاليب عدل الله .

إلى جانب هذه القضايا الروحية الكبيرة تناول الوحى مقابلة روحية بين سيادة الخطية وسيادة النعمة فى الأصحاح الخامس ، ثم طريق الخلاص والعتق من سلطان الخطية عملياً بشرح حقيقة موت المؤمن مع المسيح وقيامته معه فى الأصحاح السادس . وقبل أن يصل الوحى بالمؤمن إلى حياة النصرة فى جو الاستمتاع بمحبة الله (ص ٨) يشرح لهذا المؤمن قضية من أهم وأخطر قضايا الاختبار المسيحى فى الأصحاح السابع وخلاصتها أن المؤمن الذى يضع نفسه تحت التزام بتنفيذ أحكام الناموس باعتباره مجموعة وصايا مقدسة وصالحة لكى يحصل من وراء اجتهاده فى ذلك على سلام مع الله أو على تحرر من حركات وميول الطبيعة الفاسدة الساكنة فيه — مثل هذا المؤمن ، يختبر الفشل فى مسلكه ومرارة الهزيمة ، مثله كمثل من يحاول أن يمدد نفسه إلى قدام ولكن بخطواته يرجع إلى الوراء .

هذه الرسالة العظيمة الفائدة الروحية تتناول فى أصحاحاتها الأخيرة قسما نبوياً تعليمياً ووعظياً لاغنى لدارس الكتاب المقدس عن هضمه والاجترار عليه

أخيراً نقول إنه إذا كان هذا الشرح قد استنفد من الجهد فى إعداده وإخراجه خبزاً للآكلين وطعاماً للجائعين ، الشىء الكثير جداً ، فإن ما نرجوه من خير ونفع لجمهور المؤمنين ، وما نتوقعه من بركة تشمل أيضاً غيرهم من البعيدين ، هو خير مايعوض الشارح عن تعبه وما بذل فى سبيل ذلك من صحته ووقته . هذا رجاء ودعاء نرفعه إلى الرب الذى لاينسى تعب المحبة ؟

رسالة رومية

مفصلة آية آية

مقدمة

رومية هى عاصمة الإمبراطورية العالمية الرابعة فى أزمنة الأمم (لو٢١ : ٢٤) وأزمنة الأمم هى الأزمنة التى فيها سلم الله حكم العالم وسيادته إلى الأمم ، وقبل ذلك كان زمام السلطة على العالم فى يد شعبه القديم . وكان عرش داود الذى فى أورشليم هو المعترف به من الله . كما كان الملك الذى من سبط يهوذا ومن سلالة داود هو الملك المعين والممسوح من الله . لكن قد حمى غضب الله على الشعب القديم بسبب شرورهم وابتعاد قلوبهم عنه ، فنزع عرشه من وسطهم وأسلمهم للسبى « وسلم للسبى عزه وجلاله ليد العدو » (مز ٧٨ : ٦١) ومنذ ذلك الوقت بدأت « أزمنة الأمم » .

وقد بدأت هذه الأزمنة بمملكة الكادانيين ، ثم تلتها مملكة مادى وفارس ثم أعقبتها مملكة اليونان ، ثم مملكة الرومان (دا ٢) أو الإمبراطورية الرومانية التى فى عهدها صُلب المسيح رب المجد ، وتستمر أزمنة الأمم فى سيادتها ، كما تبقى أورشليم مدوسة من الأمم حتى يظهر الرب من السماء بالقوة والمجد ليملك على الأرض (دا ٢ : ٣٥) وإذ تنتهى سيادة الأمم بإمبراطورياتها الأربع يستلم الرب يسوع المسيح زمام السيادة على كل الأرض لمدة ألف سنة .

كانت رومية عاصمة الأمم ، وكان الرسول بولس « رسول الأمم » . فلا عجب أن يكتب « رسول الأمم » لعاصمة الأمم فى « أزمنة الأمم » .

ويقول الرسول عن نفسه فى رسالة غلاطية « إنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان . فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضاً للأمم » (غلا ٢ : ٧ ، ٨) . وعندما دعاه الرب فى الطريق إلى دمشق قال له « أنا أنقذك من الأمم الذين أرسلك إليهم » . وفى الأصحاح الأول من هذه الرسالة يقول الرسول « الذى به لأجل اسمه قبلنا نعمـــة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم » (ع ٥) وفى ع ١٣ يقول « ليكون لى ثمر فيكم أيضاً كما فى سائر الأمم » . وفى ص ١١ : ١٣ نقرأ « بما أنى أنا رسول الأمم أمجد خدمتى » . وفى ص ١٥ : ١٦ « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم » . وفى ع ١٨ من نفس الأصحاح « لأنى لا أجسر أن أتكلم عن شىء مما لم يفعله المسيح بواسطتى لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل » . ثم يقول الرسول عن نفسه إنه قد جعل معلماً الأمم « الذى جعلت أنا له كارزاً ورسولا ومعلماً الأمم » (٢ تى ١ : ١١) .

والكنيسة فى رومية لم تتأسس بواسطة بطرس أو بولس كما يقول البعض ، لأنه ليس لهذا أساس فى كلمة الله . فإننا لا نقرأ أن أحد الرسل ذهب إلى رومية قبل كتابة هذه الرسالة . كما أن الرسول بولس عندما كتب هذه الرسالة إلى المؤمنين هناك لم يكن قد رآهم بعد ، بل كان يشتاق أن يراهم ولكن الكنيسة هناك تأسست بواسطة مؤمنين كانوا فى يوم الخمسين فى أورشليم (أع ٢ : ٥) ثم سافروا إلى رومية حاملين بشارة الإنجيل . وكان بعض المؤمنين أيضاً من آسيا الصغرى يذهبون إلى رومية بحكم أعمالهم وتجارتهم نظراً لأهمية المدينة كعاصمة الأمبراطورية، وكان الرسول يعرف الكثيرين منهم إذ كان قد تعرف بهم فى آسيا أو فى مكدونية قبل أن ذهبوا وسكنوا فى رومية . وبذلك تكون الكنيسة هناك قد تكونت بعمل الروح القدس بواسطة هؤلاء المؤمنين . وقد رتبت الحكمة الإلهية أن لا يغرس أحد من الرسل الإنجيل فى هذه المدينة العظيمة ، حتى لا تستطيع أن تفاخر

بأنها كنيسة رسولية فى أصلها كأورشليم وفيلبى وكورنثوس وأفسس وتسالونيكى وغيرها . إذ من المحقق أنه لم يزرها أى رسول قبل أن كتب إليها بولس الرسول هذه الرسالة ، ثم زارها بعد ذلك . ولو كان الرسول قد زار رومية ، كما كان يشتاق إلى ذلك (ص ١ : ١١) ووضع أساس العمل هناك ، لما وجدت بين أيدينا هذه الرسالة العظيمة التى توضح الحقائق الإنجيلية الأساسية ، لأنه كان بطبيعة الحال يشرح لهم وجهاً لوجه تلك الحقائق الثمينة المتضمنة فى هذه الرسالة لبركة كل الأجيال .

وقد كتبت هذه الرسالة حوالى عام ٥٨ م ، عندما كان الرسول بولس فى كورنثوس كما هو واضح فى سفر الأعمال (ص ١٨) وسلمها لفيبى خادمة كنيسة كنخريا ، وكانت ذاهبة إلى رومية فحملتها إلى المؤمنين هناك .

ورغم أن رسالة رومية توضع من حيث الترتيب فى أول رسائل الرسول بولس إلا أنها ليست أول رسالة كتبها الرسول . بل أول رسالة كتبها هى رسالته الأولى إلى التسالونيكيين ، ولكن وضعت رسالة رومية فى مقدمة الرسائل لحكمة إلهية إذ أنها تتضمن موضوعاً عاماً رئيسياً هو « التبرير » .

وهذه الرسالة تختلف فى طبيعتها عن سائر الرسائل التى كتبها الرسول بولس إذ أنه عندما كتبها لم يكن قد رأى المؤمنين هناك بالجسد ، ولم يكن يعرف أحوالهم ككنيسة ، ولذلك لم يكتب لهم عن موضوعات خاصة كما نرى فى الرسائل الأخرى . فلقد كتب للكنيسة فى كورنثوس معالجاً أمور العبادة وممارسة المواهب الروحية ، وممارسة عشاء الرب . ومعالجاً أيضاً انقسامات وانشقاقات وأموراً أدبية كانت موجودة بينهم ، كمشكلة الرجل الذى أخذ امرأة أبيه . وعالج أيضاً أموراً تعليمية كحقيقة القيامة ، وأموراً أخرى سألوه هم عنها كالزواج والتقاضى فى المحاكم . وفى الرسالة إلى غلاطية يعالج الرسول موضوع الخلط بين الناموس والنعمة . وفى الرسالة إلى فيلبى يكتب إليهم من أجل خلاف سمع أنه قائم بينهم وبصفة خاصة بين الأختين

المحبوبتين من الرب أفودية وسنتيخى ، طالباً منهما أن تفتكرا فكراً واحداً فى الرب . وفى الرسالة إلى كنيسة كولوسى يعالج أموراً دخلت فى وسطهم من تقليد اليهود ومن فلسفة الأمم « وإنما أقول لكم هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق » (كو ٢ : ٤) « انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح » (ع ٨) وقد دخل أيضاً بين المؤمنين فى تسالونيكى معلمون قائلين إن يوم المسيح قد حضر وإن الذين رقدوا ليس لهم نصيب فى مجىء الرب الثانى . ومن ثم كتب لهم الرسول موضحاً التعليم الخاص بمجىء المسيح لأجل خاصته « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين . . . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء » (١ تس ٤ : ١٣ — ١٨) .

أما فى رسالته هذه إلى رومية فإنه يكتب لهم بنوع خاص عن موضوع هام وهو « التبرير » . والتبرير موضوع قديم كان يحير أتقياء الله فى العهد القديم ولا يجدون له حلا . ففى سفر أيوب نقرأ « فكيف يتبرر الإنسان عند الله » ؟ (أى ٩ : ٢) . وأيضاً « من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر . هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه فبالحرى مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء » (أى ١٥ : ١٤-١٦) وأيضاً « فكيف يتبرر الإنسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة هوذا نفس القمر لا يضىء والكواكب غير نقية فى عينيه . فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود » (أى ٢٥ : ٤ - ٦) . ويأتى الجواب « لأنه لن يتبرر قدامك حى » (مز ١٤٣ : ٢) .

وفى هذه الرسالة إلى رومية نجد حل هذه المشكلة التى استعصت فى العهد القديم ، إذ يعلن الرسول إنجيل المسيح الذى هو « قوة الله للخلاص لكل

من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان » (١ : ١٦ و ١٧) . ثم يتكلم الرسول عن اثبات الذنب على جميع الناس بمختلف طبقاتهم ، وبعد ذلك يستأنف الكلام عن كيفية التبرير فى الأصحاح الثالث .

فالخطية منظور إليها فى رسالة رومية كذنب يستوجب القصاص ، ويفصل الإنسان عن الله . عندما شعر آدم بذنبه اختبأ قائلا «سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت » (تك ٣ : ١٠) . ولا يمكن أن يعود الإنسان إلى علاقته مع الله إلا إذا تبرر وصار له سلام مع الله ، وهذا ما نجده فى هذه الرسالة .

والخطية هى أيضاً نجاسة تجعل الإنسان دنساً لا يصلح لأن يساكن الله القدوس . وهذا ما تعالجه رسالة العبرانيين لأن الرب قد « صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا » (عب ١ : ٣) . فالنجاسة تحتاج إلى التطهير ، ووسيلة التطهير الوحيدة هى دم الرب يسوع المسيح « دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٧)

ولكن من هم الذين أخطأوا ؟ « الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (٣ : ٢٣) .

فقبل أن يعلن الرسول بر الله بالإيمان ، يعلن حاجة جميع فئات البشر إلى هذا البر . «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم» (١ : ١٨) . فمن وقت أن سقط الإنسان وطرد من حضرة الله . أصبح له ضمير يشتكى عليه ويرشده إلى الله ، لكنه لم يستمع لصوته حتى امتلأ العالم بالشر « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم » (تك ٦ : ٥) ونلاحظ أن الرسول لا يرجع إلى شر الإنسان وفساده من بدء السقوط بل من الطوفان حين ازدرى الناس بشهادة الخليقة ، وإذ عرفوا الله لم يمجدوه بل صاروا أغبياء لدرجة أنهم

أقاموا لهم أوثاناً حتى من أحط المخلوقات « الدواب والزحافات » .

لم ينج من الطوفان سوى نوح وأفراد عائلته ولكن كانت الخطية مازالت باقية فى قلب الإنسان لم تمح كما محا الله كل كائن من على وجه الأرض . وبعد الطوفان قدم نوح ذبيحة لله وتنسم الله رائحة الرضى فى تلك الذبيحة ، ورآها أولاد نوح ، ولاشك أنهم تكلموا بها إلى أولادهم وحدثوهم عن الطوفان فكانت معرفة الله موجودة عند سلالة نوح . ومعرفة الله كانت أيضاً مدركة فى الخليقة التى تحدث بمجد الله « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر » (١ : ٢٠) ولكنهم « لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغـــبى » (ع ٢١) . واستبدل الإنسان حق الله بالكذب وعبدوا المخلوق دون الخالق (ع ٢٥) فانغمس الناس فى عبادة الأوثان بعد الطوفان ، وقاد الشيطان الإنسان الأعمى ، فى عبادة الأوثان ، إلى ارتكاب أحط الشرور باسم العبادة إذ كان الزنى جزء من العبادة الوثنية لأنه إذا أظلم الذهن أظلم أيضاً القلب . وأسلم الله الإنسان للنجاسة وأهواء الهوان لإهانة أجسادهم بين ذواتهم (ع ٢٤ — ٢٦) . هذا من ناحية الأمم.

ولكن وجد بين الأمم طبقة من الفلاسفة أمثال أفلاطون وسقراط وأرسطو وغيرهم كثيرون . وهؤلاء الفلاسفة الوثنيون استطاعوا أن يكتبوا عن مبادىء سامية للغاية يخدع بها الكثيرون حتى أنهم يشبهونها أحياناً بالموعظة على الجبل ، ولكن هل هؤلاء الفلاسفة لم ينغمسوا فى شرور الأمم ونجاساتهم ؟ يخبرنا الرسول فى هذه الرسالة أن هؤلاء الفلاسفة لم يكونوا أفضل من غيرهم إذ يقول « أفتظن هذا أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله » ؟ (رو ٢ : ٣) .

أيظن هؤلاء الفلاسفة أنهم بتقديمهم هذه المبادىء السامية يخدعون الله الذى يعرف خفاياهم « لأنك فى ما تدين غيرك تحكم على نفسك ، لأن الذى

يدين ليس له قوة على قمــع الطبيعة الفاسدة التى فى داخله بل يفعل « تلك الأمور بعينها » . ومن ثم يصل بنا الرسول إلى أن الوثنيين انغمسوا فى الشر ، والفلاسفة أيضاً انغمسوا فيه مع أنهم دانوه ووبخوه فى غيرهم .

واليهود احتاجوا أيضاً لبر الله بالرغم من أنه كان لهم امتيازات دينية تميزهم عن غيرهم ، فقد استؤمنوا على أقوال الله كما أن عندهم الناموس « هوذا أنت تسمى يهودياً وتتكل على الناموس وتفتخر بالله . وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلماً من الناموس . وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق فى الناموس » (ص ٢:١٧ — ٢٠) ولــكن هل استطاع اليهود أن يتمموا ناموس الله ؟ . لقد كسروا الناموس وصاروا بذلك أسوأ من الذين ليس عندهم الناموس ، الذين لا يعرفون مطاليب الله . لــكن مسئولية الذين لهم صورة العلم والحق فى الناموس إنما أعظم ، لأنهم بتعدى الناموس أهانوا الله : « لذلك اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم » (ص ٢ : ٢٤) .

وأخيراً يقول الرسول : « إذاً لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (ص ٣ : ٢٣) . فلا بر فى الوثنية . ولا عند الفلاسفة ، ولا لليهود الذين لديهم الناموس . الجميع تحت قصاص الله « لــكى يستد كل فم » ولا تترك فرصة لإنسان أن يثق بنفسه أو يفخر بما لديه .

وإذ يثبت الرسول بالوحى فشل الجميع وحاجتهم للتبرير ، يعلن الله بره مقدماً لجميع الذين يؤمنون بالمسيح . ففى الأصحاح الأول من الرسالة يذكر الرسول أن بر الله معلن فى الإنجيل . وفى الأصحاح الثانى وجزء من الثالث يعلن احتياج الإنسان كيفما كان : يهودياً أم أممياً إلى البر . ثم فى بقية الأصحاح الثالث يعود الرسول ليعلن مرة ثانية بر الله لــكل من يؤمن « لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح » (٣ : ٢٣ و ٢٤) . فالخطية تنزل بالجميع إلى مستوى واحد فى الحضيض ،

والنعمة تستطيع أن ترفع كل من يؤمن إلى أعلى مستوى من البر ، وفى ذلك يكون الله باراً على أساس الفداء الذى أكمله المسيح على الصليب .

وكذلك هى الحالة فى رسالة أفسس ، إذ يبين الرسول أن الأمم واليهود على السواء أموات روحياً « وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية (هذا من ناحية الأمم) الذين نحن (اليهود) أيضاً جميعاً تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً » (أف ٢ : ١ — ٣) هذه هى حالة اليهودى والأممى ولكن « الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها . ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح » (أف ٢ : ٤ و ٥) .

هذا هو الدرس الأول فى رسالة رومية فهل تعلمناه ؟ هل ، تعلمنا أننا بالطبيعة فاسدون ومذنبون ولا يوجد هناك فرق بين متعلم وجاهل ، بين يهودى وأممى ، وبين فيلسوف وعامى إذ الجميع زاغوا وفسدوا ؟ هل شعرنا بالحاجة إلى بر الله ؟ « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) فالمكتفى بذاته لا يمكن أن يحصل على بر الله لأن الشعور بالحاجة هو الذى يقود للحصول على البر كما هو معلن فى هذه الرسالة التى هى بشارة مفرحة لكل البشر الخطاة الذين انغمسوا فى الشرور المخجلة التى ترد عنها قائمة مطولة فى الأصحاح الأول .

ولكن الإنسان الذى يدرك أنه ليس له بر ليتقدم به إلى الله ، ويقبل بالإيمان بر الله بيسوع المسيح ، فإن الله يحسبه باراً ، ويكون الله باراً فى تبريره . يا لها من نعمة عجيبة ! ويا لها من بركة للخاطىء المكسور القلب الذى يدين نفسه ويلجأ إلى الله ليتبرر بالإيمان بالمسيح ! ومن ثم فالافتخار

ينتفى تماماً . هذه هى خلاصة المبادىء العظمى الموضحة فى الثلاثة الأصحاحات الأولى من هذه الرسالة .

والأصحاح الرابع يؤيد مبدأ الإيمان للتبرير معطياً مثالا لذلك فى ابرهيم قبل الناموس وقبل أن يختتن هو شخصياً . ثم يؤيد هذا المبدإ بشهادة داود أيضاً فى المزمور الثانى والثلاثين . وعلى ذلك فكل من هو ابن لإبرهيم حقيقة يجب أن يقبل كل شيء من الله على مبدأ الوعد بالنعمة لكل المؤمنين من يهود وأمم ، لأن إبرهيم وسارة لم يكونا إلا فى حالة الموت . ومن ثم كانا عاجزين عن الإسهام فى تحقيق الوعد حتى يكون النظر موجهاً إلى الله وحده القادر أن يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة . وهكذا نحن المسيحيون لا نؤمن بالرب يسوع فقط بل بمن أقام من الأموات يسوع ربنا الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا .

وفى الجزء الأول من الأصحاح الخامس نجد نتائج التبرير بالإيمان : السلام مع الله ، الدخول والإقامة فى النعمة ، رجاء المجد ، الافتخار حتى فى الضيقات ، وأخيراً الافتخار بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة .

ولكن عمل المسيح يمتد إلى ما هو أبعد من غفران الخطايا أو إظهار المحبة الالهية فى تبريرنا من الذنب ، مع أن هذا فى غاية الأهمية كنقطة ابتداء . فهناك مشكلة أخرى وهى الطبيعة الفاسدة التى فينا — ليس أعمالنا الشريرة فقط بل المصدر الذى تنبع منه هذه الأعمال — لا مسألة الذنوب الشخصية فقط بل سقوط الجنس مع رأسه . وهذا يرجع بنا بالتبعية إلى آدم ولكن شكراً لله أنه بالمقابلة مع آدم ، جاء المسيح كآدم الأخير وصار رأس الجنس الجديد . وبالمسيح (الإنسان الثانى) « تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية » . هذا هو الموضوع فى الجزء الأخير من الأصحاح الخامس ابتداء من العدد الثانى عشر .

ويبدأ الأصحاح السادس بهذا السؤال : فماذا نقول (بما أن النعمة هكذا زادت وفاضت إلى الأبد) أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ حاشا . هذا يكون فى الواقع إنكاراً للمسيحية لأن الحقيقة هى أننا متنا للخطية فكيف نعيش بعد فيها ؟ والمعمودية تشير إلى أننا متنا ودفنا حتى أننا نسلك الآن فى جدة الحياة . « وإنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية » . وهكذا يجب أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . والخطية لن تسودنا لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة .

والأصحاح السابع يتناول موضوع العتق من الناموس وذلك بموتنا له بجسد المسيح لنصير « لآخر للذى أقيم من الأموات لنثمر لله » ولكى نخدم بجدة الروح لا بعتق الحرف .

فالشخص المتجدد الذى يضع نفسه تحت الناموس يجد نفسه ضعيفاً بذاته إزاء حركات الطبيعة الفاسدة التى يميزها فى داخله والتى لا يريدها بل يبغضها ، إذ هو يسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنه يجد ناموساً آخر فى أعضائه يحارب ناموس ذهنه ، فالخطية تجد فرصة للمحاربة بواسطة الناموس وبذلك تظهر نفسها أنها خاطئة جداً وتظهر أن الإنسان هكذا شرير وفاسد حتى أنه يرتكب الشر بالرغم من نهى الله عنه بالناموس . ومن ثم يصرخ مستغيثاً « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » وهكذا يشعر أن احتياجه للمسيح لأجل التحرير ليس أقل من احتياجه إليه للغفران والتبرير .

والأصحاح الثامن يحسم هذا الموضوع إذ فيه يرينا الوحى أن الذى يبررنا هو الذى يحررنا أيضاً « لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » ويتدرج الوحى بنا فى هذا الأصحاح العظيم إلى بركات عديدة حتى ينتهى بنا إلى المجد « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعـ

ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً . والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً . والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً فماذا نقول لهذا إن كان الله معنا فمن علينا » (رو ٨ : ٢٩ — ٣١) .

وهذا الأصحاح يقسم نفسه إلى ثلاثة أقسام : الأول متابعة موضوع العتق من الخطية حتى إلى إقامة الأجساد (ع ١ — ١١) . وفيه نجد أن الروح القدس هو العامل فى الوصول إلى هذا العتق . والثانى إظهار عمل الروح القدس فى المؤمن ، ومعه ، بشخصه وبقوته (ع ١٢ — ٢٧) . والثالث أن الله لنا فى مواجهة كل الصعوبات والتجارب وكل ما يمكن أن يقوم ضدنا ع ٢٨ — ٣٩ .

والأصحاحات ٩ إلى ١١ تكوّن قسماً تدبيرياً يتبع القسم التعليمى . وفى هذا القسم نجد أفكار الله من جهة الشعب القديم والأمم فى الماضى والحاضر والمستقبل وينتهى هذا القسم بأنشودة جميلة « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ... لأن منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد آمين » (ص ١١ : ٣٣ — ٣٦) .

ومن الأصحاح الثانى عشر إلى نهاية الرسالة نجد عدة تحريضات عملية شاملة عن الحياة المسيحية فى علاقات المؤمنين المختلفة سواء مع الله أو مع بعضهم البعض أو مع الناس عموماً حتى الأعداء والمبغضين . وأيضاً من جهة الخضوع للسلطات الحكومية لأنها مرتبة من الله

ومع أن الرسالة لأهل رومية لا تتكلم عن الحق المسيحى الأسمى عن مقام الكنيسة السماوى فى المسيح كرسالتى أفسس وكولوسى إلا أنها تعطينا بشارة الإنجيل المفرحة بكيفية أعم وأشمل من غيرها ، وبأسلوب منطقى وعميق يتجلى فيه لا أسلوب بولس المثقف فقط بل حكمة الروح القدس الذى أوحى لرسول الأمم العظيم ، فقد قال عنها واحد إنها أعظم وأثمن المستندات التى أودعها الله ليد البشر . ويضع الرسول « ابن الله » كغرض الإيمان لأنه هكذا

كان يكرز الرسول منذ البداءة « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله » (أع ٩ : ٢٠) .

كما أننا نلاحظ أنه يوجد فرق بين موضوع رسائل يوحنا وهذه الرسالة . ففى رسائل يوحنا نجد المسيح باعتباره الحياة الأبدية التى كانت عند الله وأظهرت لنا بل ومنحت لنا فى الابن « وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه . من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » (١ يو ٥ : ١١ ، ١٢) أما رسالة رومية ففيها يأتى الوحى بالإنسان الخاطىء إلى الله مبرراً فى المسيح متمتعاً بكل البركات المترتبة على ذلك .

وتختم الرسالة بهذه التسبيحة الجميلة « وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان . لله الحكيم وحده بيسوع المسيح . له المجد إلى الأبد آمين » . ومع أنه يشير فى هذه الخاتمة إلى السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية إلا أن هذه الرسالة لا توضحه لنا بالتفصيل بل رسالتا أفسس وكولوسى هما المختصتان بذلك ، وتعتبر رسالتا كورنثوس كتمهيد وحلقة اتصال لإعلان هذا السر إعلاناً كاملا . فكل شىء فى محله وفى غاية المناسبة .

الأصحاح الأول

بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله (ع ١)

يذكر إسم بولس[(١)] وحده فى مستهل الرسالة بدون ذكر سيلا أو تيموثاوس أو أى أخ غيرهما لأن بولس يقدم نفسه هنا كرسول الأمم . وهكذا نجد اسم بولس وحده أيضاً فى رسالة أفسس لأن فيها يعلن الرسول الصفة السماوية والدعوة السماوية للكنيسة كجسد المسيح وعروسه ذلك الإعلان الذى اختصه به الرب .

ويفخر الرسول بكونه عبداً ليسوع المسيح بالرغم من أنه رسول عظيم قد أعطيت له أسمى الإعلانات حتى أن الله رأى من اللازم أن يعطيه شوكة فى الجسد لئلا يرتفع بفرط الإعلانات . وقد تميز بكونه عبداً مطيعاً من الوقت الذى فيه عرف المسيح كالرب إذ قال له « من أنت يا رب » وإذ عزم على أن ينفذ إرادة الرب كعبد لسيده قال له « يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ » ولا شك أن العبودية للمسيح تتضمن أسمى أنواع الحرية فهى عبودية تطوعية فيها كل الغبطة والسعادة .

والرسول لا يعتبر نفسه عبداً للرب فقط بل يقول « لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع » (٢كو٤:٥) فلا سيادة ولا رئاسة فى المسيحية إلا لشخص الرب وحده .

---

(١) بولس هو الاسم الرومانى للرسول أما اسمه العبرانى العائلى فكان « شاول » وكلمة « بولس » معناها « صغير » ولا غرابة فإنه كان يعتبر نفسه « أصغر الرسل » ١ كو ١٥ : ٩ بل « أصغر جميع القديسين » أف ٣ : ٨ ويمكن أن تعنى هذه الكلمة أيضاً « عامل » أو « مشتغل » وما أكثر ما عمل الرسول وتعب فى خدمة المسيح ، وما أوفر غلاته .

المدعو رسولا أى أنه صار رسولا « بالدعوة » كما أن القديسين هم قديسون بالدعوة (ع ٧) فليست الرسولية بالخلافة كما كان الكاهن اليهودى ، ولا بانتخاب من الجماعة كالسبعة الذين أختيروا للاهتمام بالموائد فى أورشليم ، ولا هى مركز يدعيه الإنسان لنفسه ، بل بالدعوة من الرب . وكانت العلامات المميزة للرسول الحقيقى هى : أولا أن يكون قد رأى المسيح عياناً كما يقول الرسول بولس « ألست أنا رسولا . . . أما رأيت يسوع المسيح ربنا » (١ كو ٩ : ١) . ثانياً صنع المعجزات كما يقول أيضاً « إن علامات الرسول صنعت بينكم فى كل صبر بآيات وعجائب وقوات » (٢ كو ١٢ : ١٢) ولم يوجه المسيح إليه الدعوة فى أيام جسده كما وجهها إلى الإثنى عشر ، ولكنه ظهر له وهو فى الطريق إلى دمشق ودعاه بنعمته وقال له « لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين » (أع ٢٦ : ١٦ — ١٨) وكما قال الرب لحنانيا « هذا لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل » (أع ٩ : ١٥) . وبما أن الرب دعاه من المجد لذلك يدعو بولس إنجيله « إنجيل المجد »

« المفرز لإنجيل الله » الواضح أن هذا الفرز كان « من بطن أمه » كما يقول « ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ودما » (غلا ١ : ١٥، ١٦) . وهكذا كان يوحنا المعمدان الذى قال عنه الملاك جبرائيل « من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) . وهكذا كان أيضاً يعقوب وشمشون وصموئيل وأرميا الذين أفرزوا من قبل ولادتهم للقيام بأعمال معينة . ثم عندما كان فى أنطاكية فى الكنيسة . . . قال الروح القدس « افرزوا لى برنابا وشاول

للحمل الذى دعوتهما إليه » (أع ١٣ : ٢) وهذا الفرز كان لميدان عمل جديد وليس للخدمة لأنه كان يمارس الخدمة قبل ذلك .

والإنجيل هو الأخبار الإلهية السارة ويسمى فى هذا الأصحاح « إنجيل الله » (ع ١) ، و « إنجيل ابنه » (ع ٩) ، و « إنجيل المسيح » (ع ١٦) فالله هو مصدره لأنه هو الذى أرسل ابنه إلى العالم . والرب يسوع يؤكد ذلك نحو تسع عشرة مرة فى إنجيل يوحنا قائلا « لم آت من ذاتى لكن أبى أرسلنى » . والإبن هو موضوع الإنجيل وهو الذى كرز به قائلا « توبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٥) وقال لتلاميذه بعد أن أكمل العمل وقام من الأموات « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن » (مر ١٦ : ١٥ ، ١٦) .

الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة (ع ٢)

إن الإنجيل[1] ليس هو الوعد بل هو إتمام الوعد الذى وعد به الله قديماً فى الكتب المقدسة أى فى أسفار العهد القديم . وعد به فى شكل ظلال ورموز ، وأيضاً بكلام واضح بفم الأنبياء الذين تنبأوا عن الآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها . وفى رسالة بولس الرسول إلى تيطس نقرأ القول « على رجاء الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة [الأزلية] » (تى ١ : ٢) فبمجرد أن دخلت الخطية ، والموت فى أعقابها أعطى الله ، عند

(١) وهذا طبعاً لا يتضمن الإعلان عن الكنيسة جسد المسيح لأن هذا السر كان مكتوماً فى الله خالق الجميع ولم يعرف به بنو البشر فى أجيال أخر لكنه أعلن لرسل المسيح وأنبيائه بالروح ، أى أنبياء العهد الجديد (أف ٣:٣ — ٦) أما الإنجيل فمشار إليه بوضوح فى العهد القديم كما يقول الرسول « وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به . أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب (أى أسفار العهد القديم) وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب » . (١ كو ١٥ : ١ — ٤) .

النطق بالحكم على الحية إعلاناً عن وعد الحياة الأبدية فى نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية . بعد ذلك وعد الله إبرهيم بالبركة فى نسل المرأة نفسه باعتباره نسل ابرهيم إذ قال له « فى نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض » ويوضح الرسول بولس فى رسالة غلاطية أن هذا النسل هو المسيح « لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفى نسلك الذى هو المسيح » (غلا ٣ : ١٦) . ومن أمثلة أقوال الأنبياء : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه » (أش ٩ : ٦) وأيضاً « عبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها » (أش ٥٣ : ١١) ويقول الرسول فى هذه الرسالة إن بر الله الذى ظهر فى المسيح « مشهود له من الناموس والأنبياء » (ص٣:٢١) ويستشهد بقول حبقوق النبي « أما البار فبالإيمان يحيا » (حب ٢ : ٤) فالوعد بانجيل النعمة قد أعطى لنا فى المسيح قبل الأزمنة ، إذ كانت النعمة فى فكر الله قبل السقوط وقبل الناموس « الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة [الأزلية] » (٢ تى ١ : ٩) . فقبل المسيح لم يكن الإنجيل إلا مجرد وعد أما الآن فهما كانت مواعيد الله فهو (المسيح) فيه النعم وفيه الآمين . كيف كان يمكن أن تتم هـذه المواعيد الثمينة ؟ وعلى أى أساس كان يمكن أن يبنى إنجيل الله إلا على الابن وعمله الكامل على الصليب ؟ هل كان يمكن أن يكون هناك إنجيل بغير الابن ، وبعيداً عن الصليب والدم ؟ إن الذى ينادى بذلك إنما ينادى بإنجيل آخر ، ويقول الرسول للغلاطيين « إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما » (غلا ١ : ٨) .

عن ابنه . الذى صار من نسل داود من جهة الجسد (ع ٣)

يعطينا الرسول خلاصة الإنجيل فى القول « الإنجيل الذى بشرتكم به ... إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وإنه دفن وإنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب وإنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر » (١ كو ١٥ : ١ — ٥)

فالإنجيل كله عن المسيح وبدونه لاأخبار سارة من السماء للإنسان بل أخبار الغضب والدينونة . والإنجيل مؤسس على تجسد المسيح وعمله على الصليب فكان لابد أن ذاك الذى لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، يخلى نفسه « الله ظهر فى الجسد » . « فى ملء الزمان أرسل الله ابنه إلى العالم مولوداً من امرأة » . وقد « صار من نسل داود » (عن طريق ناثان) بالنسبة لأمه (لو ٣) ، وعن طريق سليمان بالنسبة ليوسف (مت ١) وذلك إتماماً للنبوات وليكون الوارث الشرعى لعرش داود كالمسيا صاحب المواعيد هذا « من جهة الجسد » أما من جهة لاهوته فهو « أصل داود » (رؤ٢٢:١٦) و « رب داود » (متى ٢٢ : ٤٥) .

وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا (ع ٤)

يقدم الوحى ربنا يسوع المسيح هنا بطريقتين : الأولى كمولود حسب الجسد من نسل داود . والثانية كمن تعين أى ثبت وتبرهن أنه إبن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات . وهاتان الطريقتان تتمشيان مع « المواعيد » و « الإنجيل » . فالرب يسوع جاء فى الجسد كابن داود باعتباره موضوع مواعيد الله ومتممها ، ولكن الناس ولا سيما خاصته التى أعطيت لها المواعيد ، لم تقبله واحتقرته « محتقر ومخذول من الناس » (أش ٥٣ : ٢) وقالوا عنه « هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين » (مت ١٢ : ٢٤) وأخيراً قدموه لموت الصليب . ولكن الله إذ تمجد بواسطته تماماً فى كل شىء أقامه من الأموات وبذلك تبرهن أنه ابن الله بقوة . وليس ذلك فقط بل تبرهنت أيضاً قيمة العمل الذى أكمله على الصليب وقبله الله تماماً .

والمسيح نفسه قد أقام أمواتاً كما أنه سيقيم الجميع « لأنه كما أن الآب يقيم

الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء » (يو ٥ : ٢١) فالقيامة تبرزه كابن الله بقوة[١] من كل وجه ولا سيما حين قام بقوته الذاتية بعدما صلب من ضعف تتميماً لما قاله لليهود « انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » (يو ٢ : ١٩) .

وهذا أيضاً بالنسبة لروح القداسة — تلك القداسة التى تميزت بها حياته فى كل أيام جسده حيث كان ينقاد بالروح القدس ويعمل كل أعماله بالروح القدس ، فهو الإنسان الوحيد الذى وطأت قدماه هذه الأرض وكان قدوساً بلا شر ولا دنس « لم يفعل خطية » و « لم تكن فيه خطية » بل « لم يعرف خطية » . وهو « الله الذى ظهر فى الجسد » — الله وإنسان معاً « يسوع المسيح ربنا » هذا هو الاسم الكامل المحبوب الذى صار للمسيح بقيامته من الأموات بقوة « إن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً » (أع ٢ : ٣٦) ويذكر هذا اللقب الكامل فى رسالة رومية عشر مرات : « يسوع » هذا هو اسمه الشخصى كالمخلص (مت ١ : ٢١) . « المسيح » أى الممسوح من الله لتتميم كل شيء . « ربنا » هذا هو مقامه كالرب والسيد للمؤمنين ، وهو أيضا « رب الكل » (أع ١٠ : ٣٦) .

الذى به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم (ع ٥)

يشير الرسول هنا إلى نعمة مزدوجة — النعمة التى بها لاقاه الرب فى الطريق وأعطاه الحياة ، والنعمة التى انتخبه بها فى نفس الوقت ودعاه ليكون رسولا . وهذه النعمة والرسالة هى بالمسيح فهو الذى يعطى المواهب

(١) من جهة التجسد يقول الوحى إن الرب يسوع « صار من نسل داود » . ولكن عن بنوته لله لا يقول إنه « صار ابن الله بالقيامة من الأموات » بل تعين أى تبرهن ، لأن بنوته لله أزلية. هو ابن الله الأزلى .

ويرسل الفعلة لحصاده « صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا » (أف ٤ : ٨) . وهى أيضاً « لأجل اسمه » فالنعمة والرسالة التى هى لخير البشر هى قبل كل شىء « لأجل اسمه » كما يقول الرسول يوحنا « أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا لأجل اسمه » (١ يو ٢ : ١٢) فالخدمة الصحيحة هى « من المسيح » و « بالمسيح » و « لأجل المسيح » .

« لإطاعة الإيمان » أى لكى ينحنى القلب بالإيمان لقبول رسالة نعمة الله وذلك فى مجال واسع للشهادة . ويختتم الرسول رسالة رومية بنفس هذا التعبير الجميل « حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان » (ص ١٦ : ٢٦) .

« فى جميع الأمم » كما يقول فى ع ١٣ من هذا الأصحاح « ليكون لى ثمر فيكم كما فى سائر الأمم » فليست البركات الآن فى عهد النعمة محصورة داخل سياج كما فى القديم بل ممتدة إلى كل الذين يؤمنون من جميع الأمم بلا تفريق بين الشعوب والأجناس .

الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوو يسوع المسيح (ع ٦)

أوضح الرسول فيما سلف مؤهله أو إن شئنا أن نقول التصريح الإلهى الذى بيده للخدمة ، فما هو مؤهلهم هم ؟ « مدعوو يسوع المسيح » فهو « مدعو رسولا » وهكذا هم مدعوو يسوع المسيح . فيسوع المسيح الذى دعاه ليكون رسولا ، دعاهم ليكونوا قديسين كما يقول فى الأصحاح الثامن إن الذين سبق فعرفهم وسبق فعينهم « فهؤلاء دعاهم أيضاً » .

إلى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعوين قديسين . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح (ع ٧)

من هنا نتبين أن الرسالة موجهة إلى المؤمنين الذين فى رومية الذين يوصفون بوصفين جميلين : الأول « أحباء الله » فأولئك الذين كانوا قبلا

أعداء ومبغضين لله صاروا بالنعمة بالإيمان « أحباء الله » وهو وصف لا ينطبق إلا على المؤمنين الحقيقيين الذين صاروا أولاد الله الأعزاء « أهل بيت الله » . والوصف الثانى « مدعوين قديسين » أى أنهم بموجب دعوة الله قد أفرزوا له وصاروا قديسين فى المسيح . فليست هناك طبقة مخصوصة من المؤمنين تدعى « قديسين » كأنهم قديسون بأنفسهم بل جميع المؤمنين هم قديسون بالدعوة كما يكتب الرسول « إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس المقدسين فى المسيح يسوع المدعوين قديسين » (١ كو ١: ٢) ثم يوجه الرسول إليهم التحية التى تتكرر كثيراً فى رسائله وفى رسالتى بطرس أيضاً « نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح » . والنعمة والسلام يقترنان معاً باعتبار أن الله الآب مصدرهما ، والرب يسوع المسيح هو الذى به قد وصلا إلينا . وفى الرسائل الموجهة إلى أفراد كتيموثاوس وتيطس وكيرية المختارة يضيف الرسولان بولس ويوحنا كلمة « رحمة » لأن المؤمن الفرد يحتاج إلى الرحمة بصفة خاصة (عب ٤ : ١٦) وتعجز الألفاظ عن التعبير عن مقدار البركة المتضمنة فى نعمة الله وفى السلام الممنوح منه . وما أجمل أن يقول الرسول « الله أبينا » يا له من مقام عظيم لكل الذين قبلوا المسيح بالإيمان إذ « أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله » (يو ١ : ١٢) .

إذا رجعنا إلى أى سفر من أسفار العهد القديم ، سواء من الأسفار التاريخية أو الشعرية أو النبوية ، هل نجد مثيلا لهذه التحية الإفتتاحية ؟ صحيح إننا نجد هناك أشياء عظيمة ورحمة من الله لا تفشل فى أن تصل إلى الأمم ، وخلاصاً زمنياً فى رحلة الحياة الأرضية ولكننا لا نجد شيئاً يماثل أو يقرب مما نجده فى هذه التحية أو فى داخل رسائل العهد الجديد ، إذ هى شىء جديد بالتمام يتوقف على عمل جديد وعظيم هو موت ابن الله وقيامته . قبل إتمام عمل الفداء مَن كان يمكن أن ينطق بمثل هذه اللغة التى فى هذه التحية الرسولية ؟ من يخطر بباله أن أخنوخ أو نوح أو موسى أو داود أو إشعياء

أو حتى بطرس ويوحنا فى أيام خدمة الرب على الأرض ، كان يستطيع أن ينطق بمثل هذه الكلمات للمؤمنين فى رومية ، وكثيرون منهم من الأمم ؟

أولا أشكر إلهى بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعا دائما فى صلواتى عسى الآن أن يتيسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى إليكم لأنى مشتاق أن أراكم لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم أى لنتعزى بينكم بالإيمان الذى فينا جميعا إيمانكم وإيمانى (ع ٨ — ١٢)

لم تكن هناك رابطة جسدية بين الرسول والمؤمنين فى رومية الذين لم يكن قد رأى معظمهم . ولكن كم هى مجيدة تلك الرابطة الروحية التى قد ربطت قلبه بهم ، فجعلته يحملهم على قلبه أمام الله بالصلاة بلا انقطاع ، ويبتهج بالأخبار السارة عن إيمانهم الذى ينادى به فى كل العالم ، ويشتاق أن يراهم لفائدتهم وبركتهم الروحية ! ويزداد مجد تلك الرابطة فى أعيننا إذا تذكرنا كم كان الكاتب قبل عمل النعمة فيه فريسياً ضيقاً متعصباً شرساً وقاسياً فى معاملة كل من يدعو باسم يسوع الناصرى .

ولكننا لا نستغرب هذه المشاعر الرقيقة من شخص عرف الله كإلهه بيسوع المسيح «أشكر إلهى بيسوع المسيح» ، وكم هو جميل أن نشكر الله لأجل كل نعمة نجدها فى أى مؤمن ! والمؤمنون فى رومية كان إيمانهم ينادى به فى كل العالم (أى فى دائرة الأمبراطورية الرومانية — العالم الرومانى) كما أن المؤمنين الذين تجددوا حديثاً فى تسالونيكى من قبلهم «قد أذيعت كلمة الرب ليس فى مكدونية وأخائية فقط بل فى كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله» (١ تس ١ : ٨) .

والرسول كان يقرن دائماً الشكر بالصلاة وهذه عادة جميلة كان يتبعها الرسول على الدوام كما يشير إلى ذلك فى رسائله إلى أفسس وفيلبي وكولوسى وتسالونيكى ، وهو يستشهد الله على ذلك كما كان يفعل كثيراً للتأثير فى عواطف القديسين بصدق مشاعره من نحوهم (أنظر ٢ كو ١ : ٢٣ ، فى ١ : ٨ ، ١ تس ٢ : ٥ و ١٠) ويقول عن الله إنه يعبده بروحه فى إنجيل إبنه ، فعبادته لم تكن بطقوس خارجية كما فى اليهودية بل عبادة عقلية كما يقول فى (ص ١٢ : ١) . فالعبادة أو الخدمة الصحيحة ليست أعمالا ظاهرية أو واجبات تؤدى بل هى نشاط روحى يبدأ فى روح الخادم بالمحبة والتكريس . إن الخدمة الحقيقية إنما تنبع من الشركة مع الله كما أنها تؤدى فى تمام الاعتماد على هدايته وإرشاده . ومن ثم فالجسد يجب أن يخضع ويوجد فى حكم الموت . والإيمان الذى ينتظر الرب لتلقى الإرشاد منه ، يعود دائماً إلى الرب بالشكر عندما تأتى البركة . ويبين الرسول سبب اشتياقه أن يراهم ، وهو لكى يمنحهم هبة روحية لثباتهم . وليس المقصود بالهبة الروحية هنا شيئاً من المواهب المشار إليها فى (١ كو ١٢ : ١) بل إلى البركة التى توسع طاقتهم الروحية وتثبتهم فى الإيمان . لقد كانت زيارات الرسول دائماً مقترنة بالبركة كما يقول فى أواخر هذه الرسالة « وأنا أعلم إنى إذا جئت إليكم سأجىء فى ملء بركة إنجيل المسيح » (ص ١٥ : ٢٩) وقد كانت هناك أسرار عظمى خاصة بدعوة الكنيسة السماوية وباتحادها بالمسيح كجسده ، وهذه الأسرار لم يكن المؤمنون فى رومية يعرفونها تماماً ، فكان الرسول يشتاق أن يوصل إليهم هذه البركات لثباتهم كما يقول فى خاتمة الرسالة « وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى . . حسب إعلان السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم » (ص ١٦ : ٢٥ و ٢٦) .

ثم يستطرد الرسول مفسراً كلامه بالقول « أى لنتعزى بينكم بالإيمان الذى فينا جميعاً إيمانكم وإيمانى » بالها من كلمات جذابة تدل على منتهى اللطف

والتواضع ! فقد كانت طاقة الرسول الروحية ومواهبه كفيلة بأن تمنحهم بركة أكيدة ، ولكنه لا ينكر عليهم شركة الإيمان والتعزية المتبادلة لأن المتكلم والسامع ، كليهما يتباركان من الخدمة .

ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الإخوة أنني مراراً كثيرة قصدت أن آتي إليكم و مُنعت حتى الآن . ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم (ع ١٣)

كان قصد الرسول أن يأتي إليهم كما إلى كل مكان آخر لأنه كان خادماً أميناً للمسيح مستعداً لخدمته دائماً . ولكنه يقول « ومنعت حتى الآن » ونستطيع أن نستدل على سبب هذا المنع من قوله في أواخر الرسالة « حتى إني من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح ... لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة من المجيء إليكم . وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم ... أرجو أن أراكم » (ص ١٥ : ١٩ و٢٢ — ٢٤) . في مرات أخرى كان العائق من الشيطان « لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان » (١ تس ٢ : ١٨) أما هنا فكان العائق للرسول الأعمال الكثيرة التي قاده الله إليها في أماكن أخرى . هذا هو حال الخادم الذي يتبع إرشاد الله في كل خطوات خدمته .

ويقول الرسول « ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم » . لقد كان حنين قلبه المستمر هو الإتيان بثمر لله في نفوس الآخرين . وهذا ما يجب أن يميز كل خادم حقيقي للمسيح فلا يطلب الخادم ما لنفسه بل ما لله وما لمجده . هذا هو الهدف الحقيقي لكل خدمة مقبولة .

إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء (ع ١٤)

في القول « إني مديون » نجد لغة الوكيل الأمين الشاعر بمسئولية المهمة

الملقاة على عاتقه . ولا شك أن بولس كان يعتبر نفسه سعيداً بهذا الدين . لقد التقاه المخلص المقام من الأموات والممجد فى السماء ، وسلم إليه الإنجيل بإعلان خاص كما يقول « لأنى لم أقبله (أى الإنجيل) من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح » (غلا ١ : ١٢) ومن ثم اعتبر نفسه مديوناً لله ولجميع الناس بتوصيل الإنجيل إليهم لأن « المسيح بذل نفسه فدية لأجل الجميع » . و « ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » ، ولذلك اعتبر الرسول نفسه مديوناً لجميع طبقات الناس — لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء . لقد كان العالم ينقسم فى نظر اليهودى إلى قسمين : اليهود واليونانيين (١ كو ١ : ٢٢ — ٢٤) وفى نظر اليونانى والرومانى إلى قسمين أيضاً : اليونانيين (أى المتعلمين والمهذبين) ، والبرابرة (أى غير المهذبين وغير المتمدينين) . ولكن الإنجيل كان للجميع على السواء « حيث ليس يونانى ويهودى . . . بربرى سكيثى . عبد حر » (كو ٣ : ١١) . ولا يذكر الرسول هنا اليهود بجانب اليونانيين لأنه كان مديوناً بصفة خاصة للأمم الذين كانت إرساليته إليهم (أع ٢٦ : ١٧) ، مع أن أشواقه كانت تتجه من كل قلبه إلى خلاص اليهود الذين كرز فى مجامعهم كثيراً .

إيفاءً لهذا الدين كان الرسول يطرق كل الأبواب ليكرز بغنى المسيح الذى لا يستقصى ، ولكن كم هو محزن أن بعض الناس أغلقوا الأبواب فى وجهه مع أنه كان آتياً إليهم ليوفى دينه بتوصيل الأخبار السارة إليهم .

فهكذا ما هو لى مستعد لتبشيركم أنتم الذين فى رومية أيضا (ع ١٥)

لقد كانت رومية تحتقر اليهود ، وكان بولس محتقراً فى مظهره الخارجى « وأما حضور الجسد فضعيف والكلام حقير » (٢ كو ١٠ : ١٠) وكانت تلك المدينة العظيمة مركز الحضارة والقوة فى ذلك الوقت ، ولكن ها هو

بولس الضعيف فى ذاته يقول « ماهو لى مستعد لتبشيركم » . ماهو الذى له ليبشر به ؟ مسيح مصلوب احتقره اليهود ورفضوه وقدموه للرومانيين فصلبوه . كان بولس مستعداً أن يزحف إلى روما مركز العظمة والقوة والثروة العالمية وليس له إلا مسيح مصلوب . ومن العجيب إنه لم يذهب إليها بضعفه الجسدى فقط ، بل ذهب إلى هناك سجيناً ناجياً بمعونة الله من سفينة محطمة . يالها من قصة عجيبة ! ولكن المسيح المصلوب الذى هو لليهود عثرة ولليونانيين جهالة ، هو فى الحقيقة « قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٤) . والإنجيل الذى كان السلاح الوحيد الذى حمله الرسول معه هو « قوة الله للخلاص » . وقد عمل الرسول مجاهداً فى رومية بحسب عمل المسيح الذى عمل فيه بقوة ، فوصل الإنجيل إلى كل الإمبراطورية حتى إلى بيت قيصر نفسه (أنظر فيلبى ١ : ١٢ و١٣) .

لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولاً ثم لليونانى لأنه فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا (ع ١٦ و١٧) .

يساعدنا على دراسة هذين العددين أن نلاحظ أنه ترد فيهما كلمة «لأن» ثلاث مرات : ١ — لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح . ٢ — لأنه قوة الله للخلاص . ٣ — لأن فيه معلن بر الله . ثم ترد مرة رابعة فى ع ١٨ « لأن غضب الله معلن من السماء » .

الكلمة الأولى تشير إلى رغبة الرسول فى الذهاب إلى رومية عاصمة العالم حينئذ غير مستح بإنجيل المسيح إذ أنه يحمل إليها إنجيلا مجيداً قوياً يستطيع أن يوصل حياة الله إلى أناس مائتين وكان بولس ممتلئاً بمجد وقوة هذا الإنجيل

أما الكلمة الثانية فتعطينا سبب جرأة بولس فى الذهاب إلى رومية حاملا الإنجيل . هذا السبب هو « لأنه (الإنجيل) قوة الله للخلاص لكل من

يؤمن » . فليست القوة فى فصاحة المتكلم بالإنجيل ، ولا فى إلقائه وحماسه ، بل فى الإنجيل نفسه . فالأخبار السارة عن موت المسيح من أجل خطايانا ، ودفنه ، وقيامته ، هى قوة الله للخلاص لمن يؤمن بها . لم تكن فى رومية صاحبة النفوذ والجاه والقوة الحربية لقهر الأعداء — لم تكن فيها قوة لتخليص الإنسان من خطاياه ومن عبودية إبليس ، لأن هذه القوة لا توجد إلا فى الإنجيل . وقوة الله التى فى الإنجيل هى « للخلاص » ، لا لتهذيب الإنسان وتقدمه وإصلاح حاله ، بل لخلاصه خلاصاً كاملا من الخطية والشيطان والهلاك الأبدى . كانت فى الناموس قوة للحكم على الإنسان وإدانته ، ولكن فى الإنجيل قوة الله لخلاص كل من يؤمن « لليهودى أولا ثم لليونانى» إن الإنجيل مقدم للجميع بلا تفريق بين الجنسيات ، ولكنه مقدم أولا لليهودى الذى كان عنده الناموس وله المواعيد . هذا هو الترتيب الذى اتبعه حتى رسول الأمم العظيم خصوصاً فى البداءة .

أما الكلمة الثالثة فتعطينا خلاصة التعليم الرئيسى فى هذه الرسالة « لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان » ونلاحظ أولا أن الكلمة هنا هى « بر » لا « تبرير » ويذكر هنا أنه فى الإنجيل معلن بر الله بالمقابلة مع البر الإنسانى الذى كان يطلبه الناموس . أما عملية التبرير فيشار إليها فى الأصحاح الرابع بالقول « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » وأيضاً « الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » ولكن الرسول هنا يبين السبب فى أن الإنجيل له قوة للخلاص وهو أن فيه معلن بر الله على مبدأ الإيمان ، ثم إنه معلن «للإيمان» . فى الأصحاح الثانى من الرسالة إلى تيطس يتكلم الرسول عن ظهور نعمة الله المخلصة لجميع الناس ولكن الموضوع هنا فى (رو ١) ليس نعمة الله أو رحمته فقط بل أكثر من ذلك . أن فى الإنجيل معلن « بر الله » حينما يقدم خلاصاً كاملا للإنسان على مبدأ الإيمان لا سواه . إن بر الله (أى عدله) بدون الإنجيل إنما يدين الإنسان

فى الحال ، وإلى الأبد . ولكن الإنجيل هو قوة الله للخلاص لأن فيه معلن بر الله عن طريق الإيمان . أما بر الإنسان فمستبعد بتاتاً . والرسول هنا يصف طبيعة الإنجيل ولا يشرح الطريقة التى بها يستطيع الله أن يبرر الخاطىء، الأمر الذى يشرحه فى ص ٣ : ٢٤ — ٢٦ وما بعده .

ونلاحظ هذا الأمر الهام أن الله ليس فقط يعد براً ويقدمه إلى الإنسان ، ولكن أن البر هو « بر الله » ونستطيع أن نتبين قوة هذه العبارة إذا ربطناها بما قبلها وبما بعدها ، فيذكر الرسول بالترتيب « قوة الله » ، « بر الله » ، « غضب الله » فهنا نجد « بر الله » معلناً فى الإنجيل . وفى الأصحاح الثالث نجد كيف أن الله بار فى إعلان بره ، وذلك على أساس دم المسيح الذى قدمه كفارة لأجل خطايانا . على هذا الأساس صار بر الله مقدماً على مبدأ الإيمان بذاك الذى صنع الفداء . والله عندما يبرر كل من هو من الإيمان بالمسيح يكون فى ذلك باراً . وذلك كله بدون الناموس . إن الله قد تمجد فى صليب المسيح تماماً ، ولذلك أقامه وأجلسه عن يمينه فى المجد . أما من جهتنا نحن المؤمنين فلم يساعدنا فقط بل أجلسنا فى السماويات فى المسيح . هذا هو بر الله المعلن بالإيمان . نعم إن عمل المسيح الفدائى الكامل لا يليق به أقل من هذا — أن الله يكون باراً لا فى تمجيد المسيح فقط بل فى تمجيد المؤمنين به أيضاً بحسب استحقاق وقيمة الفداء الكريم فى عينيه . فبفضل عمل المسيح الكامل ، الله يحسب المؤمنين به أبراراً ويصيرنا « بر الله فيه » .

فى جبل سيناء — فى الناموس طولب الإنسان بالبر ولكنه عجز . أما فى الإنجيل فمعلن بر الله كاملا . ولم يعلن هذا البر إلا بعد أن تم العمل الذى هو الأساس الراسخ لإعلان البر . وإذ أعلن بر الله أصبح الموضوع لا موضوع استحقاق أو جهاد بل بالعكس ، النظر خارج الذات إلى بر الله فى المسيح — أى أنه موضوع إيمان صرف . وكما أعلن البر الإلهى بالإيمان

هكذا هو « للإيمان » فكلمة « بإيمان » تستبعد أعمال الناموس كالطريق أو المبدأ لإعلانه . وكلمة « لإيمان » تدخل الإيمان أينما وجد فى نطاق إعلان البر ، أى أن الإنسان الذى له إيمان ، كائناً من كان ، يحصل على البر . ولا يستطيع اليهودى نفسه أن ينكر هذا لأن حبقوق النبي يؤيد نفس المبدأ بقوله إن « البار بالإيمان يحيا » . فاليهودى الذى كان يسعى للحصول على البر بأعمال الناموس يستطيع أن يكتشف فى النهاية أنه لا بر له، ويقتنع تماماً أنه عاجز عن إنتاج أى بر لله ، وحينئذ يرى فى الإنجيل أن الله أعلن بره على أساس الإيمان لا على أساس أعمال الناموس ، ويعرضه على الإيمان أينما وجد . هذا هو الحق الذى شهد له حبقوق النبي مع أنه لم يكن يعرف ملء هذا الحق وقوته المعلنة فى الإنجيل .

ويقتبس الرسول عبارة حبقوق فى ثلاثة مواضع فى العهد الجديد : هنا لإثبات أن البر بالإيمان ، وفى رسالة غلاطية (ص ٣ : ١١) لإثبات أن الحياة للبار هى بالإيمان ، وفى (عب ١٠ : ٣٨) يقرر أن الإيمان هو مبدأ حياة البار .

لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم (ع ١٨)

نجد هنا كلمة « لأن » الرابعة وهى تشير إلى السبب فى احتياج الإنسان إلى بر الله ، والسبب فى إعلانه فى الإنجيل على مبدأ الإيمان لا على مبدأ الأعمال . هذا السبب هو أن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم . فجميع الناس فضلا عن عجزهم عن عمل البر ثبتت إدانتهم بالفجور والإثم ، ولذلك أعلن الله غضبه عليهم جميعاً من السماء لأن الله قدوس ولا بد أن يدين الشر . ويبدأ الرسول هنا بوصف عام لفجور الناس من كل وجه ولكنه ينتقل بعد ذلك إلى إثبات الإثم على اليهود الذين كان لديهم الحق

ولكنهم حجزوه[1] بالإثم والفجور . والكلام العام الخاص بالأمم يمتد إلى نهاية الأصحاح الأول ، أما الكلام الخاص باليهود فيبدأ من ص٢ : ١٧ إلى ص ٣ : ٢٠ ويتوسط بين هذين الطرفين الكلام عن فريق آخر فى ص ٢ : ١ - ١٦ وهو فريق الفلاسفة الذين يدينون غيرهم ولكنهم يفعلون ذات الأشياء .

وغضب الله المشار إليه هنا ليس غضباً قضائياً على الأرض كالطوفان ، أو إهلاك سدوم وعمورة بالنار ، أو سبي الشعب إلى بابل ، بل هو إعلان عدم توافق طبيعة الله مع الشر . فغضب الله معلن ضد كل ما لا يوافق طبيعته ضد جميع فجور الناس وإثمهم لأن طبيعة الله القدوسة لا تطيق الشر ولابد أن تقضى عليه لا قضاء زمنياً بل قضاء أبدياً ، لأن الله فى معاملاته الزمنية يصبر ويتأنى على الشر : إن الله دائماً يدين الشر أدبياً ولكن لابد أن يأتى اليوم الذى فيه ينفذ الدينونة بحسب طبيعته القدوسة وبحسب سلطانه المطلق . وترد عبارة غضب الله اثنتى عشرة مرة فى رسالة رومية (انظر أيضاً ص ٢ : ٥ و ٨ ، ٣ : ٥ ، ٤ : ١٥ ، ٥ : ٩ ، ٩ : ٢٢ .. الخ) .

ونلاحظ أن إعلان « بر الله » وإعلان « غضب الله » يتمشيان معاً . فالذى يؤمن بالمسيح وبعمله الكامل على الصليب يتبرر وينال كل البركات المتضمنة فى إنجيل النعمة ولا يكون عليه شيء من الدينونة . أما من يرفض النعمة والرحمة فلابد أن يقع عليه الغضب .

وأعظم ميدان تجلت فيه طبيعة قداسة الله وغضبه المعلن على جميع فجور الناس وإثمهم هو صليب الجلجثة حيث كان ابن الله القدوس البار مرفوعاً

---

(١) « يحجزون الحق بالإثم » أى يمسكون بالحق مع المعيشة العملية فى الإثم ، وهذا ينطبق على اليهود بنوع خاص إذ لا يمكن أن يقال عن الأمم الوثنيين أنه كان عندهم « الحق » فيما عدا ما كان يمكن معرفته من الخليقة عن قدرة الله السرمدية ولاهوته .

هناك حاملا كل خطايانا فى جسده ، ولذلك « سر الله بأن يسحقه بالحزن » وأمر السيف الملتهب أن يستيقظ ويضرب به بلا شفقة مع أنه «رجل رفقة الله» و « ابن محبته » .

إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر (ع ١٩ ، ٢٠)

يورد الرسول هنا البراهين على إثم الناس الذى من أجله ينتظرهم غضب الله . وسبق أن رأينا الرسول يتكلم عن فريقين من الناس الأثمة : الأمم ذوى الفجور ، واليهود الذين لهم الحق ظاهرياً ولكنهم يقرنونه بالإثم عملياً وفى هذا العدد يبدأ الرسول بفريق الأمم ، ويجىء بسببين لأجلهما غضب الله معلن عليهم : السبب الأول هو إهمالهم لشهادة الخليقة لقدرة الله السرمدية ولاهوته ، الأمر الذى لاعذر لهم فيه . والسبب الثانى تركهم لمعرفة الله التى تواترت إليهم من الآباء ، ولم يكونوا أمناء لتلك المعرفة التى وصلت إليهم (ع ٢١) .

أما عن السبب الأول ، فالسموات «تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » فعندما يرفع الإنسان نظره إلى فوق يجد شهادة قوية ناطقة بقدرة الله السرمدية ولاهوته . « لا قول ولا كلام لا يسمع صوتهم . فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم » (مز ١٩ : ٣ ، ٤) وكثيرون من العلماء[1] الأفذاذ قد انحنوا أمام تلك الشهادة قائلين إنه لابد أن يكون هناك إله قدير عظيم قد خلق هذه الخليقة الدقيقة البديعة .

---

(١) اقرأ الجزء الاول من كتاب مجموعة حقائق كتابية بقلم خادم الرب برسوم ميخائيل .

كان نابليون مرة على ظهر بارجة حربية فى ليلة مقمرة ، ومر على جماعة من ضباطه يسخرون من حقيقة وجود الله ، فوقف وأشار بيده إلى السماء وقال لهم : أيها الرجال يجب أن تتخلصوا من هذه النجوم اللامعة أولا .
والواقع أن الناس فى دخيلة نفوسهم يعتقدون بقوة أعلى منهم هم مسئولون أمامها عن أعمالهم الشريرة ، ولكنهم يتجاهلونها بإرادتهم ليستمرئوا شرورهم . إلا إنهم عند الخطر المفاجىء يصرخون بغير شعور قائلين « يا رب » كما قال فرعون قديماً (مع أنه لا يعرف الله) « أخطأت إلى الرب » (خر ١٠ : ١٦) عندما ثقلت يد الرب عليه بالضربات ، وكما قال الفلسطينيون الوثنيون عندما شعروا بالرعب « قد جاء الله إلى المحلة » (١ صم ٤ : ٧) .

فالمصنوعات التى أبدعها الله بقدرته تعلن أموره غير المنظورة — ليس كل أموره طبعاً بل « قدرته السرمدية ولاهوته » . ولا عذر للإنسان فى تجاهل هذه الشهادة التى يراها أمام عينيه وتتحدث إلى ضميره .

لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى (ع ٢١)

هنا نجد السبب الثانى لإعلان غضب الله من السماء ، وهو ليس مجرد تجاهلهم لأمور الله وما يمكن أن يعرفوه عن الخليقة ، بل لقد وصلت معرفة الله إليهم فعلا ولكنهم لم يمجدوه أو يشكروه . وهذه المعرفة قد وصلت متواترة من آدم إلى لامك أبى نوح الذى عاصر آدم لمدة تزيد عن ٥٠ عاماً . وهكذا تناقلت معرفة الله من آدم شخصياً ، الذى تكلم الله معه ، إلى نوح . ومع ذلك فإن « شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات ، وطيور السماء » (تك ٦ : ٥ — ٧) وهكذا جاء الطوفان وأهلك الجميع ما عدا نوح وعائلته .

ولكن بعد الطوفان لم يمجد الناس الله أو يشكروه كإله لأجل كل بركاته وعطاياه بل رفضوه وتحولوا عنه ، ولكن لم يكن من السهل أن يتخلصوا من صوت الضمير أو يبعدوا عنهم حقيقة وجود الله ومسئوليتهم نحوه ، فلجأوا إلى عبادة الأوثان ، وهكذا « حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي » ففقدوا شعاع النور الذى كان عندهم . وقبل أن تظلم أذهانهم « أظلم قلبهم » بالشر والدنس « قال الجاهل فى قلبه ليس إله » (مز ١٤ : ١) .

وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات (ع ٢٢ ، ٢٣)

وجد بين الناس فلاسفة وقادة دينيون زعموا أنهم حكماء ، ولا سيما فى مصر وأشور ثم فى بلاد اليونان والرومان ، حتى قيل أن موسى تهذب « بكل حكمة المصريين وعلمهم » . ولكن ماذا تكون حكمة العقل البشرى بدون معرفة الله ومخافته ؟ ماهى إلا جهل وغباء . « مخافة الرب رأس المعرفة . أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب » (أم ١ : ٧ انظر مز ١١١ : ١٠) وأيضاً « بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم » (أم ٩ : ١٠) .

ومع ادعائهم بالحكمة انحلت أفكارهم فأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى كما فعل الشعب فى البرية « إذ بدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب » (مز ١٠٦ : ٢٠) فالله فى صلاح قصده شرف الإنسان بأن خلقه على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٧) أما الإنسان فى ضلاله وحماقته فقد احتقر الله خالقه فجعله على صورة المخلوقات ! ! إننا بقدر ما نتأمل فى مجد وجلال الله بقدر ما تظهر لنا شناعة الجهالة الموجهة إليه فى عبادة الأوثان من أى نوع . وأول شىء تحول إليه الناس هو عبادة الإنسان ولكنهم سرعان ماانحطوا بسرعة انحطاطاً تدريجياً إلى عبادة الطيور ثم الدواب ،

إلى أن وصلوا فى النهاية إلى عبادة الزحافات التى تأكل التراب . ونلاحظ فى التاريخ أنه بين قدماء المصريين انتشرت عبادة الإنسان ، ثم الحيوانات كالعجل أبيس ، ثم الزحافات كالحية والجعران ، كما انتشرت بين الكلدانيين عبادة الحية ، وهكذا نجد أنواعاً كثيرة من الآلهة بين الشعوب المختلفة . ومن العجيب أن يتكلم العلماء عن الارتقاء والتقدم بينما آلهتهم وشرورهم العملية تثبت العكس — التدهور والإنحطاط ، لأن الإنحلال الخلقى والشر العلمى يقترن دائماً بعبادة الأوثان . نعم . فإن النفس التى تترك حق الله تختل معها الموازين ، وبذلك يتبع الإنسان الساقط إرادته الذاتية وشهواته ويصبح عبداً طائعاً للشيطان الذى يكمن دائماً وراء الأوثان .

لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك الى الأبد آمين (ع ٢٤ ، ٢٥)

ترد عبارة « أسلمهم الله » هنا ثلاث مرات — فى (ع ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨) وهو تسليم قضائى يأتى نتيجة لرفضهم أن يشكروا الله ويمجدوه . فالله يعطى الإنسان الفرصة تلو الفرصة ويطيل أناته عليه ، ولكن إذ يصر الإنسان على العناد وقساوة القلب يسلمه الله لذاته ليختم على دينونته . هذا ما فعله الله مع الأمم الوثنيين كما نقرأ هنا ، إذ أسلمهم الله فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم كما نرى فى ع ٢٦ و٢٧ نظراً لارتباط العبادة الوثنية بهذه الشرور .

كما أنه فعل ذلك مع الشعب القديم كما نقرأ فى (إش ٦ : ١٠) « غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » (انظر أيضاً مت ١٣ : ١٤) . وهذا تم معهم عندما أتى إليهم المسيح ورفضوه . وهذا أيضاً ماسيفعله مع المسيحية الإسمية المرتدة

بعد اختطاف المؤمنين الحقيقيين كما جاء فى (٢ تس ٢ : ١٠ — ١٢) « لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا . ولأجل هـــذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم » .

عندما يفلت أناس من يد الحاجز الإلهى ينطلقون للانغماس فى شهوات قلوبهم إلى أحط درجات النجاسة والدنس . ونتيجة لذلك يهينون أجسادهم بين ذواتهم . نعم إن الخطية — ليس لها قصاصها الأبدى فقط ، بل عارها وهوانها هنا ، ونتائجها المريرة المذلة فى أجساد الناس .

الله هو « الحق » . وكل الآلهة الأخرى تسمى هنا « الكذب » وهذه هى نفس الكلمة المستعملة عن « الأثيم » « ضد المسيح » فى (٢ تس ٢ : ١١) « حتى يصدقوا الكذب » . ويعقد الرسول مقابلة بين المخلوق الحقير الذى اتقاه وعبده الناس ، وبين الخالق العظيم الذى هو مبارك إلى الأبد آمين .

لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان . لأن اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة . وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق (ع٢٦، ٢٧)

هذه هى المرة الثانية التى يذكر فيها أن الله أسلمهم . وهنا نجد إنحطاطاً أكثر شناعة . فهناك شهوات قلوبهم ، لكن هنا ما هو أحط « أهواء الهوان » . هناك غرائز طبيعية فى الجسد ، وسوء استعمال لهذه الغرائز وهو ما يشار إليه بالزنا والعهارة . ولكن هناك ماهو أحط من ذلك وهى « أهواء الهوان » أى الشهوات الشاذة غير الطبيعية التى تنزل بالإنسان إلى ما هو أحط من الحيوان . والله يسلمهم لهذه الأمور المهينة المخجلة ليستعبدوا لها ،

ويجعلهم ينالون فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق ، أى الأمراض الخبيثة والنتائج الوبيلة التى تترتب على هذا الضلال الفظيع .

يا لها من أوصاف مخزية مخجلة تشهد عما انغمست فيه البشرية بل واستعبدت له بواسطة شهواتها التى ليس لها حاجز أو وازع . وبكل حزن وألم يقطع نياط القلب نقول إنه فى البلاد المسيحية بالإسم فى أيامنا الحاضرة تمارس هذه الشرور الشاذة الفظيعة المخجلة بكيفية علنية بدون حياء أو خجل.

أما نحن المؤمنون فنحنى رؤوسنا خجلا أمام هذه الصورة المذلة[1] إذ نرى فيها صورتنا بحسب الطبيعة لأن طبيعتنا الفاسدة لا تمتاز شيئاً عن طبيعتهم إذ كنا « بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين » (أف ٢ : ٣) . ولكن هذه الصورة فى الوقت نفسه تعظم نعمة الله التى افتقدتنا ، وتزيدنا شكراً وتعبداً لفادينا ومحررنا العظيم .

« وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلا وخصاماً ومكراً وسوءاً . نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة» (ع ٢٨ — ٣١)

ترد هنا للمرة الثالثة العبارة القضائية « أسلمهم الله » ولكن يقول الوحى فى هذه المرة « إلى ذهن مرفوض » وذلك لأنهم رفضوا الله ولم يستحسنوا أن يبقوه فى معرفتهم . وهذه الكلمة تعنى أيضاً « ذهن غير مميز » . ولذلك

---

(١) يسجل الوحى الإلهى نفس هذه الصورة فى الأصحاح العشرين من سفر اللاويين لكشف حالة القلب البشرى ، وما يتعرض الإنسان للوقوع فيه من شرور يندى لها الجبين .

انغمسوا فى هذه القائمة السوداء المطولة من الشرور المهينة . ونرى ثلاثة أنواع من هذه الشرور : (١) شرور شخصية . (٢) شرور فى علاقة الإنسان مع الآخرين ومع الله . (٣) شرور أكثر كثافة وعمقاً . وتبلغ هذه الشرور فى مجموعها ثلاثة وعشرين شراً . ونلاحظ أن الوحى يقول إن الناس لم يحصلوا على قسط قليل بل على أوفر قسط من هذه الشرور بدون حدود أو ضوابط « مملوئين » و « مشحونين » . ومع أنه ليس من العسير فهم مضمون هذه الشرور ولكنه يمكننا أن نلقى نظرة سريعة عليها .

فالخمسة الأولى فيها شرور شخصية « إثم وزنا وشر وطمع وخبث » يا لها من شرور فظيعة تدور كلها حول محبة الذات وإشباع شهواتها بطمع وشراهة . و « الشر » هو صفة الشيطان المدعو « الشرير » ، وأجناده « أجناد الشر » . فالإنسان الطبيعى البعيد عن الله مملوء بهذه الصفات الرديئة .

والسبع الصفات التالية فيها أضرار بالآخرين وهى « حسداً وقتلا وخصاماً ومكراً وسوءاً نمامين مفترين » . ونلاحظ أن الحسد ينشأ من محبة الذات والبغضة للآخرين لدرجة أن الحسود يتمنى تجريدهم مما لهم للحصول عليه لنفسه . ويتبع الحسد القتل وهذا مافعله الناس بالرب يسوع إذ أسلموه حسداً . وهكذا نجد ثلاث حلقات مرتبطة معاً : البغضة ، والحسد ، والقتل .

وإذا تلفتنا إلى العالم حولنا الآن لرأينا انطباقاً كاملا لتصوير الوحى هنا على علاقات الناس الشخصية ، وعلاقات الأمم السياسية — الخصام والمكر والسوء والنميمة والإفتراء . يلى ذلك « مبغضين لله » وترد هذه الصفة فى الوسط كأنها مركز الدائرة الذى منه تنبع كل هذه الشرور . وهذا هو موقف الإنسان الطبيعى لأن « اهتمام الجسد هو عداوة لله » وأيضاً « من أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » .

والأربع الصفات التالية هى شرور شخصية أكثر كثافة ورداءة « ثالبين ، متعظمين ، مدعين ، مبتدعين شروراً » .

والست الصفات الباقية جميعها سلبية مضادة لما يجب أن يكون عليه الإنسان . وأول هذه الصفات « غير طائعين للوالدين » ويخبرنا الوحي أن هذه الصفة تزداد بروزاً في الأيام الأخيرة (انظر ٢ تى ٣ : ١ و ٢) وهى تكتسح العالم فى هذه الأيام ، مما يدل على إننا فعلا فى آخر الأيام الأخيرة ، ففي جميع أنحاء العالم يرفض الشباب علناً إطاعة الوالدين . وبما أن طاعة الوالدين وصية مقترنة بوعد البركة « أول وصية بوعد » (أف ٦ : ٢) فمخالفتها تقترن باللعنة على العائلات والمجتمعات والممالك . ولا يفوتنا أن نورد هنا عبارة الحكيم الخطيرة « العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها تقورها غربان الوادى وتأكلها فراخ النسر » (أم ٣٠ : ١٧) .

« بلا فهم » للأمور الروحية مع ازدياد الفهم فى الأمور الطبيعية والعلمية ، وذلك لأن « الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ولا يقدر أن يعرفه » (١ كو ٢ : ١٤) . « ولا عهد » أى عدم التقيد بأية إرتباطات إلا فيما يخدم المصالح الذاتية . وهكذا نرى فى العالم الآن نقض العقود والاتفاقات فى الأعمال ، ونقض المعاهدات بين الدول وبعضها ، وعدم احترام مواثيق الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات .

« ولا حنو » أى التجرد حتى من العاطفة الطبيعية . وفى هذا ينحط الإنسان إلى ما هو أدنى من الحيوان . « ولا رضى » أى فى تذمر دائم ، وبالتالى فى عدم سلام . « ولا رحمة » أى فى قساوة قلب فى معاملة الآخرين . مع أن الله يعامل البشر وهم عصاة ، بالرحمة ، وهو « يسر بالرحمة » .

ولا يخطرن ببالنا أن هذه الصفات كانت صفات الأمم الوثنيين غير المتمدينين فقط ، ولكنها فى الواقع تدمغ الجنس البشرى كله[1] . ونراها

---

(١) نلاحظ أن مجموعة هذه الشرور تضاد وصايا الله العشر التى هى القياس الأدبى الذى أعطاه الله للانسان . فمثلا «مبغضين لله» تضاد الوصايا الأربع الأولى=

واضحة بل ومجسمة فى العصر الحاضر الذى يعتبرونه عصر الرقى والمدنية .

الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسرون بالذين يعملون (ع ٣٢)

فى هذه الآية تواجهنا ثلاث حقائق مرعبة : الأولى — أن الناس عرفوا تماماً حكم الله على طرقهم ، واقتنعوا فى داخلهم أن هناك دينونة إلهية تلاحقهم . والثانية — أنهم أصروا على أعمالهم الشريرة بالرغم من شهادة ضميرهم . والثالثة — أنهم يسرون بالذين يعملون هذه الشرور مثلهم .

يا لها من أوصاف مريعة لعالم الأثمة الذى نعيش فيه ، وللطبيعة البشرية الفاسدة التى لا تبغض الله فقط ، بل تمعن فى إشهار العداء ضده . بعد هذه القائمة السوداء التى تصور حقيقة الإنسان الطبيعى وحقيقة أفعاله تصويراً صادقاً بقلم الروح القدس الذى يفحص القلوب والكلى ، بعد كل هذا ، هل من عجب أن يكون غضب الله معلناً من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم ؟

كلا . وإنما العجب كل العجب أن يكون « بر الله » معلناً لهؤلاء الناس الأشرار ، معلناً فى الإنجيل لا على أساس أعمال تطلب منهم بل على أساس الإيمان بما عمله المسيح لأجلنا . وهذا ما سنراه فى الأصحاح الثالث بعد أن يثبت الرسول الذنب والإدانة على الفلاسفة ، وعلى اليهود ، على قدم المساواة مع الأمم الوثنيين بلا فرق ولا تمييز .

= (القسم الخاص بالله) و « غير طائعين للوالدين » تضاد الوصية الخامسة . و « مشحونين حسداً وقتلا » تضاد الوصية السادسة و « مملوئين من كل زنا » ضد الوصية السابعة و « مملوئين من كل إثم وطمع » ضد الوصية الثامنة ... وهكذا .

الأصحاح الثانى

لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين ، لأنك فى ما تدين غيرك تحكم على نفسك. لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها (ع ١)

يتابع الرسول فى هذا الأصحاح إثبات انحطاط الإنسان وفساده ، وحاجته إلى البر . لقد كشف لنا فى الأصحاح الأول عن تاريخ الجنس البشرى فى الشر والوثنية لاسيما بعد الطوفان ، وأعطانا فى نهايته تلك القائمة المريعة من الخطايا التى تزيد عن العشرين عداً . ولكن الإنسان من السهل أن يستثنى نفسه من الآخرين ويظن أن هذه الأوصاف إنما تنطبق على غيره ، ناظراً إلى نفسه بأنه أفضل منهم . ويستتبع ذلك أنه ينصب نفسه قاضياً ودياناً للآخرين . هكذا هم المراؤون دائماً الذين صب عليهم الرب فى أيام جسده جامات ويلاته وكشف عن حقيقتهم : إنهم فى الظاهر كالقبور المبيضة وفى الداخل مملوؤون من كل فساد ونجاسة . ولقد أحاط فريق من هؤلاء المرائين بامرأة خاطئة وطلبوا حكم الرب عليها فانحنى إلى أسفل فى صمت رهيب وكان يكتب بأصبعه على الأرض . ثم انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر . ثم عاد إلى الانحناء والكتابة . وفى توره الفاحص قرأوا فيما كتب الرب على الأرض خطاياهم وشرورهم ، وإذ «كانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين» (يو ٨ : ٦ - ٩)

فى هذا الأصحاح نجد فريقين من أولئك المرائين الذين يدينون غيرهم ويحكمون عليهم وهم يفعلون مثلهم : الفريق الأول ، ونجدهم من ع ١ - ١١ يظنون أنهم أفضل من الآخرين بالنسبة لتهذيبهم وثقافتهم وفلسفتهم . ويمكننا

أن نطلق على هؤلاء اسم « الخطاة المحترمين » (من الناس فقط) والفريق الثانى نجدهم من ع ١٧ إلى آخر الأصحاح ويمكننا أن نطلق عليهم اسم « الخطاة المتدينين » ولعل حالة هؤلاء ممقوتة فى نظر الله أكثر من أولئك لأنه « لا يطيق الإثم والاعتكاف » ويجب أن لا ننسى تطبيق أقوال الله على أنفسنا فلا نحسب أنفسنا أفضل من غيرنا لأن الله قصد أن يستعرض جميع البشر على اختلاف طبقاتهم ليأتى لنا بهذه النتيجة الحاسمة أنه « لا فرق إذ الجميع أخطأوا » وأنه لا عذر لأحد[1] وأن الجميع « تحت قصاص من الله » وتحت دينونته العادلة لا يمكن أن ينجو منها أحد .

ويضع الوحى هنا سبعة مبادئ عظيمة لدينونة الله : (١) أنها « حسب الحق » (ع ٢) (٢) أنها « عادلة » وبحسب ما يذخره الإنسان لنفسه من الخطايا (ع ٥) (٣) أنها « بحسب الأعمال » (ع ٦) (٤) « أنها بدون محاباة » (ع ١١) (٥) أنها ليست بحسب ما يعلمه الإنسان بل ما يعمله (ع ١٣) (٦) أنها تتعمق إلى « سرائر الناس » (ع ١٦) (٧) أنها بحسب حقيقة الإنسان وليس بحسب مظهره التدينى (ع ١٧ — ١٩)

ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه (ع٢)

نجد هنا المبدأ الأول من مبادئ دينونة الله وهو أنها « حسب الحق » إن الإنسان بطبيعته أعمى لا يستطيع أن يرى حقيقة حاله ولا يميز أعماله الشريرة ولذلك فهو يغتر بذاته ويطمئن نفسه طمأنينة كاذبة بأنه سوف لا تقع عليه دينونة الله . ولكن الله يرى حقائق الأمور بل يحدد ببصره الفاحص

(١) جاءت عبارة « بلا عذر » فى ص ١ : ٢٠ عن الوثنيين ، وترد هنا عن الفلاسفة الذين يدينون غيرهم وفى الواقع أن الله فى سامى حكمته يجعل كل إنسان « بلا عذر » .

إلى ماوراء الحقائق ، إلى البواعث الداخلية وبذلك فهو إله بار ، ودينونته هى « حسب الحق » وأكبر دليل على ذلك هو أنه لم يشفق على ابنه الوحيد حينما كان حاملا خطايانا فى جسده على الخشبة . لكن كما أن الصليب أعظم دليل على دينونة الله العادلة،هكذا هو أعظم دليل على محبة الله للبشر ورغبته فى أن يخلصهم لا أن يدينهم ، وأن الدينونة إنما هى « عمله الغريب » (إش ٢٨ : ٢١) . ويستطيع الإنسان أن يتمتع بمحبة الله وخلاصه عندما يقتنع أولا بدون مكابرة بفساده واستحقاقه للدينونة . وهذا الاقتناع يأتى نتيجة للإستجابة لتبكيت الروح القدس وجهاده مع النفس ، ثم بالإيمان بمحبة الله له ورحمته الظاهرتين فى صليب المسيح . فغير المؤمن يحكم علىغيره ولا يرى شيئاً رديئاً فى نفسه ، وأما المؤمن فيحكم على نفسه ولا يرى فيها شيئاً حسناً . وهذا مافعله اللص التائب إذ أقر قائلا « أما نحن فبعدل لأننا ننال إستحقاق ما فعلنا » ثم أردف قائلا « وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله اذكرنى يارب » .

أفتظن هذا أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها إنك تنجو من دينونة الله ، أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة (ع ٣ ، ٤)

يكشف لنا الروح القدس هنا عن طريقين يحاول بهما الإنسان فى غباوة قلبه أن يهرب من دينونة الله . فمعنى ذلك أنه مقتنع فى ضميره بأنه مسئول أمام الله خالقه وجابله وأن لله دينونة رهيبة يجب أن يجابهها الإنسان ولكنه يحاول النجاة منها . وهذا جميل فى ذاته لأنه يوجد فعلا طريق للنجاة من دينونة الله - طريق أعده الله نفسه . ونجده فى مستهل الأصحاح الثامن من هذه الرسالة « إذاً لاشىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » ولكن محاولة الإنسان الطبيعى للنجاة من دينونة الله هى محاولة

الأعمى المتعثر النجاة من قبضة يد المبصر القوى . والطريق الأول الذى يحاول به الإنسان الطبيعى أن ينجو من دينونة الله هو أنه يدين غيره ممن يفعلون الشر كأنه هو أفضل منهم . وكأنه يريد أن يخدع الله جل جلاله كما يخدع رفقاءه من البشر ويموه عليهم . وباتخاذه مركز الفيلسوف الديان يضع نفسه فى مستوى أرفع من مستوى الآخرين ، ولكن الله الفاحص القلوب يكشفه ويقول له « وأنت تفعلها » . ربما يفعلها فى السر ويحاول أن يخفى ما يفعله عن عيون الآخرين ولكن الله يواجهه بالقول « وأنت تفعلها » ولن يستطيع الإنكار .

والطريق الثانى الذى به يحاول الإنسان أن ينجو من دينونة الله هو أن يوهم نفسه بأن إمهال الله وطول أناته معناه أن الأمر قد غاب عن نظر الله وربما نسيه ، وبذلك يبعد الإنسان عن نفسه حقيقة الدينونة ويغمض عينيه عنها كالنعامة التى تخفى رأسها فى الرمال وتعتقد أنه بذلك لا يراها الصياد .وقد أشار إلى ذلك الحكيم بقوله « لأن القضاء على العمل الردىء لا يجرى سريعاً فلذلك قد امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر » (جا ٨ : ١١)

ونلاحظ تدرج الأقوال « غنى لطفه » ثم « إمهاله » ثم « طول أناته » فالله يعامل الإنسان لا باللطف فقط ، بل بغنى لطفه . فبالرغم من شره وجحوده يشبعه بالخير ، ويرمقه بالعناية ، ويحفظه من الأخطار . ومع ذلك يستهين الإنسان بل يحتقر « غنى لطف الله » . ولكن الله يتمهل عليه ، ويتمهل عليه كثيراً ، ويستمر فى إغداق الخير عليه وإحاطته بالحفظ والعناية ، والإنسان فى قساوته يستمر مستهيناً بغنى لطف الله ، ولكن الله لا يتمهل عليه فقط بل يعامله « بطول الأناة » كما يقول الرسول فى (ص ٩ : ٢٢) « احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة (أى هيأت نفسها بقساوتها) للهلاك»

وغرض الله من كل ذلك هو أن يقتاد النفس إلى التوبة[١] «غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة » أى أنه من شأن لطف الله أن يخجل الإنسان ويكشف له رداءته ويقتاده إلى الحكم على ذاته فيقول مع أرميا « لأنى بعد رجوعى ندمت وبعد تعلمى صفقت على فخذى . خزيت وخجلت » (أر ٣١ : ١٩)

ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة (ع ٥)

إن الفلسفة وقشرة الآداب الخارجية بدون عمل الله فى القلب إنما تقود إلى القساوة والاستهانة بمعاملات الله الرقيقة . ولكن الإنسان لا يخدع إلا نفسه أما الله فلا يشمخ عليه . فبعد أن ينتهى يوم نعمة الله وطول أناته لابد أن يأتى يوم الغضب واستعلان دينونته العادلة . وحينئذ يحضر الله كل عمل إلى الدينونة العادلة ، وهذا هو المبدأ الثانى من مبادىء دينونة الله التى أشرنا إليها . إن الإنسان الذى يقسى قلبه إنما « يذخر لنفسه » ويا لشر مايذخر « غضباً » . ولنلاحظ المفارقات العجيبة بين هذا العدد والأعداد السابقة (ا) غنى لطف الله وإمهاله وطول أناته تقابلها قساوة الإنسان

(ب) رغبة الله الحارة فى أن يقتاده إلى التوبة يقابلها قلبه غير التائب

(حـ) اكتناز غنى لطف الله يقابله تذخير واكتناز الغضب

(د) إدانة الآخرين يقابلها دينونة لنفسه وليس للآخرين

---

(١) كان اليهود يعتقدون أن من تقع عليهم الكوارث هم أكثر الناس شراً وبذلك كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل منهم . ولكن الرب أوضح لهم أن أفكارهم خاطئة وأن الله إنما يعطيهم إنذارات لكى يتوبوا قائلا لهم « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣ و ٥)

(هـ) طول أناة الله يقابلها « استعلان دينونته » . كل هـــذا يحدث لا للفاجر المتهور بل للفيلسوف الأديب الذى يحتقر غيره ويدينه

ولكن شكراً لله لأنه قبل تنفيذ الغضب سبق فأعلنه من السماء لأجل تحذير البشر ، وقبل انصباب الدينونة يطيل أناته عليهم ويغمرهم بلطفه ومراحمه لكي يقتادهم إلى التوبة . فإذا لم تثمر فيهم هذه المعاملة الطيبة فليعلموا أنهم بذلك يذخرون لأنفسهم يوماً بعد يوم غضباً فوق غضب لينصب عليهم فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة . ليت كل شخص بعيد ينتهز الفرصة الآن لقبول المسيح فى القلب بالإيمان حتى ينتقل من الموت إلى الحياة ولا يأتى إلى دينونة البتة

الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله . أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية . وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودى أولاً ثم اليونانى. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودى أولاً ثم اليونانى (ع ٦ — ١٠)

هنا نجد المبدأ الثالث للدينونة وهو أنها « بحسب الأعمال » . إن دينونة الله العادلة ستتم أمام العرش العظيم الأبيض كما نجد وصفها الرهيب فى رؤ ٢٠ هناك ستفتح الأسفار ويدان جميع الأشرار لا بحسب ما تظاهروا به من الآداب والسفسطة بل بحسب أعمالهم المسجلة فى الاسفار .

ونجد أمامنا هنا فريقين من الناس : فريق « يطلبون المجد والكرامة والبقاء » وفى سبيل الحصول على ذلك « يطاوعون الحق[1] » ، وثمرة هذه

(١) كان شاول الطرسوسى مقاوماً للحق ولكن لما أظهر الرب ذاته له فى الطريق إلى دمشق يقول «لم أكن معانداً للرؤيا السماوية » لقد طاوع الحق

المطاوعة أنهم « يفعلون الصلاح » و « يثابرون بصبر في العمل الصالح » والله العادل فى حكمه يجازيهم «بالحياة الابدية» و«المجد والكرامة والسلام» والفريق الثانى ويوصفون بأنهم « من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم » وثمرة ذلك أنهم « يفعلون الشر » والله العادل فى حكمه يجازيهم « بالسخط والغضب والشدة والضيق » ولا فرق أمام عدالة الله فى حكمه بين اليهودى واليونانى لانه « ليس عند الله محاباة » ولكن كما أن إنجيل المسيح هو « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى » ص ١ : ١٦ هكذا مجازاة الله العادلة هى « لليهودى أولا ثم لليونانى » لأن الذى يتقدم فى الامتياز تقع عليه مسئولية أكبر .

ونكرر القول أن المراد هنا هو إظهار مبادىء الله العادلة فى الحكم والدينونة وليس إظهار الطريق للحصول على الحياة الأبدية فلا يمكن أن يُفهم من هذه الأقوال أن نوال الحياة الأبدية هو « بالعمل الصالح » بل بالعكس فى « المطاوعة للحق » . والحق هو الذى أعلنه الرب له المجد بقوله « الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) وأيضاً « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦) .

ثم نلاحظ أيضا أن الرب يسوع قال فى يوحنا ٦ : ٢٧ — ٢٩ «اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية ... فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله . أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله » ونفهم من هذا أن الخاطىء لكى يحصل على الحياة الأبدية يجب أن يؤمن بابن الله .

والأعمال الصالحة تأتى ثمرة للإيمان بالمسيح وقبوله فى القلب أى نتيجة للمطاوعة للحق كما أن المثابرة بصبر فى العمل الصالح تأتى نتيجة لنعمة الله وعمل

الروح القدس فى القلب . عن غير هذا الطريق كيف يمكن أن يكون للإنسان « عمل صالح » فإن طبيعته الشريرة لا يمكن أن يصدر منها إلا الأعمال الشريرة . هى شجرة رديئة لا يمكن إلا أن تأتى بالأثمار الرديئة كما رأينا فى الأصحاح الأول وكما سنرى فى الأصحاح الثالث « الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » (ع ١٢) . وكما هو واضح على صفحات الكتاب المقدس كله أن المؤمن وحده بلا شك هو الذى يستطيع أن يعمل الأعمال المرضية لله « لأنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » (عب ١١ : ٦) . والمؤمن وحده هو الذى يمتلك المجد والكرامة والسلام فى المسيح .

ونلاحظ أن « الحياة الأبدية » تذكر هنا لا كأنها ملك حاضر لمن يؤمن بالمسيح كما هو موضح فى إنجيل يوحنا بل بأنها نهاية طريق المؤمن[1] الذى تتصف حياته بداهة بالمثابرة فى العمل الصالح . وفى هذه الرسالة يجمع الرسول بين هاتين الصفتين للحياة الأبدية فى فصل واحد «وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية » هذه هى صفة الحياة الأبدية فى النهاية كما نجدها هنا فى الأصحاح الثانى تماماً . ولكن الرسول يستطرد فيقول « لأن أجرة الخطية هى موت وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٢٢ ، ٢٣) وهذه الأخيرة هى صفة الحياة الأبدية التى نمتلكها الآن بالإيمان بالمسيح كما يذكر كثيراً فى إنجيل يوحنا .

ونجد على صفحات الوحى المقدس عينات كثيرة من الفريقين : فمن فريق المطاوعين للحق نجد هابيل الذى قدم ذبيحة مقراً باستحقاقه للموت ، وإبرهيم الذى أطاع الدعوة وتبع الله بالإيمان . ويعبيص الذى كان أشرف من إخوته فطلب من الله أن يحفظه من الشر ، والعشار الذى قرع

(١) هذه الصفة للحياة الأبدية كما سنتمتع بها كاملة عند اختطافنا للمجد نجدها أيضاً فى قول الرسول « أمسك بالحياة الأبدية التى إليها دعيت» (١ تى ٦ : ١٢) .

على صدره وصرخ بالإيمان « اللهم ارحمني أنا الخاطيء » . ومن فريق أهل التحزب الذين لم يطاوعوا للحق بل طاوعوا الإثم ، قايين الذى رفض أن يعمل حسناً فيرفع الله وجهه وقام على أخيه وقتله ، وعيسو المستبيح الذى احتقر البكورية واختار طريق شهوات الجسد ، وفرعون الذى صلّب رقبته وقسى قلبه وقال « من هو الله حتى أسمع لصوته » ويهوياقيم المرتد الذى مزق كتاب الله بمبراة الكاتب وأحرق نبوات إرميا ، والكتبة والفريسيون الذين رفضوا معمودية يوحنا — معمودية التوبة . والعالم الآن ملىء من أمثال هؤلاء الذين لا بد أن تلحقهم الدينونة العادلة .

وما أكبر الفرق بين مصير المؤمنين الذين يطاوعون الحق ومصير الأشرار الذين لا يطاوعون الحق بل يطاوعون الإثم . إن مصير الأولين هو المجد والكرامة والسلام . يا لها من بركات ثمينة يتمتع بها المؤمن هنا . ويتمتع بها على الوجه الأكمل فى الأبدية . أما مصير الأشرار فهو سخط وغضب وشدة وضيق . ويكفى أن نورد بعض الآيات لنبين هول هذا المصير : « يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦) وأيضاً « من يقف أمام سخطه ومن يقوم فى حمو غضبه . غيظه ينسكب كالنار والصخور تنهدم منه » (نا ١ : ٦) وأيضاً « من منا يسكن فى نار آكلة من منا يسكن فى وقائد أبدية » (إش ٣٣ : ١٤) .

لأنه ليس عند الله محاباة (ع ١١) .

هذا هو المبدأ الرابع من مبادىء دينونة الله « بدون محاباة » . المحاباة من صفات البشر الخطاة الذين يصفهم يهوذا بقوله « يحابون بالوجوه من أجل المنفعة » (يه ١٦) ويحذرنا يعقوب من هذه الصفة قائلا « لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد فى المحاباة » (يع ٢ : ١) أما الله فليس عنده محاباة وحتى بين أولاده « يحكم بغير محاباة » (١ بط ١ : ١٧) وأكبر دليل على ذلك أنه عندما كان ابنه الحبيب على الصليب حاملا خطايانا

أوقع عليه كل الدينونة بدون محاباة « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » (رو ٨ : ٣٢) .

لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك وكل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يدان (ع ١٢)

يقصد الرسول إثبات الخطية والهلاك على الجميع على السواء فبدون الناموس أخطأ الإنسان وأجرة الخطية هى الموت ، الهلاك الأبدى . وفى الناموس أخطأ الإنسان أيضاً وتعدى الناموس والنتيجة هى الدينونة التى يقضى بها الناموس نفسه . وهى نفس النتيجة السابقة «الموت والهلاك الأبدى» وفى هذه الحالة الأخيرة الناموس نفسه هو الذى يوجه الاتهام إلى الإنسان ويدينه كما قال الرب « موسى هو الذى يشكوكم » ولا يعتبر هذا فشلا للناموس بل نجاحاً له لأن مهمته هى إظهار الخطية وإدانتها .

يظن الكثيرون أن جميع الناس على السواء هم تحت الناموس وأن الجميع سيدانون بموجب الناموس ولكن يبين الرسول هنا بوضوح أنه يوجد فريقان : فريق بدون الناموس وفريق فى الناموس أو تحت الناموس وهما : الأمم واليهود .

فالناموس لم يكن الأمم بل لليهود ونجد ذلك أكثر وضوحاً فى ص٣: ١٩ حيث يقول الرسول « نحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس » . وأيضاً يقول الرسول نفسه « فصرت للذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس » (١ كو ٩ : ٢٠ ، ٢١) . وفى الأصحاح الأول من هذه الرسالة حيث يتكلم الرسول عن مسئولية الأمم وإثبات الذنب عليهم لا يتكلم عن مخالفتهم للناموس بل عن شهادة الخليقة والضمير .

توجد بالأسف بين بعض المسيحيين أفكار خاطئة بأن الذين ليس لهم نور الإنجيل يمكن أن يخلصوا بعبورهم فى المطهر أو غير ذلك من النظريات

البشرية الخاطئة وذلك بحجة أن صلاح الله ورحمته لا يسمحان بهلاك الإنسان . والرسول يرد عليهم فى الأصحاح الثالث كما سنرى إذ يتساءل « ألعل الله الذى يجلب الغضب ظالم ؟ حاشا » . وسبق أن رأينا فيما تقدم أن الإنسان حتى بدون نور الإنجيل هو بلا « عذر » (ص ١ : ٢٠ ، ٢ : ١) .

ومن ع ١٣ — ع ١٥ أقوال معترضة كأنها بين قوسين حيث يتصل الكلام فى ع ١٦ مع الكلام فى ع ١٢ هكذا « كل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يدان فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس » .

لأنه ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون (ع ١٣) .

فالعبرة ليست بالحصول على الحق الإلهى - سماعه أو معرفته ، بل بالخضوع والطاعة القلبية له . فخداع القلب البشرى يغرى الإنسان ببر ذاتى ويعطيه سلاماً كاذباً . ولا يقصد الوحى هنا طبعاً أن يقول إن التبرير هو بعمل الناموس لأنه ينقض ذلك صريحاً فى أماكن أخرى كثيرة مثل «ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا» (غلا ٣ : ١١) وأيضاً «نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح » (غلا ٢ : ١٦) . وأيضاً « لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما ... لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب » (غلا ٢ : ١٦ ، ٢١) .

فالقول « ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » لا يقصد به أن التبرير هو بالناموس بل أن العبرة ليست بمجرد السماع بل بالطاعة والعمل - الأمرين اللذين لم يتممهما أحد ، فالقول إذاً « هم يبررون » افتراضى . وهذا هو المبدأ الخامس لدينونة الله أنه يدين الذين يسمعون ولا يعملون .

لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم (ع ١٤).

هذه الآية أيضاً هى ضمن الآيات الكثيرة التى تثبت أن الناموس ليس الأمم . فالأمم مع أنه ليس لهم الناموس هم بتكوينهم الأدبى « ناموس لأنفسهم » ، والطبيعة نفسها تعلمهم أشياء كثيرة بحسب فكر الله « أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم » (١ كو ١١ : ١٤) .

الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينهم مشتكية أو محتجة (ع ١٥)

ليس المقصود هنا أن لهم الناموس مكتوباً فى قلوبهم كما سيفعل الله مستقبلا مع التائبين من شعبه حيث يقول الرب « أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم » (عب ٨ : ١٠) بل المقصود « عمل الناموس » ، وهو إقناع الإنسان بالخطية وإدانته عليها . هذا العمل مكتوب فى داخل كيانهم الأدبى يجعلهم يميزون بين الخير والشر ، فضميرهم وأفكارهم تشتكى ضدهم عند ما يخطئون أو تحتج فى صالحهم عند ما يفعلون حسناً .

فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح (ع ١٦)

هنا نجد المبدأ السادس من مبادىء دينونة الله وهو أنه يدين السرائر . ومع أن ضمير الإنسان يشتكى أو يحتج ولكن هذا الضمير أحياناً يكون موسوماً أو غير مستقيم فلا يؤدى عمله تماماً . أما دينونة الله فهى بحسب سرائر الناس التى ستنكشف فى ذلك اليوم . وحتى المؤمنون مع أنهم لا يأتون إلى دينونة ولكن عند ما يظهرون أمام كرسى المسيح « سينير (الرب) خفايا

الظلام ويظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله » (١ كو ٤ : ٥) .

لقد أوقع الله عقوبات ودينونات أرضية كما فى الطوفان وفى حريق سدوم وعمورة ولكن إدانته لسرائر الناس شيء آخر أكثر عمقاً وهولا . ويقول الرسول إن هذا بحسب إنجيله . إن الإنجيل كما كان يقدمه الرسول هو الذى يعلن نعمة الله المخلصة ، ويعلن المجد السماوى للمسيح المقام من الأموات ، ويعلن أيضاً أن الله سيدين سرائر الناس بيسوع المسيح فى اليوم العظيم القادم . وكما قال الرب يسوع نفسه « الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢)

هوذا أنت تسمى يهودياً وتتكل على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلماً من الناموس (ع ١٧ و ١٨) .

نجد هنا المبدأ السابع من مبادىء دينونة الله وهو أنها لاتعنى المعترف اعترافاً أسمياً سواء أكان يهودياً بالإسم أو مسيحياً بالإسم . ويبدأ الرسول من هذين العددين يخاطب اليهودى ويعدد الامتيازات التى يفاخر بها ويعتمد عليها ، تلك الامتيازات التى من شأنها أن تجعله أكثر مذنوبية من الأممى الذى ليس عنده مثل هذا النور الذى يكشف له شناعة الخطية ويعطيه الإحساس الدقيق بها . ولكن عوضاً عن شعوره بثقل المسئولية وعجزه عن القيام بها قادته تلك الامتيازات إلى التفاخر الكاذب على غيره . فهو يفتخر على الأممى بأنه يعبد الله الحى الحقيقى وليس الأوثان البكم ويعرف مشيئته المعلنة فى الناموس ، ويميز الأمور المتخالفة متعلماً من الناموس ومع ذلك فهو لايتمم مشيئة الله ولا يسلك بحسب وصاياه التى علمه إياها .

وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق فى الناموس فأنت إذاً الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك ؟ الذى تكرز أن لا يسرق أتسرق ؟ الذى تقول أن لا يزنى أتزنى ؟ الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل ؟ الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله ؟ لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب (ع ١٩ — ٢٤)

نرى فى هذه الأعداد صفات الرياء والاعتداد بالذات والاهتمام بالمظاهر الخارجية بدون حياة أو تقوى مثل الفريسيين الذين كشف الرب يسوع حقيقتهم ووبخهم على شرورهم ووصفهم بأنهم جهال وعميان يتخذون مركز المعلمين كأنهم قد جلسوا على كرسى موسى ويضعون على أكتاف الناس أحمالا ثقيلة وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، وأنهم يطيلون الصلوات ومن الناحية الأخرى يأكلون بيوت الأرامل (مت ٢٣) ويقول الرسول هنا « وتثق أنك قائد للعميان » هذه ثقة فى نفسه لا فى الله . وأيضاً « لك صورة العلم والحق » الصورة الخارجية بدون تقوى حقيقية ولكن الله لا يأخذ بالمظهر الخارجى بل ينظر إلى القلب . ويقول أيضاً إنهم يعلمون غيرهم ولا يسلكون هم أنفسهم بحسب ذلك التعليم وبذلك يأخذون دينونة أعظم . وهذا المبدأ نفسه ينطبق حتى على المؤمنين كما يقول يعقوب « لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة (أى تأديباً) أعظم » (يع ٣ : ١) .

وما أكبر الفرق بينهم وبين الرسول الذى يقول لابنه تيموثاوس « كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف ... لاحظ نفسك والتعليم » (١ تى ٤ : ١٢ ، ١٦) ويشير إلى نفسه بالقول « وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى

وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى » (٢ تى ٣ : ١٠) والمثال الكامل هو الرب يسوع المسيح الذى قال عن نفسه « أنا من البدء ما أكلمكم به » (يو ٨ : ٢٥) وقال لتلاميذه « من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » .

ويقول الرسول بعد ذلك « الذى تكرز أن لا يسرق أتسرق . الذى تقول أن لا يزنى أتزنى » ولمثل هذا قال آساف قديماً « وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك ... إذا رأيت سارقاً وافقته ومع الزناة نصيبك ... افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا أفترسكم ولا منقذ » (مز ٥٠ : ١٦ — ٢٢) فيصفهم هنا بأنهم « ناسون الله » لأنهم لا يفحصون سرائرهم بل يكتفون بمظهرهم الخارجى وادعائهم الكاذب .

ثم يقول الرسول فى ع ٢٣ « الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله » ذلك لأنه يرتكب الشر وهو يعلم أن الله قد نهى عنه . يعرف مشيئة الله من الناموس (ع ١٨) ولكنه يخالفها ويتعدى عليها وبذلك هو يهين الله إذ يعصاه علناً ، ولذلك يقول الرسول « لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب » وهو يستشهد بما جاء فى (إش ٥٢ : ٥) « ودائماً كل يوم اسمى يهان » وأيضاً « فلما جاءوا إلى الأمم ... نجسوا اسمى القدوس ... فتحننت على اسمى القدوس الذى نجسه بيت إسرائيل فى الأمم » (حز ٣٦ : ٢٠ ، ٢١) . والخلاصة أن الله يريد الحقيقة فى الخفاء وليس المظهر الخارجى الفارغ . ونلاحظ فى هذه الأعداد أن اليهودى :

(١) « يتكل على الناموس » ع ١٧ .

(٢) « يتعلم من الناموس » ع ١٨ .

(٣) « له صورة العلم فى الناموس » (ع ٢٠) .

(٤) « يفتخر بالناموس » ع ٢٣ . مع أن الناموس الذى يفتخر به هو الذى يدينه لتعديه عليه .

فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس . ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة . إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختاناً . وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس . لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً . ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً . بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله . (ع ٢٥ — ٢٩)

رأينا في الأعداد السابقة أن الله عتيد أن يدين سرائر الناس وليس أعمالهم فقط وأن الله لاتهمه الصورة الخارجية والادعاء الأجوف بل ينظر إلى الداخل إلى القلب . وتمشياً مع نفس المبدأ يتناول الرسول في هذه الأعداد الأخيرة من الأصحاح « موضوع الختان » و « موضوع اليهودي » وأن كلا من هذين له صورة خارجية ، وحقيقة داخلية . فهناك « ختان في الظاهر في اللحم » وهناك « ختان القلب بالروح » . وهناك « يهودي في الظاهر » كما أن هناك يهودياً « في الخفاء » .

إذا وضعنا هذه الحقيقة أمام عيوننا يكون للإنجيل قوته في نفوسنا وتأثيره على سرائرنا فلا نكتفي بأن نتكلم حسناً ونعمل حسناً بل تكون أفكارنا ومشاعرنا وبواعثنا إلى جذورها في أعماق كياننا الأدبي هي في نور الله . نوع واحد فقط من الناس هو الذي يرضى به الله ، وهو الذي يتقي الله في السر في الباطن لأنه إذا كان الله سيدين سرائر الناس فمن هنا يجب أن أبتديء — من السريرة وحينئذ يكون الخارج صحيحاً . يقول داود للرب « ها قد سررت بالحق في الباطن . ففي السريرة تعرفني حكمة »

(مز ٥١ : ٦) فيجب أن نوجه اهتمامنا كله لا إلى الظاهر بل إلى « إنسان القلب الخفى » (١ بط ٣ : ٤) .

نعود إلى قول الرسول « فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة » .

كان الختان علامة العهد بين الله وشعبه وعلامة انفصال الشعب لله من بين الأمم ولكنه لا ينفع إلا إذا كان هناك انفصال حقيقى لله وحكم على الذات . ويقول الرسول « لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس » (غلا ٥ : ٣) ويقول هنا « ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة » ولذلك يصف الله شعبه المختون فى الظاهر بأنه أغلف القلب ويقول له « اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا » (إر ٤ : ٤) وأيضاً « كل الأمم غلف وكل بيت إسرائيل غلف القلوب » (إر ٩ : ٢٦) .

ويصفهم استفانوس بالقول « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان » (أع ٧ : ٥١) وهكذا يسمى الرسول اليهود بأنهم « القطع » بسبب الختان فى الظاهر فى اللحم وليس ختان القلب بالروح . بينما يقول عن المؤمنين الحقيقيين « نحن الختان » (فى ٣ : ٢ ، ٣) فالختان الحقيقى كما نتعلم من رسالة كولوسى ليس هو الختان المصنوع بيد بل هو « خلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح » (كو ٢ : ١١) ويصفه هنا بأنه « ختان القلب بالروح لا بالكتاب » أى ليس التتميم الحرفى للفريضة ، بل التطبيق الروحى أى طرح الإرادة الجسدية « لا الحرف بل الروح » (٢ كو ٣ : ٦) . وحتى عند إعطاء الناموس يقول الرب للشعب « فاختنوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم بعد » (تث ١٠ : ١٦) وأيضاً « ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك » (تث ٣٠ : ٦) .

إن القلب البشرى يميل دائماً لأن يستريح على الطقوس الخارجية أما الله

فإنه يطلب القلب . وحتى فى المسيحية كثيرون يفتخرون بالمعمودية وبالانتماء إلى عضوية الكنيسة ويكتفون بذلك فهم مسيحيون بالاسم مثل « اليهودى فى الظاهر » ولكن الله الذى يرى فى الخفاء يُسر بالمؤمن فى الخفاء فى القلب ، ويُسر بختان القلب بالروح الذى مدحه ليس من الناس بل من الله . وربما يكون فى هذه العبارة إشارة إلى اسم « يهوذا » الذى منه اشتقت كلمة يهودى . ومعنى كلمة يهوذا « حمد » أو « مدح » فالمظاهر الخارجية يمدحها الناس ، أما تكريس القلب فمدحه من الله .



الأصحاح الثالث

إذاً ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان (ع ١)

أوضح الرسول فى نهاية الأصحاح السابق مبدأ واضحاً قوياً وهو أن الله لا يأخذ بالمظاهر الخارجية بل بالحقيقة الداخلية . ومن هنا تنشأ بعض الاعتراضات لا سيما عند اليهودى .

فى الأصحاحين الأول والثانى أثبت الرسول المذنوبية الكاملة على جميع البشر بجميع طبقاتهم — الأمم الوثنيين ، والأمم المتفلسفين ، واليهود المتمسكين بامتيازاتهم ، ونزع منهم كل حجة أو عذر . فالوثنيون بلا عذر لأن عندهم شهادة الخليقة (ص ١ : ٢١) . والفلاسفة بلا عذر لأنهم يدينون الشر فى غيرهم مما يدل على أنهم يميزون الشر والخير (ص ٢ : ١) . واليهود بلا عذر لأن عندهم الناموس وقد استؤمنوا على أقوال الله . وكل هذا لكى يصدر الوحى قرار الاتهام بإدانة كل البشر ووضعهم بلا استثناء تحت قصاص من الله . هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى لكى يفتح أمامهم الطريق الوحيد للخلاص والتبرير والبركة من مجرد الرحمة والنعمة فى الرب يسوع المسيح .

ثم كأن الوحى ، قبل أن يصدر قرار الإدانة النهائى ، يفتح الباب أمام المحتج ليبدى اعتراضاته ، فينبرى اليهودى متسائلا : فما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان ؟ هل كانت الامتيازات التى ميز بها الله شعبه القديم عن الأمم عبدة الأوثان بلا قيمة ؟ وهل كان العهد الذى قطعه معهم بلا نفع ؟ أليس هو مكتوب « لأنه أى شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا فى كل أدعيتنا إليه وأى شعب . . له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التى أنا واضع أمامكم اليوم ؟ » (تث ٤ : ٧ و ٨) فيجيب الرسول قائلا :

كثير على كل وجه . أما أولا فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله (ع ٢)

هذا هو الامتياز الأول والأهم ، ولا يذكر الرسول باقى الامتيازات التى عاد وأوردها فى الأصحاح التاسع . وحقاً إنه لامتياز ثمين أن يستأمنهم الله على أقواله الحيـة بينما يتخبط الأمم فى دياجير الظلمة والخرافات . وعبارة « أقوال الله » تشير أولا إلى الكلمات التى سمعوها من الله على الجبل كما يقول استفانوس عن موسى أنه « قبل أقوالا حية ليعطينا إياها » (أع ٧ : ٣٨) ولكن هذه العبارة لا تقتصر على ذلك فقط بل تتضمن كل كلام الله بما فيه من مواعيد ونبوات وديونات . وها هو مزمع أن يقتبس من تلك الأقوال ما يدينهم ويخجلهم (ع ١٠ — ١٨) .

فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء . أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟ (ع ٣)

إن عدم أمانة ذلك الشعب تتجلى فيما يأتى :

(١) عصيانهم الجماعى على أقوال الله من جبل سيناء فصاعداً .

(٢) إهمالهم لأقوال الله حتى أنهم فى بعض الأحيان كانوا يبحثون عن نسخة واحدة من الشريعة كما فى أيام يوشيا .

(٣) تفاخرهم الباطل بامتلاكهم أقوال الله واحتقارهم للأمم عوضاً عن أنه بواسطتهم « يُعرف فى الأرض طريقك وفى كل الأمم خلاصك » (مز ٦٧ : ٢) .

(٤) جهلهم التام للمعنى الروحى لأقوال الله وتمسكهم بالقشور الخارجية الحرفية فقط .

فعدم أمانتهم ثابتة ، ولكن « أفلعل عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله ؟ » .

حاشا . بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً . كما هو مكتوب لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت (ع ٤)

مهما كان فشل الإنسان فالله يتمسك بالحق ويبقى أميناً له ، ولا بد أن يتبرر فى النهاية بعد أن يعترف الإنسان بخطئه وشره . ولا سبيل لحصول الخاطىء على البركة إلا اقتناعه واعترافه بحالته الفاسدة . وتبريره لله فى قضائه كما فعل داود فى (مز ٥١) . وبالنسبة للشعب كمجموع فإن عدم أمانتهم لا يبطل أمانة الله بل لا بد أن يحقق الله كل كلامه كما هو مبين فى الأصحاح الحادى عشر من هذه الرسالة .

وعبارة « لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت » مقتبسة من (مز ٥١ : ٤) حيث ترد هكذا « لكى تتبرر فى كلامك وتزكو فى قضائك » . أما عبارة «متى حوكمت» فالمقصود بها أنه متى قامت اعتراضات فى ذهن الإنسان ضد قضاء الله وأحكامه فإن الله لا بد أن يتبرر ويغلب فى يوم الدينونة . إنه على درجة عظيمة من الأهمية أن يبرر الإنسان الله من جهة نفسه وأن يضع ختمه على أصحاح مثل هذا يكشف عن شره وخرابه لأن هذا هو الطريق الوحيد لإدراك احتياجه إلى بر الله ونواله إياه .

ولكن إن كان إثمنا يبين بر الله فماذا نقول . ألعل الله الذى يجلب الغضب ظالم . أتكلم بحسب الإنسان (ع ٥)

يضع الرسول نفسه مكان المعترض اليهودى ويأتى بهذه الفكرة التى كثيراً ما تخطر ببال الإنسان : إن كان إثمنا يبين بر الله ، ألا يكون هذا مانعاً من أن يوقع الله الدينونة على شىء قد آل إلى مجده ؟ هذه مغالطة واضحة لأن قدرة الله على أن يتمجد حتى من خلال شر الإنسان شىء ، ومسئولية الإنسان عن خطاياه شىء آخر . ولكن هكذا يريد الإنسان دائماً أن يتنصل من المسئولية ويلقيها على الله كما فعل آدم الإنسان الأول حين قال للرب الإله

« المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » (تك ٣ : ١٢) . الواقع أنه وإن كان الله يأتى بالمجد لنفسه حتى من خلال شر الإنسان وإثمه ، إلا أن الإثم هو إثم لا يمكن أن تتغير طبيعته ولا بد أن يدان .

وقوله « أتكلم بحسب الإنسان » يعنى من وجهة نظر الإنسان البعيد عن الله . فالرسول يستدرك فى الحال بلهجة الوقار والخشوع مبيناً أن الكلام السابق إنما هو محاجة الإنسان المكابر والمغالط . ثم يجيب قائلا :

حاشا . فكيف يدين الله العالم إذ ذاك (ع ٦)

أى لو كان هذا الإعتراض صحيحاً لم تكن هناك دينونة ، مع أن الدينونة مبدأ مقرر ومسلم به عند اليهودى . ومن المقرر أيضاً أن الله يدين المسكونة بالعدل كما قال ابرهيم لله وهو يتشفع فى لوط عندما كانت الدينونة على وشك أن تقع على سدوم وعمورة والمدن التى حولها « أديان كل الأرض لا يصنع عدلا » (تك ١٨ : ٢٥) . وهكذا نرى الرسول يفند هذا الاعتراض ويجعله يعلن عن سخافته بعد أن كشف عن بطلانه . ويتركه هكذا لأن ضمير الإنسان العادى يستطيع أن يرد عليه .

فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطىء . أما كما يفترى علينا وكما يزعم قوم أننا نقول لنفعل السيآت لكى تأتى الخيرات . الذين دينونتهم عادلة (ع ٧ ، ٨)

فى هذين العددين استمرار لنفس الاعتراض السابق الذى فيه يحاول الإنسان أن يتنصل من دينونة الله على خطاياه فيدّعى أن شروره جميعها تؤول إلى مجد الله بينما العكس هو الصحيح . وقوله « إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى » يعنى أن عدم أمانة الإنسان قد هيأت الفرصة لاستعلان أمانة الله

كما سبق القول « ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً » . لكن ، وإن كان الله يتسامى فيستخرج من كذب الإنسان وعدم أمانته ما يمجد اسمه ، فإن هذا لا يعفى الإنسان من المسئولية .

ومن قبيل هذا الاعتراض القول : لنستمر فى فعل السيآت وسيجعل الله النتيجة فى النهاية أن تأتى الخيرات . وليس ذلك فقط بل وصل الأمر بالبعض إلى حد إتهام الرسول نفسه والافتراء عليه بأنه يقول لنفعل السيآت لتأتى الخيرات . وربما نشأ هذا الافتراء من مناداته بحقيقة الخلاص المجانى بالنعمة بدون أعمال ، وإصراره فى كرازته على خراب الإنسان التام بحسب الطبيعة وبأن كل البركات إنما تأتى إليه من الله من مجرد نعمته الخالصة . والرسول يعطى على هذا الافتراء جواباً قصيراً وحاسماً فيقول « الذين دينونتهم عادلة » ، ويترك الأمر عند هذا الحد ، لأن افتراءهم هذا واضح البطلان ، إذ أن « السيآت » لا يمكن تغيير طبيعتها إلى « خيرات » ، ولا يمكن أن تفلت من دينونة الله إلا إذا محيت بدم المسيح الذى يطهر من كل خطية .

ولا يزال الناس إلى وقتنا الحاضر يندون بإنجيل نعمة الله زاعمين أن تعليم الخلاص المجانى بالنعمة بدون أعمال يشجع الإنسان على أن يعيش كما يريد ، ويجهلون أن الإنسان الذى ينال الخلاص بالنعمة يأخذ معه فى الحال طبيعة جديدة هى الطبيعة الإلهية أدبياً فيتغير الحال معه ويصير كل ما يريده هو فعل الخير وإرضاء الله ، وأشد ما يبغضه ويفزع منه هو فعل الخطية . ويرد مثل هذا الاعتراض فى مستهل الأصحاح السادس من الرسالة إذ نقرأ القول « أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ » ، ويجيب الرسول فى الحال قائلا « حاشا . نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها » (رو ٦ : ٢) .

فماذا إذاً . أنحن أفضل ؟ كلا البتة . لأننا قد شكونا[1] أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية (ع ٩)

يواصل الرسول الآن كلامه السابق في العدد الثاني بكيفية أقوى بعد الأقوال المعترضة من العدد الثالث إلى الثامن التي فيها دحض الاعتراضات التي يثيرها اليهودي محاولاً التنصل من الدينونة ، فيتصل الكلام هكذا « فما هو فضل اليهودي ... كثير على كل وجه . أما أولا فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله ... فماذا إذاً . أنحن أفضل كلا البتة » . إن كل امتيازات اليهودي لا تفضله على غيره للحصول على التبرير أمام الله لأنه لم يحفظ الناموس بل بالعكس جلب إهانة على اسم الرب بقدر ما أخذ امتيازات فائقة . ومن ثم فهو والأممي على السواء تحت الخطية[2] . ويؤيد الرسول أقواله بسبعة اقتباسات من العهد القديم وبالأخص من سفرى المزامير وإشعياء لإثبات المساواة بين اليهودي والأممي تحت الخطية . وهذه الاقتباسات تعطينا وصفاً مرعباً للإنسان الطبيعي بحسب الجسد ، وترينا أن الإنسان بحسب الجسد لا مكان عنده لله ، وبالتالي لا بر ولا صلاح له . وعبارة « تحت الخطية » ترد أيضاً في غلا ٣ : ٢٢ حيث يقول الرسول « لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية » ، وهذا تعبير شامل كما لو كان يصف مذنبين في سجن ، أو مرضى في « عزل » . وترد عبارة مماثلة في ص١١ : ٣٢ من هذه الرسالة حيث تقرأ « لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع » .

وسنجد في هذه الاقتباسات أربعة عشر وصفاً عن جميع الناس ، يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام : القسم الأول عن حالة الشر العامة (ع ١٠-١٢) . القسم الثاني عن ممارسة الشر بالأقوال (ع ١٣ و١٤) . القسم الثالث عن

(١) « شكونا » أي أثرنا الاتهام ، وأثبتناه بالحجج الدامغة .

(٢) « تحت الخطية » أي تحت سلطانها وتحت دينونتها .

ممارسة الشر بالأفعال (ع ١٥ — ١٧) . والقسم الرابع عن سبب ونبع كل هذه الخطايا (ع ١٨) .

كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد (ع ١٠)

هذا العدد مقتبس من مزمور ١٤ : ١ ، ٥٣ : ١ ، وأيضاً جا ٧ : ٢٠ حيث نقرأ « لأنه لا إنسان صديق (بار) فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطىء » . وحتى آدم لم يكن باراً بل كان فى حالة البراءة لا يعرف الخير والشر . فلننزع من أفكارنا الفكرة الشائعة بأنه يوجد أناس قد وصلوا إلى درجة من البر فى ذواتهم به يمكن أن يقفوا أمام الله لأنه هوذا شهادة الله القاطعة « ليس بار ولا واحد » .

وإن كان قد ذكر فى الكتاب عن بعض أشخاص كنوح وأيوب وزكريا واليصابات أنهم أبرار ، فذلك شىء نسبى بالمقابلة مع الوسط الذى كان يعيش فيه كل واحد منهم . وهذا البر النسبى ليس من طبيعتهم بل من عمل الله فيهم بسبب حصولهم بالإيمان على الطبيعة الجديدة — طبيعة البر .

وهذه الشهادة « ليس بار ولا واحد » تنطبق على جميع الناس بلا استثناء فى كل العصور من وقت السقوط . ففى الأصحاح السادس من سفر التكوين نقرأ « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم » (تك ٦ : ٥) . وفى المزمور الرابع عشر نقرأ نفس الشىء « الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله ... ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » .

ليس من يفهم . ليس من يطلب الله (ع ١١)

قد يفهم الإنسان فهماً واسعاً فى أمور العالم ولكن ليس من يفهم الله ولا أمور الله ولا مشيئة الله . ربما يتصور البعض أنهم يفهمون الأمور الإلهية

ويكتب البعض مؤلفات فى الفلسفة الدينية ولكن لا يزال حكم الله صادقاً « ليس من يفهم » .

« ليس من يطلب الله » فآدم عندما أخطأ هرب من الله القدوس . واتخذ الله مركز الباحث عن آدم قائلا له « آدم أين أنت » ، أما آدم فلم يطلب الله . إن الإنسان إذ شعر بذنبه ومسئوليته ووخز ضميره امتلأ قلبه من الخوف من الله ، ولكى يبعد عن ذهنه هذه المخاوف بنى لنفسه هياكل كثيرة ورسم لنفسه طقوساً مختلفة للعبادة جعلته يمعن فى البعد عن الله . فلننزع من أفكارنا أنه يوجد إنسان طلب الله بقلبه الطبيعى ، إنما الله هو الذى يتخذ مركز الباحث عن الإنسان وذلك بتبكيته واقتياده للرجوع إليه لينال الخلاص . ولنا مثل الخروف الضال والدرهم المفقود والإبن الضال خير دليل على هذا .

الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد (ع ١٢)

« زاغوا » أى ضلوا الطريق ، انفصلوا عن الله وأمعنوا فى البعد عنه كما يقول أشعياء « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه » (إش ٥٣ : ٦) ، أو كما يقول ملاخى « أما أنتم فحدتم عن الطريق » (ملا ٢ : ٨) .

« فسدوا معاً » أى أصبحوا بلا نفع أو فائدة ، بل أكثر من ذلك سرى فيهم العطب تماماً وأنتنت رائحتهم فصاروا لا يصلحون إلا لأن يطرحوا جانباً . ولنلاحظ أن هذا الوصف هو صورة حقيقية صادقة لجميع الناس كما يراهم الله مهما اختلف فكر الإنسان عن نفسه . والسبيل الوحيد للحصول على بر الله هو أن أضع ختم المصادقة بالإقتناع القلبى على تصوير الله لحالتى ، وتطبيق هذه الأوصاف على نفسى شخصياً ، الأمر الذى يقودنى للإلتجاء إلى نعمة الله الظاهرة فى ربنا يسوع المسيح .

« ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » . كيف يمكن أن يأتى الصلاح ممن قد فسدوا وتلفوا ولا يمكن أن ينبع منهم إلا الشر ؟ ونلاحظ أن الوحى يستبعد كل استثناء فيكرر القول « أجمعين » « ليس بار ولا واحد » « الجميع زاغوا » « ليس ولا واحد » .

حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سم الأصلال تحت شفاههم . وفمهم مملوء لعنة ومرارة (ع ١٣ ، ١٤)

بعد أن أوضح الرسول حالة شر الإنسان وفساده بصفة عامة يبدأ بذكر تفصيلات كطبيب ماهر يفحص أعضاء الجسم ويشخص ما فيها من أدواء مستعصية ويبدأ بتشريح أعضاء الكلام : الحنجرة واللسان والشفاه والفم لأن معظم الداء الذى فى القلب يظهر فى الكلام . ويتوسع يعقوب فى الأصحاح الثالث من رسالته فى وصف لسان الإنسان الطبيعى فيقول « فاللسان نار . عالم الإثم ... يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم ... فلا يستطيع أحد من الناس أن يذلله . هو شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً » (يع ٣ : ٦ — ٨) .

« حنجرتهم قبر مفتوح » الإنسان ميت بالذنوب والخطايا وفاسد أى منتن كما رأينا فى العدد السابق ولكن الفساد الكامن فى القلب تفوح رائحته كالقبر المفتوح عندما تخرج الأقوال من حنجرته لا سيما عندما يثور ويغضب . قد يُرى فى حالته العادية كإنسان مهذب ولكن عندما يثار ويهيج ينفتح القبر وتخرج منه الرائحة الكريهة .

« بألسنتهم قد مكروا » المكر من الصفات الملازمة للجنس البشرى لأنها من صميم أثمار الطبيعة الساقطة ولذلك يقول الرسول بطرس للمولودين من الله حديثاً « اطرحوا كل خبث وكل مكر » (١ بط ٢ : ١) .

« سم الأصلال تحت شفاههم » الصل نوع من الحيات السامة جداً وهى

تحتفظ بأكياس مملوءة بالسم تحت شفاهها . ونحن جميعاً بالطبيعة الفاسدة التى ورثناها مولودين وتحت شفاهنا أكياس من السم الأدبى نفرغ سمومها فى الآخرين بأقوالنا اللاذعة سواء فى حضورهم أو فى غيبتهم . وهذه الآية مأخوذة من (مز ١٤٠ : ٣) « سنوا ألسنتهم كحية حمة الأفعوان تحت شفاههم »

« وفمهم مملوء لعنة ومرارة » هذه الآية مأخوذة من (مز ١٠ : ٧) « فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً . تحت لسانه مشقة وإثم » وإذا أردت أن تتحقق من هذه الحقيقة قف على رأس أى شارع من الشوارع واسمع ما يدور من كلمات على أفواه الجالسين والمارة كيف يلعن الناس بعضهم بعضاً وكيف يتكلمون بمرارة عن الغائبين . ما أجهل الفكر بإمكانية تحسين الطبيعة الفاسدة ! هل يمكن لأناس مملوئين بهذه السموم أن يصبحوا بأنفسهم مؤهلين للوجود فى السماء فى محضر الله القدوس مهما تهذبوا أو مارسوا من الطقوس والفرائض ؟ لا علاج للجسد إلا أن يجد مكانه مداناً ومصلوباً فى صليب المسيح ، وأن ينال الإنسان غسل الميلاد الثانى فعلى أساس كفارة المسيح يزيل الروح القدس أقذار الحياة السابقة ، وينشىء فى المؤمن تجديداً مستمراً فتصير كلماته كلمات النعمة لبنيان الآخرين وبركتهم .

أرجلهم سريعة إلى سفك الدم (ع ١٥)

لا يزال الطبيب السماوى يكشف على أعضاء الإنسان الطبيعى ويشخص أمراضه . وهذه الآية مأخوذة من إش ٥٩ : ٧ .

« أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الذكى » .

رأيت طفلا فى الثانية من عمره يرفع قبضته الصغيرة على طفل آخر قائلا له أقتلك ، فالقتل كامن فى الطبيعة الساقطة وبسهولة تسرع الأرجل لارتكابه . ألم يقم قايين على هابيل أخيه ويقتله بغير ذنب أو جريرة وهما أول أخوين

وجدا على سطح الأرض ؟ وعندما ينزع الله نعمته الحاجزة للإثم من الأرض نقرأ فى (رؤ ٦ : ٤) « فخرج فرس آخر أحمر وللجالس عليه أعطى أن ينزع السلام من الأرض وأن يقتل بعضهم بعضاً » . إن أرجل الناس مثل النمور التى تسرع إلى الافتراس وسفك الدم ، وفى كل يوم نطالع حوادث فى الجرائد ترينا بوضوح صفاتنا الطبيعية هذه كما صورتها ريشة الوحى الإلهى .

فى طرقهم اغتصاب وسحق (ع ١٦)

هذه الكلمات أيضاً مقتبسة من (إش ٥٩ : ٨) وهى تلخص لنا طرق الجنس البشرى من وقت السقوط . وهل تحسنت ؟ إن الذى يقول بهذا مخدوع يتجاهل الحقائق الواضحة للعيان . يقول الكتاب عن أيام نوح « وامتلأت الأرض ظلماً » (تك ٦ : ١١) ويقول الرب يسوع له المجد « وكما كان فى أيام نوح هكذا يكون فى مجىء ابن الإنسان » . فالإنسان هو هو لا يتغير إن لم يزد قسوة وظلماً .

وطريق السلام لم يعرفوه (ع ١٧)

هذه الآية أيضاً مقتبسة من (اش ٥٩ : ٨) وليس المقصود هنا السلام مع الله (مع أن هذا الطريق أيضاً لم يعرفه الإنسان الطبيعى) بل السلام مع الناس الآخرين كما هو واضح من بقية العدد فى سفر إشعياء « ليس فى مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة . كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً » فالإنسان غير المتجدد لا يعرف ولا يرغب أن يتبع طريق الحكمة التى « طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام » (أم ٣ : ١٧) . ولقد حاول البشر أن يقيموا منشآت ومنظمات لأجل السلام ولكنها جميعها باءت بالفشل إذ يتشدقون بالسلام ولا سلام لأن « طريق السلام لم يعرفوه » .

ليس خوف الله قدام عيونهم (ع ١٨)

هذه الآية مقتبسة من (مز ٣٦ : ١) « نأمة (نغمة) معصية الشرير فى داخل قلبى أن ليس خوف الله أمام عينيه » هذه هى آخر صفة من الصفات البشعة التى لطبيعتنا البشرية الساقطة ويمكن إعتبارها أساس كل الصفات الأخرى لأنه إذا كان « رأس الحكمة مخافة الرب وبغض الشر » فإن رأس الجهالة وسبب كل الشرور هو عدم مخافة الرب . وقوله « قدام عيونهم » أى ليس هو هدفهم ولا مكان له فى اعتبارهم ، فالإنسان يخاف من دودة حقيرة ويعمل حسابها ، وأما الله العلى القدير فلا يخشاه ولا يخافه .

يا لها من أوصاف مخزية يرسم بها الروح القدس صورة حقيقية صادقة لجميع البشر — اليهود واليونانيين ، بل لجميع الأفراد — لى أنا ولك أنت . ومن النافع أن يعرف كل إنسان صورته على حقيقتها كما يراها الله لأن ذلك يقوده لطلب الحصول على التبرير أمام الله بالوسيلة الإلهية . إنه لخطأ شنيع أن يخفى الطبيب عن المريض داءه العضال فيغتر بنفسه ولا يطلب العلاج لأنه « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » . ونلاحظ أننا إذا رجعنا إلى السبعة الفصول التى اقتبس الرسول منها هذه الصفات نجد أن فيها أيضاً إشارة إلى أناس رجعوا إلى الله بالتوبة الصادقة والإيمان الحقيقى وفصلوا أنفسهم عن الآخرين المذكورة صفاتهم . فهذه الفصول لا ترينا تصوير الله لبنى البشر فقط . بل ترينا أيضاً أنه يحتفظ لنفسه بمؤمنين يحبونه ويتكلون عليه . فالمزمور الرابع عشر مثلا وهو أول الفصول المقتبسة لا يقول فقط « الكل قد زاغوا معاً فسدوا » بل يقول أيضاً « الله فى الجيل البار » (ع ٥) ويشير إلى المسكين الذى « الرب ملجؤه » (ع ٦) . وأيضاً المزمور الخامس الذى هو ثانى الفصول المقتبسة لايحدثنا فقط عن الذين «حلقهم قبر مفتوح ألسنتهم صقلوها » بل يقول أيضاً « ويفرح جميع المتكلين عليك . إلى الأبد يهتفون وتظللهم . ويبتهج بك محبو اسمك . لأنك أنت تبارك الصديق (البار) يا رب . كأنه

بترس تحيطه بالرضى » . والمزمور المئة والأربعون الذى يرد فيه القول « حمة الأفعوان تحت شفاههم » يتكلم أيضاً عمن يقول للرب « أنت إلهى . . يا رب السيد قوة خلاصى . ظللت رأسى فى يوم القتال » .

نرى من ذلك أن الله يأتى لنفسه بجيل يؤمن به وتكون له علاقة معه . وهذا الجيل ليس جيلا طبيعياً بحسب تسلسله من آدم الساقط ، بل يتكون من أناس يدينون أنفسهم ويبررون الله ويقبلون بره بالإيمان وينفصلون عن الأشرار .

نحن نعلم أنه كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله (ع ١٩)

يعود الرسول إلى الكلام عن اليهود الذين تحت الناموس[1] بعد أن تكلم عن الأوصاف العامة لجميع البشر بحسب الطبيعة وأثبتها من العهد القديم . سبق أن قال فى العدد التاسع إن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية ، والآن يقول إنهم جميعاً « تحت قصاص من الله » . وقد أورد الحجج الدامغة الكافية لسد كل فم « كل إثم يسد فاه » (مز ١٠٧ : ٤٢) . نعم إن أفواه الناس تنفتح واسعة للكلام عن صلاحهم وعن رداءة الآخرين ، مثل ذلك الفريسى المذكور فى الأصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا كما يقول الحكيم « أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحه أما الرجل الأمين فمن يجده » (أم ٢٠ : ٦) . ولكن لكى يسد الوحى أفواه جميع الناس المدعين أورد فى الأصحاح الأول من هذه الرسالة تاريخ البشر الذين انغمسوا فى عبادة

---

(١) هذه الآية وآيات أخرى كثيرة فى الكتاب تبين بكل وضوح أن الناموس لم يُعط إلا لشعب إسرائيل الذين قطع الله معهم هذا العهد فى جبل سيناء . فالأمم يرسع أعناقهم تحت الناموس يزجون بأنفسهم تحت نير لم يضعه الله عليهم (أع ١٥ : ١٠) لأن « كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس » .

الأوثان وفى شهوات قلوبهم ونجاساتهم . ثم ذكر فى الأصحاح الثانى مبادىء دينونة الله العادلة على الجميع بغير محاباة . وهنا فى الأصحاح الثالث أثبت من كتب العهد القديم صفات الناس أجمعين بحسب الطبيعة مع مضاعفة الإتهام لليهود لأنهم ليسوا خطاة فقط بل متعدين الناموس الذى افتخروا به . وكأنه يأتى بالجميع بلا استثناء فى ساحة القضاء أمام الديان العادل وينطق بإثبات الذنب عليهم واستحقاقهم جميعاً لقصاص الله ، عائداً إلى ما سبق أن أوضحه فى الأصحاح الأول أن « غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم » . وهم فى ساحة القضاء لا لكى ينفذ الله القصاص عليهم بل ، ويا للعجب ! ليعلن ، بعد انتزاع كل حجة من أفواههم ، أن القاضى نفسه قد أعد طريقاً لتبرير المذنبين ورفع القصاص عنهم على أساس جعل ابنه الحبيب الرب يسوع المسيح ذبيحة خطية لأجلهم ، وأن السبيل الوحيد للحصول على هذا التبرير والخلاص هو الإيمان البسيط بالفادى الذى سفك دمه لأجلنا .

لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه . لأن بالناموس معرفة الخطية (ع ٢٠)

هذا العدد يتضمن حقيقتين هامتين : الأولى أنه « بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمام الله » . والحقيقة الثانية مهمة الناموس وهى أن به « معرفة الخطية » .

أما الحقيقة الأولى فمؤيدة بشواهد كثيرة فى العهد الجديد يحلو لنا أن نذكر بعضها :

«إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس» (رو ٣:٢٨) .

« لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » (رو ١٠ : ٤) .

« إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح ... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما » (غلا ٢ : ١٦) .

« لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب» (غلا ٣ : ٢١) .
« ولكن إذا إنقدتم بالروح فلستم تحت الناموس » (غلا ٥ : ١٨) .
« إذ الناموس لم يكمل شيئاً ... يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » (عب ٧ : ١٩) .

إذا كان بأعمال الناموس لا يمكن للإنسان أن يتبرر أمام الله فلماذا أعطى الله الناموس إذن ؟ الجواب تجده فى الحقيقة الثانية المتضمنة فى ع ٢٠ وهى قول الوحى أن « بالناموس معرفة الخطية » هذه هى مهمة الناموس ، فلم يعط الله الناموس لأجل الخلاص أو التبرير أو كقاعدة لسلوك المؤمن بل لكى تكون بواسطته « معرفة الخطية » أى لكى يقتنع الإنسان بخطئه واعوجاجه . فهو بمثابة خيط المطار الذى يكشف عن عدم استقامة الحائط ولكنه لا يعالجه . « وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية » (رو ٥ : ٢٠) أى لكى يبين كثرتها وأيضاً « لم أعرف الخطية إلا بالناموس» (ص٧ : ٧) . أو كما يقول الرسول فى الأصحاح الثالث من رسالة غلاطية « فلماذا الناموس ؟ (الجواب) قد زيد بسبب التعديات » أى لكى يظهر الخطايا كتعديات ويقنع المتعدين . ثم يقول « إذن قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان » (ع ١٩ ، ٢٤) فالله قد عرف شر الإنسان ولكن الإنسان لم يعرف ذلك ولم يقتنع به ولذلك أعطاه الله الناموس ليكشف له حالته الميئوس منها ويقوده إلى المسيح .

لم تكن معاملة الله مع إبرهيم أو مع الآباء على أساس الناموس بل عاشوا على مبدأ الإيمان البسيط كما سنرى فى الأصحاح التالى . فهل غيّر الله خطته عندما أعطى الناموس ؟ هل بدأ الله علاقته بالإنسان ابتداء من هابيل على مبدأ الإيمان ثم غير مبدأ علاقته مع شعب إسرائيل وجعله مبدأ أعمال الناموس ؟ وهل غير الله المبدأ مرة أخرى بعد صليب المسيح وعاد إلى مبدأ الإيمان البسيط ؟ حاشا . قد تبدو مثل هذه الأفكار للذهن الطبيعى . ولكن حاشا

أن يكون عند الله تغيير أو ظل دوران . بل كان الناموس شيئاً معترضاً فى الطريق لمهمة خاصة كما رأينا ولكن مبدأ الله واحد من البداية إلى النهاية وهو مبدأ الإيمان .

قد يظن البعض أنه عندما ظهر فشل الإنسان فى حفظ الناموس لجأ الله إلى طريق النعمة فى معاملته للإنسان ولكن حاشا فالنعمة أسبق فى مقاصد الله من الناموس ، ومبدأ الله الثابت هو :

التبرير بالإيمان بالمسيح

وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء . بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق (ع ٢١ و ٢٢)

بعد أن تناول الرسول الحجج السلبية لإثبات مذنوبية الجنس البشرى كله وأنه لا توجد وسيلة للتبرير أمام الله بواسطة أعمال الإنسان ، يأتى الآن إلى توضيح الطريق إيجابياً . وهكذا نصل إلى القسم العظيم من الرسالة (ص ٣ : ٢١ — ٣١) الذى يبين بر الله بالإيمان بالمسيح ويجيب على السؤال القديم الذى بقى أجيالا طويلة حائراً بلا جواب « كيف يتبرر الإنسان قدام الله ؟ » لقد سبق الرسول فأعلن فى الأصحاح الأول بأن الإنجيل هو قوة الله للخلاص وأوضح السبب « لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان » . وبعد كل الأقوال الاعتراضية (من ص ١ : ١٨ إلى ص ٣ : ٢٠) يستطرد الكلام عن بر الله قائلا «وأما الآن فقد ظهر بر الله» . وعبارة : وأما الآن . تحمل لهجة الانتصار التى يجب أن نستقبلها بكل فرح وتهليل بعد أن نكسنا رؤوسنا خجلا وسدت أفواهنا اقتناعاً بذنبنا . ظهر بر الله كنور مشرق لامع يبدد الظلام ، وقد ظهر هذا البر عن طريق آخر بعيد عن الناموس وعن أعمال الإنسان بالكلية « بدون الناموس » على مبدأ آخر فهو ليس

« بر الإنسان » لأن أعمال برنا كثوب عدة ، بل « بر الله » . لقد أدى الناموس مهمته كما سبق ورأينا ، إلا أن الكثيرين من المسيحيين لا يزالون يعطون للناموس مكاناً إن لم يكن فى مسألة التبرير أمام الله فكقاعدة لسلوك الإنسان ، وتغافلوا عن الآيات الكثيرة فى رسائل العهد الجديد التى تبين موقف المؤمن تجاه الناموس أنه (أى المؤمن) قد مات للناموس وانتهت علاقته به نهائياً ، وانتقل باتحاده بالمسيح المقام من الأموات إلى دائرة أخرى بعيدة عن الناموس كل البعد « إذاً يا إخوتى أنتم أيضاً قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى أقيم من الأموات لنثمر لله ... وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى (أو مُتنا للذى) كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف » (رو ٧ : ٤ و ٦) وأيضاً « لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله » (غلا ٢ : ١٩) فمبدأ الله لتبرير الإنسان فى عصر النعمة الحاضر بعيد عن الناموس بالكلية « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئاً . ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » (عب ٧ : ١٨ و١٩) .

ويوجد اعتقاد آخر شائع بين المسيحيين مع أنه بعيد كل البعد عن الحق الإلهى بل هو فى الواقع ضد الحق الكتابى ، ومؤدى هذا الاعتقاد هو أنه إذ عجز الإنسان عن تتميم الناموس جاء المسيح وتمم كل مطاليب الناموس فى حياته الكاملة على الأرض ، وذلك بالنيابة عن الإنسان ، وأصبحت طاعة المسيح هذه محسوبة للذين يؤمنون به . وفيما أسلفنا الكفاية لبيان بطلان هذا الاعتقاد بطلاناً تاماً[1] .

« مشهوداً له من الناموس والأنبياء » . الناموس يشهد لبر الله فى كل نظام ذبائحه التى تعلن أن البر ليس فى الإنسان بل يأتيه من خارج على أساس

---

(١) « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » (رو ٤ : ٥) .

الذبيحة التى تشير إلى عمل المسيح . والأنبياء يشهدون فى نفس كتاباتهم التى اعترفوا فيها بخراب الإنسان وفساده أن الله يأتى ببره ويقربه إلى الإنسان « اسمعوا لى يا أشداء القلوب البعيدين عن البر . قد قربت برى . لا يبعد . خلاصى لا يتأخر » (إش ٤٦ : ١٢ و ١٣) وأيضاً « لأنه قريب مجىء خلاصى واستعلان برى » (إش ٥٦ : ١) وأيضاً « قريب برى . قد برز خلاصى ... أما خلاصى فإلى الأبد يكون وبرى لا يُنقض ... أما برى فإلى الأبد يكون وخلاصى إلى دور الأدوار » (إش ٥١ : ٥ و٦ و٨) « له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » فالناموس والأنبياء ما كانوا إلا شهوداً على أن البر الإلهى لم يكن قد أتى ولكنه كان لا بدّ أن يأتى عن قريب. أما الآن فقد أتى البر وقد أعلن وذلك بدون الناموس وبالاستقلال عنه تماماً — على مبدأ النعمة . والنعمة تفترض دائماً تداخل الله نفسه فى ابنه الذى وضع بصليبه أساساً لحق الله فى أن يبارك كل من يؤمن بالمسيح . فالأمر ليس مجرد رحمة الله بل بر الله أى حقه وعدله لأن دم الذبيحة المقبولة قد سُفك ودينونة الخطايا وضعت على تلك الذبيحة الكاملة . فهذا إذاً نوع جديد من البر — ليس بر الإنسان بل بر الله الذى تشهد له رموز الناموس وإعلانات الأنبياء — ذلك البر الذى كان قبلا مخبوءاً والآن أعلن . كان قبلا موعوداً به والآن تم هذا الوعد . فكل من يؤمن بشهادة الله فى الإنجيل عن ابنه يسوع المسيح ويثق فى الله لا فى نفسه ينال التبرير أمام الله على أساس بره وعدله . لأن الله بالعدل يحسب المذنب الذى يثق فيه باراً لأنه يضعه فى كمال القبول فى ابنه ويضفى عليه كل قيمة عمل المسيح على الصليب ويتحده بالمسيح المقام من الأموات الذى صار هو نفسه بر هذا المؤمن .

ويمكننا أن ننظر إلى عبارة « بر الله » من ثلاثة أوجه :

(١) من ناحية الله . (٢) من ناحية المسيح . (٣) من ناحية المؤمن .

١ — فمن ناحية الله « البر » هو صفته الدائمة ولا يمكن أن يكون غير ذلك فهو يعمل ويتصرف دائماً « بالبر » سواء تجاه المسيح ، أو تجاه المؤمنين بالمسيح ، أو تجاه غير المؤمنين وغير التائبين .

٢ — أما من ناحية المسيح فالله قد قبله « بالبر » فى مجده بحسب تقديره لعمله الكامل على الصليب . لقد قال المسيح « أنا مجدتك على الأرض العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » (يو ١٧ : ٤ و ٥) والله الآب استجاب هذه الصلاة إذ « أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب » (رو٦ : ٤) « ورُفع فى المجد » (١ تى ٣ : ١٦) والله قد مجَّد المسيح وأجلسه عن يمينه كالإنسان الكامل ، وهو هناك أعلان « لبر الله » . ولم يكن ممكناً لله البار أن يعمل غير ذلك مع المسيح الذى أكمل العمل ومجَّده بالتمام .

٣ — ومن ناحية المؤمن نجد الإعلان العجيب الذى يعلنه الوحى أن الله « جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) فالمؤمنون صاروا بر الله (أو استعلان بر الله) فى المسيح . ما أحقر التفكير فى بر الإنسان الذاتى بالمقابلة مع بر الله . فالإنسان قد استُبعد بالكلية وصار كل شىء للمؤمن فى المسيح بل المؤمن نفسه صار « فى المسيح » .

فعبارة « بر الله » تتضمن إذاً أن الله يعمل بالبر نحو المسيح بإقامته من الأموات وإجلاسه عن يمينه فى السماويات مكللا بالمجد والكرامة . ويعمل الله بالبر من نحو المؤمنين بالمسيح بإعطائهم نفس قبول المسيح أمامه لأن المسيح حمل خطاياهم وأبطلها إلى الأبد بدمه الثمين . وكما قلنا إن الله البار (العادل) لم يكن ممكناً إلا أن يقيم المسيح ويمجده عن يمينه ، هكذا يمكننا أن نقول إن الله البار لم يكن ممكناً إلا أن يقبل المؤمنين بالمسيح الذين جعلوا كل إيمانهم ورجائهم فيه وحده . وأن يعلن أنهم أبرار فى المسيح . وعلى ذلك

فالمسيح المقام والممجد هو نفسه بر المؤمنين . فإذا كان المسيح سيبقى إلى الأبد فى كمال القبول أمام الله هكذا المؤمن أيضاً . فياليت كل مؤمن يعتمد اعتماداً كلياً على شهادة الله عن ابنه وعن كمال عمله على الصليب ويستريح راحة كاملة على أساس « كلمة الله » و « عمل المسيح » و « دمه المسفوك » .

ونلاحظ أن الله لا يقدم لإيماننا عملا كاملا فقط بل شخصاً لتستريح قلوبنا فيه كغرضها الوحيد . وهذا يكفى لنزع الثقة من الذات ونزع الجاذبية من العالم الباطل كما يقول الله على لسان هوشع « أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة » (هو ١١ : ٤) .

« وبر الله » لا يتجه كالناموس قديماً إلى أمة معينة بل هو مقدم إلى كل الناس بدون استثناء ، ولكن الذين ينتفعون به هم المؤمنون بالمسيح ، فهو لا يصل ولا يعطى فاعليته إلا للذين يؤمنون به . وهذا هو معنى قوله « بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون » . هذا الاختلاف فى حرف الجر هام جداً . فحرف الجر « إلى » يفيد أن بر الله مقدم للكل ويكفى للكل إذا أرادوا الانتفاع به ولكن حرف الجر « على » يفيد أنه لا ينطبق إلا « على كل الذين يؤمنون » .

« لأنه لا فرق » فالمسألة ليست مسألة استحقاق فى الإنسان بل نعمة من الله بيسوع المسيح . وسبق أن عالج الرسول فى الجزء السابق من الرسالة مسألة عدم استحقاق الإنسان بلا تمييز بين اليهودى والأممى .

إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (ع ٢٣)

لا شك إنه توجد فروق بين الناس من جهة آدابهم وكيفية سلوكهم ، فمنهم الفاجر المستهتر ومنهم المهذب والمصقول . هذا بحسب نظر الناس وتقديرهم ولكن أمام الله « لا فرق » — ليس فى مقدار الخطايا وحجمها بل من جهة كون الجميع خطاة — فى حالة الخطية وفى طبيعة الخطية وأثمارها .

يوجد من الناس من عثر في قليل نسبياً ومنهم من عثروا في كثير ولكن « الجميع أخطأوا » وعصوا « ومن عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل » (يع ٢ : ٧) ولا يوجد إنسان واحد لم يخطىء .

« وأعوزهم مجد الله » يمكننا أن نفهم هذه العبارة على الأوجه الآتية :

(١) القصور عن الوصول إلى ما يمجد الله كما قال الرب له المجد « لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » (يو ١٢ : ٤٣) أو (٢) الفشل (بسبب فقدان أية قوة روحية) في الوصول إلى المقياس الذي يطلبه الله من الإنسان أو (٣) العجز التام عن الوقوف أمام مجد الله أو في حضرته المجيدة . كل هذه المعاني يمكن أن تكون متضمنة في هذه العبارة . فما أسوأ حالة الإنسان ! ويمكننا أن نتخذ مثلا لتوضيح عبارة « أعوزهم مجد الله » . لنفرض أنه مطلوب في مباراة رياضية القفز إلى أعلى على ارتفاع عشرين قدماً ولكن من المتبارين من قفز إلى خمسة أقدام أو سبعة أو عشرة . فمن منهم يفوز ؟ ولا واحد لأنه مع وجود فوارق في مقدرتهم على القفز إلا أنهم جميعاً قصروا عن بلوغ الهدف المطلوب . ونلاحظ أن من يقفز أكثر يكون سقوطه أشد . وهكذا في أمر البر الذاتي ، فبولس قفز أكثر من غيره لأنه يقول « من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم » (في ٣ : ٦) ولكنه يدعو نفسه « أول الخطاة » .

متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح (ع ٢٤)

نأتي الآن إلى الآية العظيمة التي كانت سبباً في راحة ضمائر الكثيرين وتوصيل السلام إلى نفوسهم . إذ أصدر الله قراره مرة ومرتين قائلا « يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله » . « إن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية » . « الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » ، يعلن الطريق الوحيد للتبرير « متبررين مجاناً » أي إن كان يمكن الحصول على التبرير فلا بد أن يكون ذلك مجاناً لأنه لم يستطع أحد أن يدفع الثمن أو يوفي المطلوب .

قد فرغ الرسول من إيضاح موضوع عدم استحقاق الإنسان بكل إسهاب . والآن يأتى بما يليق بالله وما يتفق مع جلاله ونعمته .

ومعنى كلمة متبررين ليس إنهم يصيرون أبراراً أى يتحولون إلى أبرار فى أنفسهم بل أن يعلن الله أنه يحسبهم أبراراً على أساس خارج عنهم وهو الفداء الذى بيسوع المسيح .

وما أحلى كلمة مجاناً « ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » (رؤ ٢٢ : ١٧) « وأما هبة الله (المجانية) فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو٦ : ٢٣) ومجانية التبرير لا تفيد أن قيمته قليلة بل بالعكس أن قيمته باهظة جداً لا يمكن أن تُقدّر ولا يمكن أن يدفعها أحد ولكن قد تحمل الله الكلفة كلها ولذلك يمنحه مجاناً .

« بنعمته » وهذه النعمة لا تتعارض مع قداسة الله وعدله بل بالعكس تتوافق معهما وتسير معهما جنباً إلى جنب ، ولم يكن ممكناً أن يتم ذلك إلا فى صليب المسيح حيث « الرحمة والحق التقيا . البر والسلام تلاثما » (مز ٨٥ : ١٠) .

« بالفداء الذى بيسوع المسيح » . هذا هو الحل الإلهى الوحيد لتبرير وخلاص الإنسان الخاطىء أن يكون هناك بديل كفء يتحمل العقوبة نيابة عنه ، ويوفى دينه ، وينقذه من العبودية ، وعلى أساس الفداء يمتلكه الفادى لنفسه . وقد أشير إلى هذه المعانى كلها برموز فى العهد القديم ، فعندما افتدى الله الأبكار من ضربة الملاك المهلك فى مصر قال الله للشعب « تُقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم ... ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة وإن لم تفده تكسر عنقه . وكل بكر إنسان من أولادك تفديه » (خر١٣ : ١٢و١٣) . ونلاحظ أنه عندما عفا الله عن إسحق من أن يقدّم ذبيحة ، هيّأ كبشاً فأصعده إبرهيم « محرقة عوضاً عن ابنه » (تك ٢٢ : ١٣) .

وقد أمر الله موسى قائلا « إذا أخذت كمية بنى إسرائيل بحسب المعدودين

منهم يعطون كل واحد فدية نفسه للرب » (خر ٣٠ : ١١) وكانت هذه الفدية نصف شاقل من الفضة . ويشير الرسول بطرس إلى هذه الرموز قائلا « عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب ... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » (١ بط ١ : ١٩) ويقول بولس الرسول « الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا » (أف ١ : ٧ و كو ١ : ١٤) .

والفداء بمعنى وفاء الدين والعتق من العبودية واسترداد الميراث مشار إليه فى شريعة الفكاك فى العهد القديم حيث نقرأ « إذا طالت يد غريب أو نزيل عندك وافتقر أخوك عنده وبيع للغريب ... فبعد بيعه يكون له فكاك . يفكه واحد من إخوته » (لا ٢٥ : ٤٧ و ٤٨) . ونرى صورة جميلة للفكاك فى بوعز الولى القريب الذى أرجع لنعمى الميراث وتزوج براعوث وأقام اسم الميت على ميراثه . ولكن نحن البشر الخطاة لم نجد من بنى جنسنا من يستطيع أن يفدينا ويسدد ديننا وينقذنا من العبودية « الأخ لن يفدى الإنسان فداء ولا يعطى الله كفارة عنه . وكريمة هى فدية نفوسهم فغلقت إلى الدهر » (مز ٤٩ : ٧ و ٨) ولكن ما استغلق واستعصى على الإنسان وجدناه فى ربنا يسوع المسيح الفادى الحبيب الذى صار « قريبنا » إذ اشترك فى اللحم والدم مثلنا وذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد . وقدّم نفسه فدية لأجل الجميع حتى كل من يؤمن به ينال فوائد هذا الفداء من عفو وتبرير وتحرير وميراث أبدى ، لأن المسيح لم يرد لنا الميراث الأرضى المفقود بل أعطانا ميراثاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظاً فى السموات لأجلنا « ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكى يكون المدعوون ، إذ صار موت لفداء التعديات ... ينالون وعد الميراث الأبدى » (عب ٩ : ١٥[1]) .

(١) هذه هى باكورات أثمار الفداء ولكن سننال كامل نتائج الفداء عند مجىء المسيح ليغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده . فنحن قد نلنا فداء أرواحنا ولكننا متوقعون « التبنى فداء أجسادنا » وقد خُتمنا بالروح القدس « ليوم الفداء »

الذى قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله . لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع (ع ٢٥ ، ٢٦)

هذا العدد يرجع بنا لننظر إلى الوراء لنتابع تاريخ خطايا البشر قبل الصليب ونرى الأساس الذى عليه تجاوز الله وتغاضى بإمهال عن خطايا السالفين من المؤمنين لمدة أربعة آلاف سنة من آدم إلى صليب المسيح . لقد كان الله باراً فى هذا الصفح . على أى أساس ؟ هل على أساس دماء الذبائح الحيوانية التى كانت تقدم ؟ حاشا بل على أساس ذبيحة المسيح التى كانت معروفة عند الله قبل تأسيس العالم وماثلة أمامه طول الوقت ، فالصليب هو مركز الدائرة الذى يرسل أشعته إلى الماضى السحيق كما يرسلها إلى المستقبل الأبدى . هو أساس الصفح عن خطايا السالفين ، وأساس تبرير المؤمنين فى العهد الحاضر والمستقبل بحيث يكون الله باراً وهو يبررهم ، وأساس ترنيمة المفديين فى السماء ، بل هو أساس كل شىء .

« الذى قدمه الله كفارة » كلمة « كفارة » هى نفس الكلمة المسمى بها غطاء التابوت أو « كرسى الرحمة » . وفى هذا دلالة واضحة على أن المسيح هو المرموز إليه بالغطاء . ونلاحظ أن غطاء التابوت كان قطعة واحدة من الذهب النقى رمزاً إلى أن الكفارة إلهية . وهذا يوافق قول الرسول هنا « الذى قدمه الله » . فالله من محبته هو الذى تطوع لتقديم الكفارة . الفكر الشائع عند الناس هو أنه مطلوب منهم أن يقدموا لله كفارة عن خطاياهم ولكن ما أبعد هذا عن الحق الإلهى . فالله هو الذى قدم ابنه الحبيب كفارة لخطايانا .

وكان غطاء التابوت على مقاس التابوت تماماً وفى هذا دلالتان : الأولى أن الكفارة كافية لتغطية ومواجهة كل مطالب عدل الله . والثانية أن الكفارة لها قياس قيمة شخص المسيح نفسه المرموز إليه بالتابوت . فما أثمنها وما أغلاها !

حقاً إن أى شيء آخر ما كان ليرضى الله ويجعل عرشه للمؤمن عرش رحمة لا عرش دينونة . ألا يذوب كل ادعاء حقير بالبر الإنسانى أمام هذه الكفارة الإلهية التى قدمها الله ؟

وتتمثل الكفارة بشكل واضح فى يوم الكفارة العظيم الذى يقع فى اليوم العاشر من الشهر السابع من السنة العبرية . ومن الملذ أن نعرف الارتباط بين الفداء والكفارة إذ كان ينادى بالعتق لجميع سكان الأرض ويرجع كل واحد إلى ملكه فى يوم الكفارة فى سنة اليوبيل (لا ٢٥ : ٩ ، ١٠) . ويشدد الرب على شعبه بعدم أداء أى عمل فى « يوم الكفارة » وفى هذا دلالة واضحة على أنه لا يد للإنسان مطلقاً فى عمل الكفارة إذ هى إلهية تماماً .

وكلمة « كفارة » لها دلالات كثيرة فى الكتاب المقدس فهى تفيد الستر والتغطية ، وتسكين الغضب ، والمصالحة وغير ذلك من المعانى المباركة . وفى الوقت الحاضر يحتمل الله العالم مقدماً له المصالحة بالنظر إلى كفارة المسيح بعمله الكامل على الصليب الذى به مجد الله تمجيداً كاملا ، وبذلك أمكن له أن يقدم نعمته وبره لكل العالم بحيث يمكن للجميع إذا آمنوا أن يتمتعوا بنتائج موت المسيح لأجلهم . فالكفارة هى أساس المناداة بالإنجيل . ولذلك يذكر الكتاب أن الكفارة ليست لخطايا المؤمنين فقط بل لكل العالم (١ يو ٢ : ٢) . وليس معنى هذا أن المسيح حمل خطايا جميع الناس . كلا لأن الكتاب لا يقول هذا بالمرة ، بل أنه أعطى الفرصة لله ليقدم خلاصه لكل العالم . ويوجد فرق بين « الكفارة » و« النيابة » ، فالكفارة هى لكل العالم ، أما النيابة فهى عن المؤمنين فقط « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط ٢ : ٢٤) . ويمكننا أن نرى هذين الوجهين فى التيسين اللذين كانا يقدمان كذبيحة خطية فى يوم الكفارة ، فالتيس الأول الذى كان يذبح ويدخل بدمه إلى الأقداس ويرش على غطاء التابوت يقال عنه إنه « قرعة الرب » أى لإيفاء مطاليب عدله ومجده ، وفى هذا نرى الكفارة .

أما التيس الثانى الذى كان رئيس الكهنة يضع يده عليه ويقرّ بجميع خطايا الشعب ثم يطلقه إلى البرية ، الذى يسمى « تيس عزازيل » ، فيشير إلى النيابة أى أن المسيح حمل خطايا المؤمنين وأبعدها عنهم إلى الأبد .

ثم نرى فى كون الحيوانات التى يدخل بدمها إلى الأقداس تحرق أجسامها خارج المحلة ، الدينونة الرهيبة التى احتملها المسيح على الصليب من يد العدل الإلهى عندما صرخ قائلا « إلهى إلهى لماذا تركتنى » .

وقوله « بالإيمان بدمه » يفيد أن الإيمان هو الذى يستطيع أن يمتلك بركات الكفارة ، وهو الذى يمكنه أن يدرك تلك الحقائق الإلهية السامية . والإيمان هو «بدمه» أى بموته . وفى كل مرة ترد عبارة « دم المسيح » فى العهد الجديد يُقصد بها موته الكفارى أو وضع حياته ذبيحة لأجلنا .

« لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » الكلمة المترجمة « صفح » هنا لا ترد فى الكتاب إلا هنا ، وهى بخلاف كلمة «صفح» المذكورة فى عدة أماكن من الكتاب . والكلمة المذكورة هنا تفيد التجاوز أو التغاضى ، وهى أقرب إلى الكلمة الواردة فى (أع ١٧ : ٣٠) « متغاضياً عن أزمنة الجهل » . لا شك أنه قد وقعت دينونات إلهية على الخطاة قبل الصليب ، كحادثة الطوفان ، وهلاك سدوم وعمورة ، وضربات أرض مصر وغيرها ، ولكن لم تكن كل هذه إلا عقوبات أرضية وقتية ، ولكن دينونة الخطية لم تكن إلا فى صليب المسيح الذى فيه ظهر كمال بر الله وعدله ، حيث لم يشفق على ابنه الحبيب . قبل الصليب لم يكن بر الله ظاهراً بوضوح وبدا للناس كأن الله يترك الخاطىء وشأنه غير محاسب إياه على خطاياه ، ولكن فى موت المسيح الكفارى على الصليب ظهر أن الله لا بد أن يدين الخطية إذ صب كل جامات غضبه على المسيح الذى جعل نفسه ذبيحة إثم . وفى الوقت نفسه ظهر عدل الله وبره فى التجاوز عن خطايا المؤمنين السالفين بإمهاله لأنه كان يتطلع إلى كفارة المسيح العتيدة أن تتم .

« لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان يسوع » . الزمان الحاضر هو زمان النعمة — زمان المناداة بالإنجيل . وفى هذا الزمان ليست المسألة كما فى القديم مسألة تجاوز عن الخطايا بإمهال الله ، بل تبرير المؤمن بالمسيح على أساس بر الله وعدله لأن الدم الكريم قد سُفك ، والدَّين قد وُفِّى تماماً ، فالله عندما يبرر الخاطىء عن طريق الإيمان بيسوع يكون فى ذلك باراً ، كما أنه عندما يرسل الأثمة غير المؤمنين إلى العذاب الأبدى يكون باراً أيضاً . وقوله « مَن هو من الإيمان بيسوع » يعنى الشخص الذى يجعل الإيمان بيسوع طريقه للتبرير ، بالمقابلة مع قوله « الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة » (غلا ٣ : ١٠) أى الذين يجعلون أعمالهم هى طريقهم للتبرير .

فأين الافتخار ؟ قد انتفى . بأى ناموس ؟ أبناموس الأعمال ؟ كلا . بل بناموس الإيمان (ع ٢٧)

سبق أن أوضح الرسول أنه « لا فرق إذ الجميع أخطأوا » فلا مجال للافتخار بين الخطاة لأنهم متساوون فى الذنب أمام الله . كما أنه لا مجال للافتخار بين المبررين لأنهم لم يتبرروا على أساس أعمالهم أو استحقاقهم بل على أساس عمل المسيح وكفارته . إذن قد انتفى الافتخار نهائياً . والذى عمل على انتفاء الافتخار وإلغائه هو « ناموس الإيمان » أى طريق أو مبدأ الإيمان الذى هو الطريق الوحيد للتبرير أمام الله .

إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس (ع ٢٨)

هذه ليست نتيجة بل هى السبب الذى يورده الرسول لانتفاء الافتخار . ولا يخطرن ببال أحد أن تبرير الإنسان بالإيمان بدون أعمال يعنى أن المؤمن لا يهتم بأن يمارس أعمالا حسنة . حاشا لأن الإيمان الحى لا بد أن تكون له أعمال كثمر له . ولكن الأعمال بعد الإيمان ليست هى أعمال الناموس بل

هى ثمر الروح . وليست هى لكى يتبرر الإنسان بها أمام الله ، لأن الله هو وحده الذى يبرر الفاجر ، ولكنها ثمر المحبة لله والرغبة فى تمجيده .

أم الله لليهود فقط ؟ أليس للأمم أيضاً ؟ بلى للأمم أيضاً . لأن الله واحد هو الذى سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان (ع ٢٩ و ٣٠)

كان عند اليهود فكر خاطىء وهو أن الله لهم وحدهم ، وأن مشورات نعمته تختص بهم دون سواهم ، ولكن إذا رجعنا إلى المزامير والنبوات نجد بوضوح قصد الله فى مباركة الأمم « مع شعبه » . وقال الرب له المجد لليهود « بالحق أقول لكم إن أرامل كثيرة كن فى إسرائيل فى أيام إيليا ... ولم يرسل إيليا إلى واحدة منها إلا إلى امرأة أرملة إلى صرفة صيداء (أى أممية) » (لو ٤ : ٢٥ و ٢٦) وبعد قيامة المسيح من الأموات قال للتلاميذ « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . وقد وردت كلمات الرب هذه فى إنجيل متى « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت٢٨: ١٩) لأن العمل الذى أكمله على الصليب هو لجميع البشر بلا استثناء . ويقول الرسول بولس « حيث ليس يونانى ويهودى ختان وغرلة بربرى سكيثى عبد حر بل المسيح الكل وفى الكل » (كو ٣ : ١١) .

وقوله « لأن الله واحد » يفيد أن مبدأ الله واحد وطريقه للتبرير واحد . فالجميع أخطأوا على قدم المساواة والله أوجد طريقاً واحداً خاصاً به لتبرير الخاطىء سواء من الختان أى يهودياً أو من الغرلة أى أممياً ، وهو طريق الإيمان .

أفنبطل الناموس بالإيمان ؟ حاشا بل نثبت الناموس (ع ٣١)

هذا الأصحاح ملىء بالاعتراضات اليهودية ولكن الرسول بالروح القدس يرد عليها جميعها بطريقة مقنعة وحاسمة ، فمعظم هذا الأصحاح مرتب على طريق السؤال والجواب . وفى هذا العدد الأخير من الأصحاح يأتى الرسول باعتراض هام يمكن أن يعترض به اليهودى «أفنبطل الناموس بالإيمان» ؟ ويجيب عليه

إجابة مختصرة ولكنها قوية وحاسمة « حاشا بل نثبت الناموس » لنأخذ لذلك مثلا : الرجل الذى احتطب حطباً فى يوم السبت (عد ١٥ : ٣٢) . كيف كان يمكن أن يثبت الناموس فى هذه الحالة ؟ هل بإطلاق سراحه ؟ كلا . هل بتهذيبه وإصلاحه ؟ كلا . هل بأخذ تعهد عليه بعدم العودة إلى هذا العمل ؟ كلا . كل هذه الطرق كانت بمثابة تبطيل للناموس . والطريقة الوحيدة لتثبيت الناموس كانت فى رجمه بالحجارة للموت . هكذا الإيمان يثبت الناموس لأنه يتمسك بالمسيح المصلوب الذى مات لأجل خطايانا واحتمل عقوبة العدل الإلهى كاملة . ويقول الرسول بصدد تثبيت الناموس بواسطة موت المسيح « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا . لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) فالناموس لم يجد ما يثبته تماماً إلا فى الإنجيل المقدم للإيمان ، سواء نظرنا إلى الخاطىء الذى يدينه الناموس ، والإنجيل يثبت هذه الإدانة ، أو نظرنا إلى المسيح الذى احتمل كل الدينونة على الصليب لكى يبرر الخطاة المذنبين . إن اقتراح أى طريق آخر لخلاص الخاطىء غير موت المسيح الكفارى إنما يبطل الناموس ويضيع سلطانه ، أما طريق الإيمان بذبيحة المسيح فهو الطريق الوحيد الذى يثبت الناموس .



الأصحاح الرابع

كان الموضوع الأساسى فى الأصحاح الثالث هو « بر الله » ، ولكن فى هذا الأصحاح نجد « بر الإيمان » أى البر الذى يحصل عليه المؤمن ، كما يقول الرسول فى العدد الأول إن أبانا إبرهيم « قد وجد » أى وجد البر أو كما يقول فى ص ٩ : ٣٠ « أما الأمم ... فأدركوا البر . البر الذى بالإيمان » . قال المسيح له المجد « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون » (مت ٥ : ٦) ولكن كيف يُشبَعون ؟ بإيمانهم بعمل المسيح الكامل لأجلهم .

كان لا بدَّ أن نتعلم فى الأصحاح السابق « بر الله » أولا لنرى كيف يكون الله باراً عندما يبرر الفاجر . ولكن فى هذا الأصحاح نجد أن بر الإيمان هو نصيب الذين يؤمنون ، كما يقول الرسول فى (فى ٣ : ٩) « وليس لى برى الذى من الناموس بل البر الذى من الله بالإيمان » ويأتى الرسول برجلين من أعظم رجال العهد القديم ليبين أنهما تبررا على نفس المبدأ — بالإيمان ، وهما إبرهيم مستودع المواعيد ، وداود رمز الملك الحقيقى الذى يحسب الله .

فماذا نقول إن أبانا إبرهيم قد وجد حسب الجسد . لأنه إن كان إبرهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله . لأنه ماذا يقول الكتاب . فآمن إبرهيم بالله فحسب له (الإيمان) براً (ع ١ — ٣)

ولكى نفهم هذه الأقوال يمكننا أن نرتبها على الوضع الآتى : فماذا نقول إن أبانا إبرهيم[1] حسب الجسد قد وجد البر . فهل كان ذلك بالأعمال ؟ لو كان إبرهيم قد تبرر بالأعمال لكان له فخر . ولكننا نعلم أنه ليس فخر

(١) يأتى الرسول بالكلام عن أبينا إبرهيم لكى يسقط حجة اليهود الذين يفتخرون ببنوتهم لإبرهيم دون أن يكون لهم إيمان إبرهيم .

لدى الله . إذاً لم يتبرر إبرهيم بالأعمال بل بالإيمان لأنه ماذا يقول الكتاب : فآمن إبرهيم بالله فحُسب له الإيمان براً .

إبرهيم هو أول شخص فى الكتاب تثبّت فيه مبدأ الحصول على البر على أساس الإيمان لأنه هو أول من وصلت إليه الدعوة من الله ، مع أنه ليس أول من كان له إيمان ولا أول من دعى باراً . فهابيل هو أول من قيل عنه فى الكتاب « البار أو الصديق » و نوح أيضاً دُعى باراً « وصار وارثاً للبر الذى بحسب الإيمان » . ولكن لم يُدعَ هابيل أو نوح أباً للمؤمنين . أما إبرهيم فمكتوب عنه فى هذا الأصحاح « ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون » (ع ١١) وفى إبرهيم أدخل الله بوضوح مبدأ حسبان البر على أساس الإيمان « فآمن بالرب فحسبه له براً » (تك ١٥ : ٦) . فلم يحسب الله البر لإبرهيم على أساس عمل قد عمله أو صلاح فيه بل على أساس الإيمان . فإن كان أبو المؤمنين قد تبرر بالإيمان فهل يمكن لأى شخص آخر أن يتبرر على غير هذا الأساس ؟

قد يجد البعض صعوبة فى التوفيق بين كلام الرسول بولس هنا وكلام يعقوب فى رسالته حيث يقول « ألم يتبرر إبرهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق إبنه على المذبح ؟ » (يع ٢ : ٢١) . ولكن بإمعان النظر نجد أنه لا تناقض بالمرة بين أقوال بولس ويعقوب ، لأن بولس يشير إلى تك ١٥ : ٦ حيث نقرأ عن إيمان إبرهيم بالوعد الذى أعطاه إياه الرب بأن يكون نسله مثل نجوم السماء ، فحسب له الله الإيمان براً . أما يعقوب فيشير إلى (تك ٢٢) حين قدم إبرهيم إسحق ابنه على المذبح .

فى الحادثة الأولى تبرر إبرهيم أمام الله بالإيمان ، وفى الحادثة الثانية تبرر أمام الناس بالأعمال أى بتقديم إسحق على المذبح . وكان هذا ثمر الإيمان كما يقول يعقوب نفسه « فترى أن الإيمان عمل مع أعماله » فالإنسان قبل الإيمان ميت لا يمكن أن ينتج عملا صالحاً كالشجرة الرديئة التى لا تثمر إلا أثماراً

رديئة ، ولذلك لا يمكن أن يتبرر أمام الله بعمل من عنده بل يتبرر بالإيمان ، وذلك مجاناً بنعمة الله . ولكن بعد الإيمان ينال حياة جديدة ويستطيع أن يعمل أعمالا صالحة يثبت بها للناس إيمانه ويتبرر أمامهم بأعماله . ونجد ذلك واضحاً فى (أف ٢) « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (ع ٨ و ٩) . وبعد أن ينفى الأعمال بتاتاً قبل الإيمان يقول الرسول « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » (ع ١٠) . فالأعمال قبل الإيمان مرفوضة وهى أعمال ميتة . ولكن بعد الإيمان ، الأعمال مطلوبة وضرورية ومقبولة أمام الله لأنها ثمر الروح القدس .

أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين (ع ٤)

أى أن الذى يقصد أن يحصل على التبرير عن طريق أعماله فكأنه يطالب الله بتبريره مقابل أعماله كصاحب دين عليه . نظير الذين يريدون أن يشتروا الحياة الأبديه بأعمالهم ولسان حال كل منهم : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . وكأن مثل هذا الإنسان يترفع عن أن ينال شيئاً من الله مجاناً على سبيل نعمة . كم هو وقح فكر الإنسان الذى يريد أن يتبرر بأعماله بينما الله يقدم له التبرير مجاناً من مجرد نعمته .

وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً (ع ٥)

أى أن الذى لا يستند على أعماله لأجل تبريره بل يؤمن بالله الذى يبرر الخطاة الفجار[1] على أساس بعيد عن ذواتهم تماماً ، هذا يحسب له الله إيمانه

(١) لا يقول الوحى هنا أن الله يبرر المؤمنين مع أن هذا صحيح ولكنه =

براً . الله يريد من الإنسان أن لا يعمل شيئاً لأجل خلاصه بل أن يقف خاشعاً ناظراً إلى خلاص الله «قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم .. وأنتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٣ و١٤) « التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض » ويشدد الوحى على عدم العمل[1] لأجل الخلاص أو التبرير لأن الذى يعمل يفترض فى نفسه أنه حى وقادر على إنتاج ثمر لله ، بينما هو فى حقيقته ميت بالذنوب والخطايا وعاجز كل العجز « لأن الذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » . ونقطة الابتداء فى الحصول على الخلاص والتبرير هى الاقتناع بعجز الإنسان وفقره وفساده وعدم نفعه ، ثم الالتجاء إلى الله صارخاً « ارحمنى اللهم أنا الخاطىء » . وكما سبق أن قلنا الله يحب الأعمال الصالحة ويطلبها ولكن ليس من الإنسان الطبيعى بل من المخلوقين فى المسيح خليقة جديدة .

كما يقول داود أيضاً فى تطويب الإنسان الذى يحسب له الله براً بدون أعمال طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم . طوبى للرجل الذى لا يحسب له الرب خطية (ع ٦ — ٨)

يأتى الوحى هنا بشهادة داود فى المزمور الثانى والثلاثين . هل هى متفقة مع مبدأ الإنجيل ؟ نعم لأنه يطوب الذين بسبب خطاياهم وآثامهم يلعنهم الناموس . يطوبهم لأن الله يحسب لهم براً لا بأعمالهم الصالحة ولكن بالرغم من أعمالهم الشريرة . فهو تطويب نعمة الله وليس لعنة ناموسه ، حيث لا توجد أعمال بر ذاتى بل آثام وخطايا ، ومع ذلك « لا يحسب لهم الرب

= يضع الكلام فى هذه الصورة القوية الملفتة للنظر أنه « يبرر الفاجر » لكى يعلن بوضوح أن التبرير لا يستند على أقل ذرة من الاستحقاق فى من يحصل عليه .

(١) لا يمكن أن يكون التبرير بالإيمان والأعمال معاً لأنهما مبدءان متناقضان : مبدأ النعمة ، ومبدأ مداينة الله .

خطية ، بل « يحسب لهم براً بدون أعمال » . هذا هو إعلان إله كل نعمة من نفسه كما يريد هو أن يُعرف من الإنسان الخاطىء . إنه يبرر الذين هم أشد احتياجاً إلى التبرير — الفجار . وسبق أن رأينا الأساس الذى عليه يحسب الله البر للإنسان الخاطىء ، ويغفر آثامه ، ويستر خطاياه ، ولا يحسب له الرب خطية ، وهو الإيمان بالفداء الذى بيسوع المسيح . وهو لا يغفر خطاياه فقط بل يحسبه باراً كأنه لم يرتكب شيئاً من الذنوب لأنه يراه فى بديله الكريم ، ابن الله المحبوب . وداود يطوب هذا الإنسان ويغبطه . نعم إنه لا توجد غبطة وسعادة تعادل سعادة الذى نال الغفران والتبرير .

أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضاً . لأننا نقول إنه حسب لإبرهيم الإيمان براً . فكيف حسب ؟ أوهو فى الختان أم فى الغرلة ؟ ليس فى الختان بل فى الغرلة وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذى كان فى الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة كى يحسب لهم أيضاً البر . وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضاً يسلكون فى خطوات إيمان أبينا إبرهيم الذى كان وهو فى الغرلة .
(ع ٩ — ١٢)

سبق أن رأينا أنه قد حسب الإيمان لإبرهيم براً ، وتأيد ذلك بشهادة داود عن تطويب الإنسان الذى غفر اثمه ولا يحسب له الرب خطية . ولكن يثير الرسول هنا مسألة جديدة وهى : أليس هذا التطويب الذى نطق به داود هو على الذين فى الختان ؟ فيعود الرسول إلى إبرهيم . ومَن من اليهود لا يوقر إبرهيم ؟ كيف حُسب البر لإبرهيم ؟ هل وهو فى الختان أم فى الغرلة ؟ بدون شك وهو فى الغرلة قبل أن يختتن بحوالى خمس عشرة سنة . وإنما حصل على الختان بعدئذ ختماً لتبريره بالإيمان ، ذلك التبرير الذى حصل

عليه وهو فى الغرلة . فإبرهيم والحالة هذه أصلح رجل لأن يكون أباً لجميع الذين يؤمنون من الغرلة ومن الختان الذين سيحسب لهم البر . ولكن الذين يحسب لهم البر من الختان ليسوا الحاصلين على العلامة الخارجية فى الجسد بل الذين يسلكون فى خطوات إبراهيم

فاليهودى لا يستطيع أن يشير إلى إبرهيم إلا ويضطر إلى الاعتراف بنعمة الله الموجهة إلى الأمم لتبريرهم بالإيمان ، حيث يعد حالة إبرهيم خير شاهد ودليل على ذلك إذ قد حصل هو نفسه على بر الإيمان وهو فى الغرلة . كان الله قادراً ، لو أراد ، أن يبرر إبرهيم بعد الختان . ولكنه رأى فى سامى حكمته أن يفعل العكس ليبين أن الختان ليس هو الواسطة للحصول على نعمة الله التى تبرر ، وأن الله سيبرر الأمم أيضاً بالإيمان كما برر إبرهيم وهو فى الغرلة . وكأن الله قد أعد العدة فى نفس الوقائع المدونة فى سفر التكوين لتبرير الأمم الذين فى الغرلة بالإيمان .

ومن المفيد أن نقتبس هنا كلام الرسول فى رسالة غلاطية بخصوص موضوع تبرير إبرهيم حيث يقول « فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان . كما آمن إبرهيم بالله فحُسب له براً . اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبرهيم . والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشر إبرهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم . إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبرهيم المؤمن ... المسيح افتدانا من لعنة الناموس ... لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح » (غلا ٣ : ٥ — ١٤) .

نرى فى هذه الأعداد بكل وضوح أن بر الإيمان وعطية الروح القدس يتمشيان جنباً إلى جنب . وهذا يتفق أيضاً مع ما جاء فى ٢ كو ٣ حيث نرى أنه فى العهد الجديد توجد خدمة الروح وخدمة البر . لقد كانت خدمة العهد

القديم خدمة موت ودينونة للذين تحت الناموس ، أما خدام العهد الجديد فلهم خدمة الروح وخدمة البر .

وبر الإيمان له ختم إلهى ، وهذا الختم يبين أن المؤمن يجب أن يرفض الجسد بالحكم على الذات . فعائلة الإيمان تتميز بالختان الروحى الذى هو خلع جسم البشرية أى الجسد — الطبيعة الفاسدة وإماتة أعمالها بقوة الروح القدس . لقد أخذ إبرهيم علامة الختان ختماً لبر الإيمان . ولا شك أن ختم بر الإيمان بالنسبة لنا هو عطية الروح القدس الذى به خُتمنا ليوم فداء الجسد . والروح القدس يعطينا القوة لإبعاد الجسد عملياً ، وهذا هو المرموز إليه بالختان . فبر الإيمان يلازمه بالضرورة ويرتبط به هذا الختم . ومعنى هذا أن المؤمن الذى تبرر بالإيمان لا يسلك فيما بعد حسب الجسد بل حسب الروح .

فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبرهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان (لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد) . لأن الناموس ينشئ غضبا إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد (ع ١٣ — ١٥)

يأتى الرسول الآن إلى هذه الحجة القوية بالنسبة إلى إبرهيم وهى أن أساس معاملات الله معه للبركة والميراث هو الوعد لا الناموس . ففى تك ١٢ أعطى الله الوعد لإبرهيم ، وفى تك ٢٢ أعطاه الوعد فى نسله (المسيح) دون أية إشارة إلى الناموس . والوعد يتضمن أن الله هو المتعهد بتتميمه ، أما الناموس فيتضمن أن طاعة الإنسان هى التى تكفل له الميراث . ولكن فى حالة إبرهيم ، الميراث ليس بالناموس بل بالإيمان بالوعد . وعلى ذلك « إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد » .

والميراث يتضمن كل مشاهد المجد الواسعة التى ستستعلن فى المستقبل ، ومن ضمنها مجد الملك الألفى — كل هذه ستمتلك بواسطة المسيح والوارثين معه كما يقول الرسول « فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٧) وأيضاً « فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبرهيم وحسب الموعد ورثة » (غلا ٣ : ٢٩) .

لقد فقد آدم ميراثه لأنه سقط ، وسقط معه نسله الجسدى ، ولكن إبراهيم نجح ليكون أباً لنسل روحى « لجميع الذين يؤمنون » ، وهذا النسل الروحى نسل الإيمان هو الذى سيحصل على الميراث — ليس الأرضى فقط بل أمجد منه بما لا يقاس

« لأن الناموس ينشىء غضباً إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد » العدد السابق يعتبر أقوالا معترضة ، والكلام فى ع ١٥ متصل مع ع ١٣ هكذا « فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبرهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان . لأن الناموس ينشئ غضباً » . هذا هو السبب فى عدم إمكانية الوراثة بالناموس لأن الناموس إنما يأتى للإنسان بالغضب والدينونة . والسبب فى ذلك أنه يكشف تعديات الإنسان ويدينه « إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد » . فمع وجود الخطية لا تحسب تعدياً إن لم يكن ناموس . لأن التعدى لا يكون إلا على وصية موضوعة . والخلاصة أن الناموس لا يمكن أن يكون واسطة للميراث بل بالعكس هو أساس الغضب والدينونة

لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ، ليس لمن هو من الناموس فقط . بل أيضاً لمن هو من إيمان إبرهيم الذى هو أب لجميعنا (ع ١٦) .

كما أن الإيمان يتعارض مع الأعمال (من جهة الحصول على التبرير)

هكذا النعمة تتعارض مع الناموس . لأن نعمة الله الذى أعطى الوعد تفتح باب الإيمان على مصراعيه للأمم وليس لليهود فقط .

وفى هذا العدد نجد ثلاث بركات ثمينة : (١) أن الميراث هو « على سبيل النعمة » (٢) « ليكون الوعد وطيداً » أى أن وعد البركة والميراث فى المسيح هو وعد أكيد ومضمون . ولم يكن ممكنا أن يكون كذلك لو كان على أساس عمل الإنسان أو استحقاقه (٣) أن الوعد « لجميع النسل » أى نسل الإيمان من يهود وأمم « ليس لمن هو من الناموس فقط » أى اليهود بل لجميع الذين هم « من إيمان إبرهيم » أى على مبدئه وطريقه .

(كما هو مكتوب إنى قد جعلتك أباً لأمم كثيرة .) أمام الله الذى آمن به الذى يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة (ع ١٧)

الجزء الأول من هذا العدد هو أقوال معترضة ، فيها يستشهد الرسول بقول الله لإبرهيم فى سفر التكوين « إنى قد جعلتك أباً لأمم كثيرة » ، والجزء الأخير من العدد يتصل بالعدد السابق هكذا « إبرهيم الذى هو أب لجميعنا أمام الله الذى آمن به » أى أن ابرهيم فى نظر الله أب لجميع المؤمنين لأنهم آمنوا بالله بنفس الطريقة وهى أنه « يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » . هذا هو مبدأ الله دائماً أن يكشف للإنسان حالته الحقيقية أنه ميت ، و « غير موجود » أى ليس له كيان روحى ، وهذا ينحى جانباً مبدأ البر الذاتى ، ويجعل الله وحده مصدر البركة على أساس النعمة .

إن الله الذى آمن به إبرهيم « يحيي الموتى » . وقد تعلم إبرهيم هذا الدرس فى جسده كما كانت طريقة الله فى تلك الأيام البدائية فى تعليم المؤمنين حقائقه السامية بواسطة كتاب الطبيعة . فإبرهيم وسارة كانا فى حكم الميتين ، ولكن

إبرهيم آمن بأن الله يحيي الموتى . وإسحق (النسل الموعود به) لم يكن موجوداً، ولكن إبرهيم آمن بأن الله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة . لقد سبق الله أن قال « أن يشرق نور من ظلمة » ، وكوّن كل ما يرى من لاشيء « لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر » . ولا يزال الله هو هو الخالق والمحيي .

والقيامة كانت دائماً في فكر الله كطريق البركة للإنسان ، فكان على إبرهيم أن يسير أمام الله القدير بجسد ممات لا يستطيع أن يعتمد عليه في إنتاج شيء . لقد تركه الله إلى أن أصبحت حالته ميئوساً منها لكي يعود المجد لله وحده الذي يحيي الموتى . فالإنسان يوضع في مكانه — مكان الموت ، والله يوضع في مكانه مكان المحيي ، فيتمجد الله ويتبارك الإنسان . والإيمان هو الذي يوصلنا إلى هذا ، أي أن الله كل شيء والإنسان لاشيء . هذا الإيمان يحسبه الله براً .

فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً لأمم كثيرة كما قيل : هكذا يكون نسلك . وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مماتية مستودع سارة . ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله . وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً . لذلك أيضاً حسب له براً (ع ١٨ — ٢٢)

من الجانب البشري لم يكن هناك رجاء بالمرة ، ولكن من الجانب الإلهي كان هناك رجاء كامل للتمسك بكلمة الله ووعده . وإبراهيم آمن على الرجاء ولم يخز ، لأن الله لا يمكن أن يفشل في تحقيق ما وعد به . كان وعد الله مضاداً للرجاء في الطبيعة . ولو نظر إبرهيم إلى الموضوع من جهة نفسه

ومن جهة سارة لفقد الرجاء ، ولكنه آمن على الرجاء بكلام الله الذى وعده بأن يعطيه نسلا كنجوم السماء . لم يعتبر جسده ، أى لم يجعله فى الحساب ، ولا نظر إلى مماتية مستودع سارة ، لأن الإيمان لا يتخذ حجته من الذات أو من الظروف بل من الله وكلمته .

لقد آمن إبرهيم بقوة الله العجيبة وقدرته على الإقامة من الموت ، وهو أول من آمن على هذا النحو . لقد آمن أخنوخ أن الله قادر أن يجعله لا يرى الموت ، ولكن الإيمان بالقيامة يذهب إلى أبعد من هذا ، إذ هو أيسر للإنسان أن يؤمن بأن الله يستطيع أن يحفظه حياً حتى لا يرى الموت من أن يؤمن بأنه قادر على الإقامة من الأموات . قالت كل من مرثا ومريم « يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى » . ولكن كان عليهما أن يتعلما ما هو أبعد من هذا أنه قادر أن يقيم لعازر من الموت بعد أن دخل فيه — وهذه هى قوة الله ومجده « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله » . وإبرهيم « أعطى مجداً لله » كمن له قوة الإقامة من الأموات . وهنا نرى شيئاً جديداً — ليس البر والنعمة فقط ، بل القوة أيضاً .

والإنجيل يضع أمام نفس المؤمن هذه الحقائق الأساسية العظيمة : بر الله ، ونعمة الله ، وقوة الله . والإيمان لا يرى فقط أن الله يبرره على أساس عدله ، وبموجب نعمته ، بل بقوته أيضاً ، لأن قوة القيامة هى التى تعطى مجداً لله . صحيح أننا نقرأ فى تك ١٧ : ١٧ أن إبرهيم « سقط على وجهه وضحك وقال فى قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة؟» ولكن الله يشهد هنا فى رو ٤ : ٢٠ أن إبرهيم « تقوى بالإيمان» فنفهم من هذا أن إبرهيم بعد أن ضحك وقال ذلك القول فى قلبه طلب من الله أن يقوى إيمانه فاستجاب له ، فتقوى بالإيمان معطياً مجداً لله . وكذلك سارة ضحكت فى قلبها ولكنها تقوت أيضاً بالإيمان فنقرأ « بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل . وبعد وقت السن ولدت إذ حسبت الذى

وعد صادقاً » (عب ١١ : ١١) — حقاً إن الإيمان يمجد الله كما أن عدم الإيمان يهين اسمه الكريم . ليعطنا الرب نعمة حتى تتقوى دائماً بالإيمان فنعطى « مجداً لله » .

ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له (البر) بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (ع٢٣ — ٢٥)

نلاحظ أن الموضوع هنا ليس موضوع التبرير بكفارة المسيح كما فى الأصحاح الثالث بل مسألة الإيمان بالله الذى أقام يسوع ربنا من الأموات. فالحق المعلن هنا ، كما قلنا آنفاً ، ليس نعمة ذاك الذى تألم من أجل خطايانا ، بل تداخل الله بالقوة الظافرة لإقامة ذاك الذى أسلم نفسه ليحتمل الدينونة نيابة عنا . أو كما هو مكتوب هنا أنه « أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » . فالنقطة الرئيسية فى ص ٣ : ٢٦ هى « الإيمان بيسوع » ، بينما النقطة الرئيسية هنا هى « الإيمان بمن أقام يسوع من الأموات » . هذا هو الله الذى نعرفه الآن . لقد عرفه الآباء كما سُرَّ أن يعلن ذاته لهم حينئذ كإله إبرهيم وإسحق ويعقوب معطى المواعيد التى كان لا بد أن تتم فى حينها . ومع أنه هو نفس الإله المنعم المبارك ، إلا أن الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب — ذاك المملوء نعمة وحقاً — قد أعلنه لنا بكيفية لم يعرفها أولئك الآباء . ليس ذلك فقط ولكن المسيح قد « أسلم من أجل خطايانا » ووضع نفسه للموت عنا ، وبذلك مجّد الله تماماً بدليل أنه أقامه من الأموات. فالخطايا التى وُضعت عليه ، أين هى ؟ ذهبت إلى الأبد ، محيت تماماً بدمه الكريم . فهل كان يمكن أن يترك الله فى الموت ذاك الذى مجده إلى التمام ، وربط بمجده خلاصنا وبركتنا الأبدية ؟ حاشا . بل أقامه من الأموات وأعطاه مجداً حتى أن إيماننا ورجاءنا هما فى الله .

إن كان يسوع ربنا قد أسلم من أجل خطايانا فما أكمل الحل الإلهي والتسوية النهائية لمشكلة هذه الخطايا ! وإن كان قد أقيم لأجل تبريرنا ، فما أكمل هذا التبرير ! من ذا الذي يمكن أن يتصور أي أثر لتهمة أو ذنب في يسوع المقام من الأموات ؟ على هذا القياس هو تبريري أمام الله . ألا يفوق هذا أي تفكير بشري ؟ ليتنا نضع كل ثقتنا في يسوع ربنا — موضوع محبة وتعبد قلوبنا ، وفي الله الذي أقامه من الأموات ، وحينئذ يكون لنا في نفوسنا أساس ثابت ومتين للسلام . وهذا ما سنراه في الأصحاح التالي .

ونلاحظ أن يسوع ربنا منظور إليه هنا لا ككفارة لأجلنا كما في الأصحاح الثالث ، بل كالبديل الذي وُضعت كل خطايانا عليه — الذي أسلم من أجل خطايانا ، ولذلك تعتبر إقامته من الأموات الشهادة الواضحة على محو تلك الخطايا من أمام الله ، وعلى كمال قبول الله لعمل البديل وقبولنا فيه . فالأساس لتبريرنا هو دم المسيح كما هو مبين في الأصحاح الخامس « ونحن متبررون بدمه » ، ولكن الشهادة لتبريرنا هي في قيامة المسيح من الأموات :

وهكذا نجد ثلاث طرق يتكلم بها الوحي عن التبرير :

(١) أننا متبررون بدمه . هذا هو الثمن المدفوع .

(٢) أننا متبررون بقيامته . هذا هو النطق بحكم التبرير لصالحنا .

(٣) أننا متبررون بالإيمان . وهذه هي الواسطة التي بها نضع أنفسنا ضمن الذين ناب المسيح عنهم وأسلم من أجل خطاياهم .

الأصحاح الخامس

عالج الوحى فى الأصحاحات السابقة من هذه الرسالة موضوع التبرير علاجاً شاملا وافياً ، من ناحية دم المسيح الذى سفك كفارة لأجلنا . ومن ناحية قيامة المسيح بقوة الله بعد أن أسلم من أجل خطايانا وسوى حسابها تماماً .

وفى الأعداد الأولى (١ — ١١) من هذا الأصحاح يوضح الرسول النتائج المباركة التى يحصل عليها المؤمن الذى تبرر بالإيمان . ومن ع ١٢ إلى نهاية الأصحاح الثامن يبدأ قسم جديد من الرسالة يتناول فيه الرسول — لا موضوع الخطايا بل الخطية الأصلية ، ويعقد مقابلة بين ارتباطنا بآدم الأول وما حصدناه نتيجة لذلك ، و بين ارتباطنا بآدم الأخير وما حصلنا عليه نتيجة لذلك من البركات الثمينة .

فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح . الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله (ع ١ و ٢)

الغرض الرئيسى من هذه الرسالة هو إيضاح الطريقة التى بها يمكن أن يأتى الإنسان إلى الله فى سلام . وقد أوضح الرسول فيما سلف أن هذه الطريقة هى أن يحصل الإنسان على غفران خطاياه . ويحسبه الله باراً ، ويقبله قبولا تاماً فى حضرته المقدسة . وقد أفاض الرسول فى إيضاح ذلك فى الأصحاحات السابقة من الرسالة . وبما أن دم المسيح الذى سفك لأجلنا على الصليب ثابت القيمة والفعالية أمام الله إلى الأبد ، فمن حق المؤمن أن يتمتع بالسلام الكامل مع الله ، لأن المسيح « بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١٤) . وقد عمل لنا « الصلح بدم صليبه »

(كو ١ : ٢٠) . لقد كنا قبلا فى حالة العداوة من جانبنالله ، ولكن المسيح بعمله على الصليب قد وضع قاعدة ثابتة متينة للصلح مع الله والوجود فى سلام معه . والإيمان يتمتع بهذا السلام ولكن يوجد فرق بين السلام الذى صنعه لنا المسيح وبين التمتع بهذا السلام . وبقدر عدم مشغوليتنا بذواتنا وتثبيت أنظارنا فى عمل المسيح الكامل لأجلنا ، وفى وجوده فى المجد دليلا قاطعاً على تبريرنا ، بهذا القدر نتمتع بالسلام مع الله بربنا يسوع المسيح .

ومن الخطأ أن نخلط بين « السلام مع الله » ، و « السلام من الله » (كما يرد فى افتتاحية الرسائل « نعمة لكم وسلام من الله ») ، وبين « سلام الله الذى يفوق كل عقل » (فى ٤ : ٧) فبينما يكون المؤمن متمتعاً بالسلام مع الله من جهة قبوله أمامه . فإنه يحتاج يومياً إلى سلام من الله . بل إلى سلام الله نفسه ليحفظ قلبه وفكره فى المسيح يسوع ، لأن المؤمن معرض لأن ينزعج بخصوص هذا الأمر أو ذاك عوضاً عن أن يلقى كل همه على الله بالصلاة والدعاء مع الشكر .

والسلام مع الله مؤسس على كمال عمل المسيح لأجلنا — العمل الذى قبله الله تماماً ولذلك أجلس المسيح عن يمينه فى الأعالى . إذا كان المسيح قد فشل فى عمله فيحق لى أن لا أتمتع بالسلام الكامل . ولكن حاشا أن يكون ذلك ، فالمسيح قد أكمل العمل وأرضى الله ، ومسرة الرب بيده تنجح ، ولذلك من حقى أن أتمتع بسلام مستقر فى شخصه . على أن البعض يجعلون من إيمانهم غرضاً لهم ، فيلتفتون إلى أنفسهم ليروا هل إيمانهم يكفى لأن يعطيهم السلام ؟ ولكن السلام لا يستند إلى الشعور أو الاختبار لأنى لا أستطيع أن أثق فى شعورى إذ هو متقلب وغير ثابت ومعرض للارتفاع والانخفاض تبعاً للحالة الروحية كما هو واضح فى تاريخ القديسين على صفحات الكتاب المقدس . ولكنى أستطيع أن أثق فى الله وفى قلبه ، وهذه الثقة هى التى تعطينى السلام .

فالإيمان لا يتطلع إلى الذات بل إلى غرض الإيمان « الرب يسوع المسيح » .

نحن لسنا مدعوين لأن نؤمن بأننا نؤمن ، بل بأن نؤمن بالمسيح ابن الله الذى به صار لنا السلام مع الله . ويوجد وصف جميل لهذا السلام فى المشهد الذى فى السماء كما هو مبين فى رؤ ٤ . فهناك نرى الأربعة والعشرين شيخاً جالسين على عروشهم فى حضرة الله فى مشهد أشبه بمشهد جبل سيناء مشهد « بروق ورعود وأصوات » . وبينما تتأهب الدينونات المرعبة لتقع على الأرض ، نجدهم جالسين فى حضرة الله فى سلام كامل . وحينما يسمعون القول « قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شىء » لا يثير هذا فيهم الرعب والفزع بل نجدهم يخرون ويسجدون قدام الجالس على العرش مسبحين هاتفين .

فعندما تتطلع نفس المؤمن إلى الله لا تجد سحابا أو ضباباً يزعجها بل تجد جواً صافياً ، فلا مسألة ذنب ثار ، ولا صوت ضمير يشتكى ، بل يستطيع المؤمن مثل نوح أن يتطلع إلى السماء الصافية من فوقه بعد أن انتهت وعبرت كل تيارات ولجج الدينونة . وهذا السلام هو « بربنا يسوع المسيح » . ونلاحظ أنه يذكر اسم الرب هنا بكامل ألقابه ، بينما يذكر اسمه فى الأصحاح الثالث عندما يتكلم الرسول عن الكفارة بدمه « يسوع » . « ويبرر من هو من الإيمان بيسوع » . وفى الأصحاح الرابع عندما يتكلم عن قيامته يقول « نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات » . ولكن هنا يقول الرسول « لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » .

السلام هو النتيجة الأولى من نتائج تبريرنا بالإيمان . والرسول يذكر فى مقدمة هذا الأصحاح ثلاث نتائج : النتيجة الأولى تختص بالماضى وهى السلام . والنتيجة الثانية تختص بالحاضر وهى « النعمة التى نحن فيها مقيمون » والنتيجة الثالثة تختص بالمستقبل وهى « رجاء مجد الله » .

والنتيجة الثانية هامة وحلوة كالأولى . وجميل أن نقرأ أنها أيضاً « بربنا يسوع المسيح » وهى أنه صار لنا به الحق فى الدخول إلى هذه النعمة والإقامة فيها إقامة دائمة . مبارك اسم الرب . نحن الآن نقيم فى دائرة الرضى الإلهى نحن الذين كنا نستحق بعدل أن نطرح فى العذاب الأبدى باستحقاق خطايانا وآثامنا . النعمة هى التى تملك الآن . ونحن لسنا «تحت الناموس » . ولو وضعنا نفوسنا تحته لسقطنا من النعمة وأنكرنا المخلص وفداءه الثمين الذى أكمله على الصليب . ولكن النعمة هى التى تحفظنا فى حالة القيام لا السقوط « هذه هى نعمة الله الحقيقية التى فيها تقومون » (١ بط ٥ : ١٢) . وبالنعمة أيضاً نتقوى فى الطريق « فتقو أنت يا ابنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٢ : ١) ونعمته تكفينا للانتصار على ضعفاتنا وآلامنا « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » . ما أعظم هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ، لا نخرج من دائرتها أبداً ، ولا تتركنا أبداً حتى توصلنا إلى المجد .

فى الطريق الآن تحفظنا النعمة
حتى نراه بالعيان ونشكر الرحمة

والنتيجة الثالثة المختصة بالمستقبل هى أننا « نفتخر على رجاء مجد الله » نفتخر بما هو يقينى لا شك فيه . ولو أننا لم ندخل إليه فعلا ولكننا نثق أن الرب سيأتى إلينا حسب وعده ويأخذنا إليه لنكون معه ومثله فى المجد . فالله لم يعطنا بركات فقط بل أعطانا بالمسيح نفسه الذى فيه قد بوركنا ، والذى قال للآب « وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى » (يو ١٧ : ٢٢) . ومقامنا الآن فى المسيح لأن الله « أقامنا معاً وأجلسنا معاً فى السماويات فى المسيح » .

وعلى ذلك يقول الرسول فى الأصحاح الثامن من هذه الرسالة إن « الذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » . لقد رأى شاول الطرسوسى الرب فى مجده .

وكذلك استفانوس « رأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله » (أع٧:٥٥). « لقد دخل إلى هناك كسابق لأجلنا » ، والطريق مفتوح لنا للمجد وسندخل إلى هناك حتماً عندما يأتى الرب ليأخذنا إليه .

ما أمجد هذه البركات التى حصلنا عليها « إذ قد تبررنا بالإيمان » : السلام مع الله من جهة كل الماضى ، والإقامة فى النعمة فى الوقت الحاضر ، ورجاء مجد الله فى المستقبل . وكل هذه البركات لا تتوقف على شىء فينا لأننا لم نحصل على التبرير بأعمالنا بل بالإيمان بشخص المسيح وعمله ، وبالله الذى أقامه من الأموات ، ولذلك لحصولنا على هذه البركات كلها هو بالمسيح يسوع ربنا . وبناءً عليه فهى ليست بركات وقتية كوجود آدم فى الجنة أو امتلاك الشعب القديم لأرض كنعان ، ولكنها بركات ثابتة ومضمونة فى المسيح . وهل يمكن أن يفقد المسيح البركات التى كسبها لنا ؟ حاشا . هكذا لا يمكن أن نفقدها نحن . ومن ثم نستطيع أن نتطلع إلى المستقبل بثقة « ونفتخر على رجاء مجد الله » .

وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشىء صبراً (ع ٣)

ما أعظم وما أمجد ما حصلنا عليه من البركات والنعم على أساس تبريرنا بالإيمان : السلام مع الله والإقامة الدائمة فى النعمة ، والمجد . فماذا نحتاج بعد؟ أيوجد أكثر من هذا يمكن أن نحصل عليه ؟ الرسول يقول : نعم يوجد « وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً فى الضيقات » . توجد حقائق يجب أن يتعلمها المؤمن أثناء مسيره فى البرية إلى أن يصل إلى تحقيق الرجاء — رجاء مجد الله الذى يفتخر به من الآن .

والبرية هى مكان التجربة والامتحان حيث لا توجد موارد منظورة ، ولذلك يدعونا الله أن نعتمد عليه وحده ونثق فيه وحده . وفى البرية يحاول

العدو أن يرمينا بسهام التذمر والشك في رجاء مجد الله . فالمؤمن في البرية يصارع مع قوات الظلمة ، ولكن من حقه أن يفتخر في الضيقات . الجسد لا يستطيع هذا ، ولكن الإيمان مع أنه يشعر شعوراً عميقاً بالضيقات ، ولكنه ينتصر عليها . وسبق أن أنبأنا الرب قائلا « في العالم سيكون لكم ضيق » ولكن في الحال أعطانا العلاج قائلا « ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » وأيضاً « قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام » (يو ١٦ : ٣٣) . وبقدر أمانة المؤمن بقدر ما يكون له نصيب أوفر من الضيق . لأن الله يريد أن يزيل منه كل الشوائب التي تعيق حصوله على بركات أوفر وحياة ألمع . . ونلاحظ أن اطمئنان القلب من جهة حصوله على التبرير والسلام مع الله ، يساعده على الانتصار في الضيقات ، وإلا فالمؤمن يتعرض للشك في محبة الله ، وفي وجوده في دائرة النعمة ، إذ يصور له العدو أن كل شيء ضده . ولكن المؤمن الواثق من تبريره وخلاصه يستطيع أن يفتخر في الضيقات لأنه يثق أن فيها فوائد روحية .

« عالمين أن الضيق ينشيء صبراً » . وهذه هي أول فوائد الضيق . والرسول يوحنا يقرن ثلاثة أشياء معاً : الضيق ، والملكوت ، والصبر « شريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره » (رؤ ١ : ٩) والمسيح له المجد له « صبر » إذ مكتوب عنه أنه « احتمل الصليب مستهيناً بالخزي » وأنه « احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه » (عب١٢:٢و٣) ولذلك يطلب الرسول للمؤمنين قائلا « الرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح » (٢ تس ٣ : ٥) .

والصبر يتطلب كسر الإرادة الذاتية . قد أنتظر الحصول على شيء ولا أحصل عليه . قد أتضرع إلى الرب ثلاث مرات كبولس ولا يستجيب طلبتي . وقد أصرخ إليه صائماً ونائحاً ولكنه يجعلني أنتظر ثلاثة أسابيع كدانيال — كل ذلك لكي يعلمني الصبر ، ولكي يعرّفني تعجلي وتسرع قلبي

الذى يريد أن يحصل على كل شىء فى الحال . إذا كانت الإرادة الذاتية عاملة يتعجل الإنسان ويفعل كما فعل موسى إذ قتل المصرى ، ولكن الله يريد أن يعلمنا أن ننتظر إلى الوقت المعين منه . وما أثمن الصبر ' يقول عنه يعقوب « عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً . وأما الصبر فليكن له عمل تام لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شى » (يع ١ : ٣ و ٤) وأيضاً « ها نحن نطوّب الصابرين . قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) . فما أحوجنا إلى الصبر « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٦) .

والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (ع ٤ و ٥)

هذا هو سبيل المؤمنين المنير وهم هنا فى البرية لأن المسيح هو الغرض الموضوع أمام قلوبهم ، وإلا فإن الأمر يكون بالعكس فالضيق ينشىء تذمراً وقلقاً نابعين من الطبيعة الفاسدة .

« والصبر تزكية » أى إظهاراً للنجاح والثبات بعد الامتحان . ونستطيع أن نستخلص هذا المعنى من بعض فصول أخرى ترد فيها كلمة « تزكية » : « لأنى لهذا كتبت لكى أعرف تزكيتكم هل أنتم طائعون فى كل شىء » (٢ كو ٢ : ٩) . « لكى تكون تزكية إيمانكم وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٧) . « لأن من خدم المسيح فى هذه فهو مرضى عند الله ومزكى عند الناس » (رو ١٤ : ١٨) « لأنه لا بد أن يكون بينكم بدع أيضاً ليكون المزكون ظاهرين بينكم » (١ كو ١١ : ١٩) . « طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة » (يع ١ : ١٢) . فبقدر ما تكون لنا بنعمة الله القدرة على الصبر واحتمال ضغط التجربة بقدر ما يظهر

أن عمل الله فينا حقيقى ، ويزكى إيماننا . فالتزكية ليست بالعلم والمعرفة أو بالنظريات بل بالاختبار .

« والتزكية رجاء » وهكذا يتعلم المؤمن أن يتعدى ببصيرته الروحية دائرة الأمور الحاضرة إلى المجد المستقبل فيتمسك بالرجاء الموضوع أمامه وهكذا يؤول الضيق إلى تقوية الرجاء فى المؤمن إذ يزول كل مايعيق لمعان الرجاء فيه .

« والرجاء لا يخزى » إنه رجاء يقينى . وما أجمل أن يرى الناس حولنا برهان الرجاء الذى فينا « مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف » (١ بط ٣ : ١٥) . إن كل رجاء يتطلع إليه الناس فى الأرض يخزى ويقود إلى اليأس . أما المؤمن فليس له نصيب فى هذا العالم . وقد يبدو للعيان أحياناً أن نصيبه أقل فى أمور الحياة ، وضيقته أكثر من غيره ، ولكنه يثق أن نصيبه الحقيقى هو فيما لا يُرى ، ويتمسك به ولا يخزى . لأن فى المؤمن شيئاً لا يعرفه العالم ، وهو « محبة الله » التى انسكبت فى قلبه بالروح القدس المعطى له .

إن محبة الله التى انسكبت فى قلبى تعطينى المفتاح لكل الضيقات التى أجتاز فيها وتجعلنى أستطيع أن أفتخر فيها ، إذ أثق أن مصدرها هو محبة الله ، فأضع كل ثقتى فيه . وكيف أستطيع أن أفعل ذلك ؟ بالروح القدس المعطى لى والذى يسكن فىّ والذى به إنسكبت محبة الله فى قلبى — ليس محبتى أنا بل محبة الله . فالله الذى هو محبة هو فىّ .

يشار إلى الروح القدس فى الأصحاح الرابع كالختم لبر الإيمان ، لكنها إشارة ضمنية ولكن هنا فى الأصحاح الخامس يذكر صراحة أن الروح القدس أعطى للمؤمنين وهذا على أساس عمل الفداء الذى أكمله المسيح على الصليب . وبالروح القدس إنسكبت محبة الله فى قلوبنا . فإلهنا المبارك لا يكفيه أن نعرف بره ، ونعمته ، وقوته ، ولكنه يريدنا أن نعرف النبع الأصلى فى قلبه لكل هذه البركات ، وهذا لايتم إلا بالروح القدس الذى يسكب محبة الله

فى قلوبنا ، لأنه من ذا الذى يستطيع أن يسكب محبة الله فى قلوب المؤمنين إلا أقنوم إلهى — روح الله ؟ وهل يوجد أعظم من هذا : أن يُعرف الله فى قلب الإنسان بمحبته الكاملة ؟

فى الأصحاحات السابقة تكلم الرسول عن بر الله المقدم للمؤمن من نعمة الله على أساس عمل كامل أجراه الله لأجلنا فى المسيح خارجاً عنا وبعيداً عن أى تداخل من جانبنا . ولكن هنا فى الوقت المناسب يتكلم الرسول عن بركات صارت فينا — الروح القدس المعطى لنا ، ومحبة الله المنسكبة فى قلوبنا . وما أجمل الترتيب الإلهى : ما أجراه الله خارجاً عنا أولا ، ثم ما أجراه فينا ثانياً . ولو كان الأمر بالعكس لانشغل الإنسان بما هو فى داخله عوضاً عن أن يتمتع بالسلام الكامل على أساس عمل المسيح لأجله .

لأنه المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار (ع ٦)

المؤمن يتمتع بمحبة الله فى قلبه — فى داخله ، ولكن الله جعل برهان هذه المحبة خارجاً عنه . البرهان هو أن المسيح مات لأجلى وأنا ضعيف وفاجر وعاجز كل العجز عن أن أفعل شيئاً . يا للعجب ! لقد أعطى الله أثمن ما فى السماء لأردأ من فى الأرض . والروح القدس فى هذا العدد يوجهنا إلى موت المسيح كأعظم شاهد على محبة الله . فى الأصحاح الثالث رأينا كيف تمجد الله من جهة الخطية بموت المسيح كفارة لأجلنا . وفى الأصحاح الرابع رأينا موت المسيح كمن أسلم من أجل خطايانا وحمل آثامنا . ولكن فى هذا العدد والأعداد التالية نرى موت المسيح كبرهان على محبة الله لنا إذ ونحن عاجزون وفجار تحركت محبة الله نحونا بطريقة عجيبة فبذل ابنه الوحيد موضوع مسرة قلبه من الأزل ، ليموت لأجلنا . و« الوقت المعين » يرينا أن محبة الله انتظرت إلى أن ثبت تماماً أننا ضعفاء وعاجزون ولا فائدة فى أى مجهود ذاتى يمكن أن نعمله — حينئذ مات المسيح لأجل الفجار .

فانه بالجهد يموت أحد لأجل بار . ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت . ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (ع ٧ و ٨)

إن محبة الله فريدة فى نوعها ، ومتميزة تماماً عن محبة الإنسان . فالإنسان لا بد أن ترتكز محبته على شيء يجتذب قلبه للمحبة . ولكن محبة الله بالعكس . إنها تنبع من ذاته لأن « الله محبة » . وليس فقط أن الله لم يجد فينا ما يستدعى محبته بل أكثر من ذلك كان فينا كل ما يجعلنا نستحق البغضة ، إذ كنا « ضعفاء وفجار » ع ٦ « وخطاة » ع ٨ « وأعداء » ع ١٠ . ولكن يا للعجب ! ونحن فى هذه الحالة « بين الله محبته لنا » بأجلى بيان إذ « مات المسيح لأجلنا » ويعقد الرسول مقارنة بين محبة الله السامية العجيبة ومحبة الناس قائلا : إنه لا يوجد ما يدعو أن يموت أحد لأجل إنسان بار ، لأن البار هو الرجل الذى لا يظلم أحداً بل هو يتبع العدل والحق فى معاملاته مع الآخرين . ولكن يقول الرسول إنه « ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت » لأن الصالح رجل محسن يعمل الخير مع الناس بدون مقابل . ومع هذا فإن موت أحد لأجله أمر بعيد الاحتمال قد لا يجسر عليه أحد . ليتنا نقف لنتأمل طويلا فى محبة الله العجيبة الفريدة فى نوعها ، لنا نحن البشر الخطاة فنسجد متعبدين مأسورين بمحبة الله .

فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب (ع ٩)

تذكر عبارة « فبالأولى كثيراً » مرتين فى هذا العدد والعدد التالى ثم تذكر مرتين أيضاً فى الجزء الأخير من هذا الأصحاح . وهى عبارة تعمل على زيادة الإقناع . وكأن الرسول يتصور أمامه شخصاً معترضاً ، أو شخصاً خائفاً

يخشى بعد أن نال التبرير أن لا يصل إلى الخلاص النهائي ، أو أن يسقط فيهلك كما يظن البعض ، فيأتي بهذه العبارة لتدعيم حجته بأن المؤمن الذي تبرر بدم المسيح مضمون خلاصه من الغضب الآتي ، وأيضاً خلاصه كل الطريق بحياة المسيح لأجله كالشفيع عن يمين الله . وهكذا نجد في هذا العدد والعدد التالي وجهين للخلاص .

سبق أن أشار الرسول إلى الخلاص في مقدمة الرسالة (ص ١ : ١٦) . « لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن » . ولكن هنا ترد كلمة « الخلاص » لأول مرة في تعليم الرسالة حيث يتكلم الرسول عن الخلاص من الغضب ، ثم الخلاص بحياة المسيح ، وهذا سنتأمل فيه في العدد التالي . يوجد « غضب آت » سبق أن أشار إليه الرسول في الأصحاح الثاني قائلا « لكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (ص ٢ : ٥) ولكن المؤمنين سيخلصون بالمسيح من الغضب إذ ينتظرونه من السماء لينقذهم من « الغضب الآتي » (١ تس ١ : ١٠) . إن كان قد بررهم بدمه فبالأولى كثيراً ينقذهم من الغضب . ونجد في سفر الرؤيا أنه قبل أن يُفتح أي ختم أو يضرب بأي بوق أو يصب أي جام يكون المؤمنون جميعهم في السماء ممجدين جالسين على عروشهم .

رأينا في الأعداد السابقة أنه لا ضعف الإنسان ولا خطيته ولا عداوته ولا حتى فجوره وقفت عائقاً أمام محبة الله بل بالعكس هيأت الفرصة لإظهار هذه المحبة . فبكل يقين لا يوجد شيء يستطيع أن يضيع نتائج هذه المحبة من الذين تمتعوا بها ، لأنه إذا كان الله بين محبته لنا ونحن بعد خطاة فبالأولى كثيراً بعد أن تبررنا بدم المسيح لا يمكن أن محبته تفرط فينا .

لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته (ع ١٠)

لم نكن خطاة فقط بر كنا أيضاً « أعداء » قد ناصبنا الله العداء ، ولكنه قد صالحنا لنفسه بموت ابنه الحبيب ، ذلك الموت الثمين فى عينى الله ، والعظيم فى فعاليته ، فمن المستحيل أن محبة كهذه تترك من قد رفعتهم إلى مكان القرب من الله والعلاقة الوثيقة معه . إذا أمكن أن يهلك المؤمن فكأن دم المسيح وموته من أجله ، وقيامة المسيح لأجل تبريره — كأن كل هذه قد ضاعت سدى وأصبحت عقيمة وبلا ثمر ، وحاشا أن يكون هذا . إن غضب الله ينتظر غير المؤمنين ، بل يمكث عليهم إلى الأبد . أما الذين قد تبرروا بدم المسيح وصولحوا مع الله بواسطته فلا بد أن يخلصوا إلى التمام . ولا يمكن أن يكون غير ذلك لأنهم صاروا فى مركز المصالحة والقرب العجيب الذى وضعتهم فيه نعمة الله بحسب مقاصد محبته .

يوجد فرق بين التبرير والمصالحة . فالتبرير هو بالنسبة لحالة المذنوبية التى كنا عليها ، أما المصالحة فهى بالنسبة لحالة العداوة التى نتصف بها جميعاً بحسب الطبيعة . وكما أعد الله علاجاً لأمر خطايانا وذنوبنا هكذا تعهد بمصالحتنا معه . نعم لقد عرف مشكلتنا تماماً وعالجها من جميع وجوهها . على أن العلاج واحد ، وهو موت المسيح وسفك دمه . هذا هو أساس تبريرنا وأساس مصالحتنا أيضاً كما يقول الرسول فى كو ١ : ٢١ « وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت » أو كما يقول فى العدد السابق لهذا « عاملا الصلح بدم صليبه » .

« فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » إذا كان المسيح بموته على الصليب صار لنا مخلصاً . فالمسيح الحى عن يمين الله صار لنا صديقاً

ومعيناً . إن كان قد رضى أن يضع نفسه للموت لأجلنا ألا يهبنا الآن كل ما نحتاج إليه وهو حى فى السماء لأجلنا ؟ إن كان قد مات لأجلنا وخطايانا كانت باقية علينا كيف لا يعتنى بنا الآن بعد أن أبعد عنا خطايانا إلى الأبد ؟ إن كان المسيح بموته لأجلنا قد خلصنا هل يمكن أن المسيح الحى لأجلنا يهلكنا ؟ ألا يكفى هذا لينزع كل خوف من قلوبنا لأن « الخوف له عذاب » ؟

وعبارة « نخلص بحياته » تتضمن كل ثمار خدمته الكهنوتية كما يقول الرسول « وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٤ ، ٢٥) فهو يرثى لضعفاتنا . ويعيننا فى تجاربنا ، ويرفعنا فوق جميع صعوبات الطريق ، كما أنه يحررنا من كل العوامل والتأثيرات الجسدية لنكون بجملتنا لمسرة قلبه . وهناك ناحية أخرى لخلاصنا بحياته وهى الخلاص من كل قوة العدو ومن كل سهامه الشريرة الملتهبة . إنه خلاص كامل ، خلاص ظافر ، خلاص فى كل الطريق وعلى طول الخط . ما أعجب هذا ! لقد صالحنا بموته ، ويخلصنا بحياته . لقد مات لأجلنا ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولكنه يحيا فى السماء لأجلنا . حقاً أنه قدّس ذاته لأجلنا (يو ١٧ : ١٩) .

« وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة » (ع ١١)

هذه هى القمة ، فلا نفتخر ونفرح فقط بكل ما حصلنا عليه من النعم والبركات وكل ما أعطانا من ضمانات . لا نفتخر فقط على رجاء مجد الله ، وحتى فى الضيقات لما فيها من ثمرات وبركات ، بل نفتخر بالله نفسه . صحيح أننا فى بادىء الأمر نفرح بعطايا الله ولكننا لا نقف عند هذا الحد

بل نفرح بالمعطى نفسه — بكل ما هو عليه فى ذاته — بقداسته ومحبته ، وأماناته الكثيرة . نعم نستطيع أن نفتخر بمن أحببنا ، ونرفع الرأس عالياً قائلين : يا له من إله إلهنا ! نستطيع أن نشبع بمحضره ذاك الذى هو نبع كل هناء وامتلاء . ولكننا نفتخر بالله « بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة » ، الذى لولاه لما أمكن لنا أن نأتى إلى الله ولا أن نتمتع به . هل يمكن أن يقول الرسول بعد ذلك « وليس ذلك فقط » ؟ حاشا وكلا . لأنه لا يوجد قمة أعلى من هذه يمكن أن نصل إليها . فى الأصحاح الثامن يوضح الرسول عدة امتيازات وبركات ثمينة جداً ولكن لا يمكن أن يوجد أى فرح مهما سما يرتفع إلى امتياز « الافتخار بالله » ففى هذا أثمن فرح وأحلى راحة ، وذروة النشاط الروحى الذى يظهر فى سكب القلب بالسجود والتعبد لله . فكأننا نبدأ من الآن الترنيمة الجديدة التى لن تنتهى إلى الأبد . وافتخارنا بالله هنا هو « بربنا يسوع المسيح » كما أن ترنيمتنا هناك محورها « ربنا يسوع المسيح » وهذا ما يجعلها حلوة وملذة لقلب الله .

* * *

من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (ع ١٢)

ابتداء من هذا العدد إلى نهاية الأصحاح الثامن لا نجد قسماً مستقلا من الرسالة بل بالحرى ملحقاً للقسم السابق . فإلى الآن كان الحق الرئيسى العظيم الذى أمامنا هو غفران خطايا المؤمن ، ثم الامتيازات المباركة التى لمن قد تبرروا بالإيمان . ومع أن كل هذا ثمين للغاية إلا أنه ليس الكل . فالمؤمن الذى تبرر بالإيمان يشعر بالتعاسة إذا نظر إلى داخله إذ يكتشف أن هناك طبيعة فاسدة ساقطة . وإذا لم يدرك الحق الذى يحرره من هذه الصعوبة يكون عرضة للانحناء تحت روح العبودية . فكم من مؤمنين ، ويا للأسف ، لم يتعلموا بعد مدى العتق والتحرر الذى من حقهم فى المسيح ، ولذلك يذهبون نائحين

من يوم إلى يوم ومنحنين تحت ثقل مجهودات فاشلة لا طائل تحتها ، إذ يجاهدون لتحسين أنفسهم ومقاومة الفساد الذى فى داخلهم ، ولكن محاولاتهم تذهب أدراج الرياح إذ يفوتهم هذا الحق الثمين : أن إنساننا العتيق قد دين وقضى عليه فى الصليب ، وأن مقامنا الجديد أمام الله هو فى المسيح المقام من الأموات . هذا هو ما يوضحه الروح القدس فى هذا القسم من الرسالة . ويبدأ بأن يضع أمامنا المسيح الذى ارتبطنا به كرأس الخليقة الجديدة ، ونحن فى كمال القبول أمام الله فى شخصه قبولا ثابتاً لا يتغير . وكما سقطت الخليقة القديمة بسقوط آدم رأسها ، هكذا تثبت الخليقة الجديدة فى المسيح رأسها . وعبارة « فى المسيح » تفيد ارتباطنا به كممثلنا فى المجد كما كان ممثلنا فى موته على الصليب . وهكذا نرى أنه بموته متنا شرعاً عن كل ما كنا عليه فى ارتباطنا بالجنس الساقط — متنا للخطية وصرنا أحياء لله فى المسيح ، وإنساننا العتيق صلب معه ، وهذا ما نراه فى الأصحاح السادس . غير أنه للحصول على التحرير العملى نحتاج إلى حل لمشكلة أخرى وهى مشكلة الناموس . والحل هو فى موت المسيح أيضاً لأننا متنا معه للناموس لكى نرتبط بزوج آخر حتى يمكن أن نثمر لله ، وهذا ما نراه فى الأصحاح السابع .

ولكننا نحتاج إلى شىء آخر فضلا عن الحياة فى المسيح ، نحتاج إلى قوة جديدة تعمل فينا وهى قوة الروح القدس . فنحن لسنا فى الجسد بل فى الروح إذ سكن فينا روح الله . وناموس روح الحياة فى المسيح يسوع يعتقنا من ناموس الخطية والموت ، وحينئذ يتم فينا حكم الناموس ، بينما الإنسان الذى لم ينل العتق والتحرير يحاول بنفسه ويجاهد لتتميم الناموس فتكون النتيجة اليأس والفشل ، لأنه يجب أن ينتهى المؤمن من المشغولية بذاته ويتحول إلى المشغولية بالمسيح الذى يعطيه القوة والإمكانية لأن يثمر لله ، وهذا ما نراه فى الأصحاح الثامن .

ونبدأ الآن بالكلام عن المسيح كرأس خليقة جديدة بالمقابلة مع آدم

وميراثنا منه بسقوطه . ففى هذا الفصل نرى كم هى كثيرة وشاملة النتائج التى أتت بواسطة الإنسان الأول ، وكذلك النتائج التى تأتى بواسطة الإنسان الثانى . بالإنسان الأول دخل إلى العالم مبدأ العصيان وفعل الإرادة الذاتية . وربما يبدو أمام الذهن البشرى السقيم أنه أمر قليل الأهمية أن الإنسان يعصى الله فى أمر واحد صغير ، ولكن المهم هو أن هذا الفعل الواحد أدخل مبدأ مدمراً لكل العلاقات التى بين المخلوق والخالق . وقد تأثرت كل الخليقة بهذا المبدأ إذ انتقل مبدأ العصيان بالوراثة إلى كل المتسلسلين من آدم . وهذا المبدأ كما أنه عصيان ضد الله هكذا هو مميت للإنسان لأنه « بالخطية الموت » .

ولكن الرسول يحرص على أن يضيف على خطية الإنسان الواحد الذى هو نائبنا وممثلنا ، خطايا الجميع أيضاً . وهذا يستفاد من القول « إذ أخطأ الجميع » أى أن هناك ارتباطاً بين الموت وبين خطايا الجميع الفعلية التى هى ثمار الخطية الموروثة . صحيح أن الأطفال والمعتوهين يموتون وهم لم يصلوا إلى مستوى المسئولية وذلك بسبب خطية آدم التى ورثوها ، ولكن الروح القدس لا يترك عواقب الخطايا الفعلية أيضاً حيث أن مركز الخراب والفساد الذى انحدر إليه الجنس البشرى بالسقوط لا يمكن فصله عن الخطايا الفعلية التى تنتج عن الطبيعة الساقطة التى فى جميع الناس . فخطية آدم هى السبب ولكنها ليست السبب الوحيد بل يضاف إليها الثمار المرة الناتجة من طبيعة السقوط .

وإذا كان إنسان واحد بحسب تقدير كلمة الله أمكن له أن يجر العالم إلى الموت بسبب الخطية ، ألا يليق بالله ويتفق مع صفاته أن يأتى بواسطة إنسان واحد آخر بتبرير الحياة ، ويقدمه إلى جميع الناس ؟ . فالله قد نظر إلى دخول الخطية بواسطة الإنسان الأول وإلى كل عواقبها الرديئة ، وتحرك بالنعمة فى نفس المشهد الذى دخلت فيه الخطية فأدخل إنساناً واحداً غير الأول . فيه أتت مبادىء الطاعة والبر التى يمكن للمرتبطين به جميعاً أن يحصلوا عليها .

وهكذا انتصر الله على كل الشر الذى أتى بواسطة الإنسان الأول — نعم انتصر بواسطة إنسان واحد — يسوع المسيح الإنسان الثانى . وإذا ما رفع الإنسان عقيرته بالاعتراض على الله بسبب ربطه بآدم الساقط كممثله محتجاً بأنه لا ذنب له فى ذلك ، نقول له إن الله فى سامى حكمته ومعرفته يعلم أن أى إنسان لو وُجد فى مكان آدم لسقط مثله ولذلك وضع آدم كممثل للجنس البشرى ونائب عنه ، واعتبر سقوطه سقوطاً لجنسه كله . ويمكننا أن نستشف هذا المبدأ من كلام الرسول عن لاوى فى عب ٧ : ٩ ، ١٠ « حتى أقول كلمة إن لاوى أيضاً الآخذ الاعشار قد عُشر بابرهيم لأنه كان بعد فى صلب أبيه حين استقبله ملكى صادق » . ومع ذلك فالله فى محبته الكثيرة ونعمته الغنية قد قدّم للإنسان ممثلا آخر ، ويستطيع الإنسان بالإيمان به وقبوله نائباً عنه ، لا أن يسترد ما فقده بواسطة ارتباطه بآدم الأول فحسب ، بل أن يحصل على بركات أعظم وأسمى بما لا يقاس .

فإنه حتى الناموس كانت الخطية فى العالم . على أن الخطية لا تحسب إذ لم يكن ناموس . لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى (ع ١٣ ، ١٤)

فى هذين العددين يوضح الرسول أن وجود الخطية غير متعلق بالناموس لأنه قبل الناموس كانت الخطية موجودة فى العالم ، بل إن نفس الغرض من إعطاء الناموس هو إثبات وجود الخطية وحسابها على الإنسان . على أن الناموس لم يقدم علاجاً للخطاة بل كل ما استطاع أن يفعله هو أن يسجل عليهم خطاياهم لا أن يخلصهم منها . والناموس أعطى للخطية صفة الذنب والتعدى ، ولكنه لم يوجد الخطية لأن الخطية كانت موجودة قبله على مدى ٢٥٠٠ سنة من آدم إلى موسى ، ولكن ما أوجده الناموس هو التعدى أى أنه أظهره للعيان .

والخطية ليست هي تعدى الناموس كما يفهم البعض خطأ من ١ يو٣ : ٤ . لا شك أن التعدى خطية ، ولكن الخطية ليست هي التعدى بالتحديد بل هي أوسع نطاقاً وأكثر عمقاً . والآية المشار إليها « الخطية هي التعدى » (١يو٣:٤) معناها في الأصل فعل الإرادة الذاتية . فقبل الناموس لم يكن هناك تعد ولكن كانت هناك خطية . والدليل على وجودها هو أنه كان هناك الموت الذى هو أجرة الخطية « قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم » أى على الذين أخطأوا ولكن ليس من نوع خطية آدم التى هى تعد[1] لأن آدم كانت لديه وصية (أى ناموس) ، وموسى جاء بالناموس (يو ١ : ١٧) . وبين آدم وموسى لم تكن هناك وصية أو ناموس ومع ذلك أخطأ الناس وملأ شرهم الأرض ولذلك ملك عليهم الموت (باستثناء واحد بالنعمة وهو أخنوخ) مع أن خطاياهم لم تكن على شبه تعدى آدم بل كانت فساداً وظلماً وفعل إرادتهم الذاتية . وقد أضافوا إلى ذلك عبادة الأوثان بعد الطوفان . وعبارة « على شبه تعدى آدم » مأخوذة من سفر هوشع « ولكنهم كآدم تعدوا العهد » (هو ٦ : ٧) . فالخطية كانت هناك دائماً وكان هناك الموت كبرهان على وجودها ، ولكن الناموس لم يكن هناك دائماً ولذلك لم يكن هناك تعد . ولكن إذا كانت الخطية قد وجدت هناك قبل الناموس فإن تداخل الله بالنعمة لم يكن للذين تحت الناموس فقط بل لجميع الناس . ولذلك يجب أن نرجع إلى الرأسين : آدم والمسيح ، إذ كان آدم مثالا للآتى — المسيح الذى صار رأساً لجنس جديد[2] كما سنرى .

---

(١) سبق أن أشار الرسول إلى هذا الموضوع فى الأصحاح الثانى فى معرض إثبات الخطأ على جميع الناس بغير استثناء ، إذ يقول « لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك . وكل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يدان » (رو ٢:١٢) .

(٢) يشير الرسول إلى موضوع الرأسين أيضاً فى معرض الكلام عن قيامة الأموات فى ١ كو ١٥ إذ يقول « فإنه إذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضاً قيامة الأموات لأنه كما =

فنحن هنا لسنا أمام الناموس وأغراضه ودائرته بل أمام نبع الخطية الأول ، آدم ، ومجارى الخطية فى المتسلسلين منه . فحيث لم يكن ناموس لتحسب الخطية على أساسه ، كان هناك الموت شاهداً على أن الجميع خطاة .

ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة . لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين (ع ١٥)

إذ تكلم الرسول عن آدم كمثال للمسيح يتقدم فى الحال ليوضح الحقيقة ويحرص على بيان الفرق الهائل بين آدم المخلوق الساقط والمسيح الخالق العظيم الذى جاء فى الجسد ، وبين نتائج عمل آدم ودرجة شمولها ، ونتائج الهبة والنعمة التى بالمسيح واتساع مداها . فخطية آدم أتت بحكم الموت على كل نسله وهكذا ساد عليهم الخراب والدمار بسبب سقوطه ، إذ صار رأساً لجنسه بعد أن أخطأ ، أما قبل السقوط وهو فى حالة البراءة فلم ينجب نسلا .

ولكن كما شملت عواقب سقوط آدم كل نسله هكذا نعمة الله العجيبة فى المسيح الرأس الجديد تشمل جميع الذين هم له بالإيمان . والفرق بين الحالتين هو ازدياد البركة والخير بالإنسان الثانى . وهل كان يمكن أن يكون غير ذلك والله هو مصدر الهبة والعطية والنعمة ، والمسيح هو الأساس والمجرى الذى وصلت به إلينا ؟ إن سرور الله ولذته هما فى أن يبارك ، وقد وجد فى المسيح وطاعته الكاملة المجال الفسيح ليفيض قلبه بالبركة والنعمة للإنسان وما على الإنسان . إلا أن يتناول بالإيمان هذه النعمة والهبة المجانية . وكلمة « الكثيرين » الأخيرة تعنى المؤمنين بالمسيح .

فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع » (ع ٢١ و ٢٢) . « وهكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً ... الإنسان الأول من الأرض ترابى . الإنسان الثانى الرب من السماء . كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً » (ع ٤٥ و ٤٧ و ٤٨) .

وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية لأن الحكم من واحد للدينونة وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير (ع ١٦)

فى هذه المقارنة الثانية ليس الفرق فى درجة الاتساع فقط كما فى المقارنة الأولى بل فى النوع أيضاً . ففى المقارنة الأولى كان « الكثيرون » يحصدون نتائج عمل « الواحد » ولكن بفيض وازدياد « بالأولى كثيراً » ، ولكن فى المقارنة الثانية نجد عملا واحداً من جانب الرأس الذى أخطأ جاء بالحكم والدينونة ، بينما الهبة وعطية النعمة جاءت بالرأس الثانى للتبرير بالرغم من الخطايا الكثيرة لأن تلك الخطايا الكثيرة قد حمل النائب دينونتها على الصليب .

فأمامنا الآن آدمان ، متشابهان من حيث كونهما رأسين لجنسين ، ولكن ما أكبر الفرق بينهما ! فآدم رأس الخليقة القديمة قد سقط ، ونقل إلى نسله النتائج المميتة لسقوطه . أما آدم الأخير رأس الخليقة الجديدة فبه تأتى الهبة . من جهة الدينونة فالله يجريها بمقتضى مطالب عدله الإلهى ، وليس فيها مجال للإزدياد . وأما العطية فمن ذا يستطيع أن يضع حدوداً لله فيها ؟ إذا قصد الله أن يعطى شيئاً للخلائق الساقطة فلا يمكن أن يكون ذلك إلا من نعمته . ولكن إذا سر الله أن يعطى نعمة وفوق نعمة فمن يستطيع أن يمنعه ؟ إنه لم يقدّم لنا المسيح لكى يمحو آثار السقوط ويُرجع الإنسان إلى الحالة التى كان عليها قبلا . كلا . إذا كانت الخطية قد جاءت بنتائج وبيلة وبها مات الكثيرون ، فإن نعمة الله والعطية بالنعمة بالواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين . فإن كان بخطية الواحد قد فقد الإنسان حالة البراءة ، وفقد الفردوس الأرضى فإن الله جاء لنا فى المسيح — لا بالبراءة بل بالبر والقداسة ، ولا بالحياة الأرضية بل بالحياة الأبدية ، ولا بجنة عدن بل بفردوس الله . هذا هو كشف الحساب الإلهى ومعرض هباته . وهل كان يليق بالله أقل من ذلك ؟ إنه لا يكفيه أن يسوى الحساب بدون ربح جزيل

لحساب مجده، وكل هذا بواسطة الإنسان الثانى وبواسطة تعبه وعمله الكامل على الصليب .

لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح (ع ١٧)

إذا كانت عظيمة هكذا نتائج عمل المسيح الحاضرة للمؤمنين فكم تكون النتائج المستقبلة فى كمالها ! إذا كانت خطية الإنسان الأول قد جعلت الموت يملك فى الوقت الحاضر فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالإنسان الثانى يسوع المسيح . ليس فقط أن الحياة تملك بدلا من الموت بل المؤمنون الذين ينالون هذه النعمة هم أنفسهم سيملكون فى حياة أبدية لا نهاية لها .

وهكذا نرى على طول الخط أن المسيح قد جاء لكى يزيل آثار سقوط الإنسان الأول بنعمة سامية — ليس قياسها العدل فقط بل تفيض ببركات غامرة تزيد لمجد الله حيث دخلت الخطية وأهانته ، وترفع المؤمنين إلى مستو أسمى بما لا يقاس من مستوى الإنسان قبل السقوط . وهكذا سيظهر الله « فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » (أف ٢ : ٧) .

نرى فى ذبيحة الإثم تقدير الضرر الذى أحدثته الخطية وتعويضه ، ولكن التعويض بحسب فكر الله لا يكون كاملا إلا إذا زيد عليه « خُمُسه » وهكذا يكون مقدم الذبيحة قد أعطى أكثر مما هو مطلوب لو لم يرتكب الإثم . ويصبح الشخص الذى لحقه الضرر رابحاً أكثر مما لو لم يحدث الضرر . علماً بأن لذبيحة الإثم وجهين : وجه لناحية الله والآخر لناحية الإنسان . وكلاهما قد وفاهما المسيح بذبيحته . لقد أوقعت الخطية ضرراً

بليتاً بالإنسان كما أنها أهانت الله ، ولكن الله والإنسان قد صارا كلاهما رابحين بعمل المسيح أكثر كثيراً مما لحق بهما . وهكذا نرى أن عبارة « بالأولى كثيراً » في رسالة رومية توازى « زيادة الخمس » في سفر اللاويين .

ولكى نرى هذا الأمر بوضوح يجب أن تتضح أمام أعيننا المقابلة بين الرأسين : آدم والمسيح — ماذا كسب الله (إن جاز هذا التعبير) بعمل المسيح ؟ وماذا كان يمكن أن يكسب بآدم الأول لو بقى بدون سقوط ؟

هل كان آدم الإنسان الأول معداً للسماء ؟ كلا بل هو « من الأرض ترابى » وعندما نقرأ سفر التكوين لا نجد شيئاً مما منح لآدم يعطيه رجاء السماء — لا نجد أية فكرة هناك عن ارتفاعه فوق الحالة التى خلق عليها . ولم يعط له الله أعمالا ليكافأ إذا تممها ، وإنما أعطى له نهياً واحداً بخصوص ما هو ممنوع . فكل مسئوليته كانت أن يحتفظ بالحالة التى هو فيها ، حيث خلقه الله حسناً جداً ، لا أن يسعى إلى حالة جديدة أسمى . فلم يكن مطلوباً منه أن يصنع براً بل أن يحتفظ بالتمتع بالخيرات التى أعدها له الله بوفرة وذلك بطاعته لله الذى وضع له اختباراً واحداً بسيطاً لتلك الطاعة . فلو كان آدم قد أطاع كانت سعادته تحمل شهادة لصلاح الخالق وحكمته ليس إلا . ونقول مع أليفاز «هل ينفع الإنسان الله ؟ . هل من مسرة للقدير إذا تبررت أو من فائدة إذا قومت طرقك؟» (أى ٢٢ : ٢ ، ٣) فلو كان آدم قد أطاع هل كان يكافأ بمكان فى المجد ؟ وهل كان يحصل على الميراث الذى حصل عليه المفديون الآن كورثة مع المسيح ؟ حاشا[1] .

ولكنّ آدم قد سقط ، وخطيته أفسدت الخليقة القديمة . فلو كان الله قد أوقع عليه الدينونة وعامله بالعدل ما كانت ظهرت محبة الله .

ولو كان قد رحمه من الدينونة ما كانت ظهرت قداسة الله . ولكن المشكلة

(١) وهذا يتضح من قول المرنم عن الإنسان كمخلوق « السموات سموات للرب . أما الأرض فأعطاها لبنى آدم » (مز ١١٥ : ١٦) .

قد حلها الله فى المسيح بصبر وأناة . فهو بهاء مجد الله الذى فيه قد أعلنت حكمة الله وقوته — قد تمشى فى طريق العدل وأعلن محبة الله ورحمته . فمجد الله هو فى وجه يسوع المسيح . هناك نراه . وفى الصليب تلألأت كل صفات الله مجتمعة . هل كان آدم يستطيع أن يفعل هذا ؟ لقد انتقلنا فى المسيح إلى دائرة أخرى مخالفة بالتمام للدائرة الأولى . لم نُرَدَّ إلى الحالة الأولى قبل السقوط بل صرنا خليقة جديدة تابعين لرأس جديد .

ونلاحظ كلمة « سيملكون » أى أن هذا هو الهدف المبارك الذى ستوصلنا إليه النعمة وهذا بواسطة الإنسان الثانى — الرأس المبارك الذى منه يأتى فيض النعمة فيجعل الذين ينالون هذا الفيض يملكون فى الحياة . ففى العالم العتيد سيملك القديسون مع المسيح ، ولكن الآن يمكنهم أن يمارسوا هذه السيادة أدبياً بواسطته فلن تسودهم الخطية أو يخضعوا لعوامل الشر بل ينتصروا عليها . فنحن سنملك فعلا فى المستقبل ولكن يمكن لنا الآن من الوجهة الأدبية أن نملك « فى الحياة بالواحد يسوع المسيح » .

فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة . لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً (ع ١٨ ، ١٩)

فى ع ١٨ نجد التأثير الشامل لجميع الناس من خطية آدم ومن عمل المسيح . وفى ع ١٩ نجد النتيجة التى يجنيها المرتبطون بكل من الرأسين . « فالكثيرون » هم عبارة عن الأشخاص المرتبطين فعلا بهذين الرأسين فخطية آدم ومعصيته لم يقتصر تأثيرها على شخصه بل امتد إلى جميع الناس المرتبطين به فجعلهم خطاة . كما أن إطاعة المسيح للموت جعلت الكثيرين المرتبطين به

أبراراً . الموضوع هنا ليس خاصاً بالمسئولية حيث يعامل كل واحد بحسب أعماله فالدينونة تقع على غير المؤمنين ونتائج الكفارة يتمتع بها المؤمنون ، بل الموضوع هنا هو الحالة التي يصير عليها المرتبطون بكل من الرأسين . فمعصية الإنسان الواحد آدم جعلت المرتبطين به خطاة ، وإطاعة الإنسان الواحد المسيح تجعل المرتبطين به أبراراً أمام الله . فالمسألة هنا ليست عمل الأفراد بل حالتهم التي اكتسبوها بعمل نائبهم وممثلهم ورأس جنسهم أمام الله .

ففي ع ١٨ نجد أنه كما بخطية آدم صار جميع الناس مهددين بالدينونة ، هكذا بالبر الذي أكمله المسيح قد انفتح الباب أمام جميع الناس لتبرير الحياة . وفي ع ١٩ نجد النتيجة النهائية التي تلحق بالكثيرين المرتبطين بكلا الرأسين . وفي الواقع « الكثيرون » المرتبطون بآدم هم الجنس البشري بأكمله أي « جميع الناس » المشار إليهم في ع ١٨ ولكن « الكثيرون » المرتبطون بالمسيح هم المؤمنون الحقيقيون فقط الذين لهم الحياة الأبدية وقد تبرروا بالإيمان ، ولا يمكن أن يكون هؤلاء هم « جميع الناس » كما نتعلم ذلك من مواضع كثيرة في كلمة الله . ففي ع ١٨ « الهبة » مقدمة لجميع الناس لينالوا « تبرير الحياة » . ولكن في ع ١٩ نجد النتيجة الفعلية التي يحصل عليها الكثيرون الذين يرتبطون بالمسيح بالإيمان وهي أنهم « يجعلون أبراراً » . وعبارة « إطاعة الواحد » تأتي بنا إلى « المحرقة » — ذلك الجانب من ذبيحة المسيح الذي فيه أشبع قلب الله « قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » (أف ٥ : ٢) . وهكذا نجد تقدماً وتدرجاً في العبارات وليس مجرد تكرار لها . ففي ع ١٨ نجد « ببر واحد » ولكن في ع ١٩ نجد « بإطاعة الواحد » وهذا أسمى .

وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً . حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا (ع ٢٠ ، ٢١)

لقد دخل الناموس فى الفترة التى بين الرأسين — دخل عرضاً لغرض معين — دخل لكى تكثر الخطية . والكلمة الأصلية فى الحقيقة تفيد التعدى لا الخطية لأن الله لا يعمل على إكثار الخطية بأى حال من الأحوال . فالخطية كانت موجودة من قبل الناموس — من آدم إلى موسى وكانت كثيرة لدرجة جعلت الله يأتى بالطوفان ليمحو كل كائن على الأرض . ولكن الناموس دخل لكى يكثر التعدى أى لكى يُظهر شناعة الخطية ورداءتها (وهى موجودة من قبله) بإعطائها صفة الإهانة لله والاحتقار لسلطانه . قد يظن واحد أن هذا ازدياد للمشكلة وجعل حالة الإنسان أسوأ لأن الناموس لم يظهر شناعة الخطية فقط بل أعطاها قوة « وقوة الخطية هى الناموس » (١ كو ١٥ : ٥٦) . ولكن الواقع أن دخول الناموس كان لائقاً بالله كما أنه كان مفيداً للإنسان لأنه كان يجب أن يعرف حقيقة ذاته ولكن لا للفشل واليأس بل للإتجاه إلى نعمة الله التى أظهرها فى الوقت المناسب لسد حاجة الإنسان المقتنع بشقاوته وعدم نفعه « ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » أى ظهر لمعانها أكثر وظهرت عظمة قيمتها لا لتغطى خطايا قليلة بل خطايا كثيرة جداً وشنيعة جداً . فالنعمة تجاوزت فى انتصارها حدود الناموس الضيق وذهبت إلى جميع الناس الخطاة وليس إلى الذين تحت الناموس فقط .

فما أجمل مقاصد الله فى نعمه ! « حتى كما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » . لاق بالرسول أن يقول « لست أستحى بإنجيل المسيح » إن الإنجيل يستحق بالحرى أن نفتخر به لأنه يهدف إلى غاية مجيدة — إلى ملك النعمة بالبر للحياة الأبدية . يا للغبطة

والهناء والنور ! هل بالناموس نفخر ؟ إنه يدين ويقتل ويزيد التعديات ولكننا نفتخر بالنعمة . كما أن الله يسر بالنعمة — النعمة التى صارت بربنا يسوع المسيح . كما أننا نفتخر بصفة خاصة لأن النعمة تملك . لو كان الناموس يملك أو لو كان البر (العدل) يملك ماذا كانت تكون النتيجة إلا الدينونة المريعة . ولكن النعمة تملك — ليس بدون البر لأن عمل الفداء قد تم ، وعلى أساسه يبرر الله الفاجر ويكون فى ذلك باراً . والنتيجة التى بحسب الله هى الحياة الأبدية بالمسيح يسوع ربنا . لقد قام المسيح من الأموات ويعطينا حياة أفضل وكل هذا كامل ومضمون فى شخصه ، لأن فيه قد تمجد الله من كل الوجوه وفاضت البركات للمؤمنين كما لم يكن ممكناً أن تفيض بغيره . هذه هى طريق الله ، وهذه هى مقاصده ، وهذه هى نصرته بواسطة النعمة التى بربنا يسوع المسيح .

ونلاحظ أن الرسول بولس يتكلم عن الحياة الأبدية من وجهة التمتع الكامل بها فى النهاية فيحرضنا أن نمسك بالحياة الأبدية . ويعلمنا أننا سنحصد فى النهاية التمتع الكامل بالحياة الأبدية . فهنا لاحظنا أمرين : أن المؤمنين إذ جعلوا أبراراً سيملكون فى الحياة . وأن النعمة تملك بالبر للحياة الأبدية . وفى هذا نرى انتصار الله الكامل على كل خراب الإنسان ، فقد عالج الله مُلك الموت بجعل القديسين يملكون فى الحياة ، وعالج الحالة التى جعلت الجميع خطاة بجعل الكثيرين أبراراً فى المسيح ، وعالج مُلك الخطية بقوة الموت بملك النعمة بالبر للحياة الأبدية ، وكل ذلك بواسطة الإنسان الواحد يسوع المسيح ربنا . وهكذا بكلمات قليلة يأتى لنا الوحى بالحق كله ، بكلمات قليلة يوضح لنا نبع خلاصنا ، بطريقته ، وغايته النهائية .

الأصحاح السادس

فماذا نقول أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة (ع ١)

نأتى فى هذا الأصحاح إلى الحياة العملية المقدسة حياة الانتصار على الخطية ، والإثمار للبر . وما كان يمكن أن يأتى الكلام عن هذا الموضوع إلا بعد أن أرسى الرسول بالوحى قواعد التبرير والسلام مع الله والاتحاد بالمسيح المقام من الأموات رأس الجنس الجديد . وهذه الحياة المقدسة لا يمكن إلا أن تنتج من النعمة بقوة الروح القدس وفى جو الحرية التى نحن مدعوون إليها كمسيحيين .

من ثم يتكلم الرسول فى هذا الأصحاح وفى الأصحاح التالى عن التحرر : أولا من الخطية ثم من الناموس . وكان لا بد أن يأتى التحرر من الخطية أولا حتى لا يكون التحرر من الناموس مجالا للإباحية بل يكون بمعناه الصحيح حرية لخدمة الله فى جدة الحياة . وبعد التحرر من الخطية لا بد أن يأتى التحرر من الناموس حتى تكون حياة المؤمن فى البر والقداسة ليست بروح العبودية بل فى جو مشبع بالنعمة والحرية « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » .

ينتهز الذهن الجسدى عبارة « حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » الواردة فى الأصحاح السابق (ع ٢٠) ويبدى اعتراضه « أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ » ناسياً بقية الكلام ، هكذا « ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً . حتى كما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » (ع ٢١) . وما أكثر اعتراضات عدم الإيمان ، فنراه يفترى على المؤمنين بأنهم يقولون « لنفعل السيآت لكى تأتى الخيرات » (ص ٣ : ٨) ، ثم يقدم فى هذا الأصحاح اعتراضاً ثانياً قائلا

«أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة» (ع ١٥) والرسول فى الرد على الاعتراضين يبين أن المعترض يجهل الحقائق الأولية . ففى (ع ٣) يقول الرسول «أم تجهلون ؟» ، وفى ع ١٦ يقول «ألستم تعلمون ؟» .

واعتراضات الإنسان تنبع من أفكاره الخاصة وتنتهى دائماً بذاته . أما الحقائق الإلهية فإنها تأتى من الله ولا بد أن تعود لسرور قلبه . هكذا نرى فى تقدمة الدقيق ، فكل اللبان الذى كان يوضع عليها كان يحرق وكان يصعد رائحة سرور لله . وهكذا كان المسيح نفسه فى كل حياته على الأرض رائحة سرور مستمرة صاعدة لله . وفى النهاية قدم نفسه محرقة فيها كل الشبع لقلبه . وهكذا يقول الرسول فى أف ٥ : ١ «فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء» فالحياة المسيحية هى طبيعة الله فى المؤمن التى تأتى من عند الله ثم تعود إليه «رائحة طيبة» . إن لم يكن هذا هو المصدر وهذا هو الهدف فليس للحياة العملية أية قيمة . فإذا ما تداخلت الذات تكون كالذباب الميت الذى «يخمر وينتن طيب العطار» .

حاشا . نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها (ع ٢)

هذا هو الأساس الذى تبنى عليه الحياة المسيحية،أننا متنا مع المسيح عن الخطية . ولا يقال للإنسان مطلقاً إنه يجب أن يموت عن الخطية لأن هذا غير ممكن . أما مركز المؤمن والحياة الجديدة التى نالها فهو فى المسيح الذى مات وقام وبذلك أصبح مكان المؤمن أنه قد مات عن الخطية .

فإذا كنت أنا مؤمناً قد نلت التبرير ، فما ذلك إلا باتحادى بالمسيح فى موته الأمر الذى أقررت به فى المعمودية كما سنرى . فإذا كنت قد مت للخطية لكى أتبرر منها فلا يمكننى أن أعيش فيها لأنى صرت باراً ، لقد كان دم الكفارة قديماً يوضع على شحمة أذن الكاهن اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى دلالة على أننا لم نخلص بالدم فقط بل أننا

أصبحنا فى مركز لا مجال فيه لشىء مخالف لقداسة الله سواء أكان بالفكر أو بالقول أو بالعمل . ولكن ليس هذا هو الموضوع هنا بل أننا متنا عن الخطية بموت المسيح. فإن كنت قد مت عن الخطية فأنا لست بعد حياً لها، ولذلك لا يحرضنا الكتاب مطلقاً أن نموت لأننا قد متنا مع المسيح ولا يمكننا أن نعيش فيما قد متنا له . هذه استحالة مادية ولذلك يقول الرسول « كيف نعيش بعد فيها ؟ » بناءً على هذا المركز يأتى التحريض العملى على إماتة أعضائنا التى على الأرض بقوة الروح القدس ولكن هذا شىء آخر بخلاف أننا قد متنا عن الخطية هناك فى صليب المسيح حيث دينت الخطية وأبعدت . ولا يمكننا أن نميت أعضاءنا أى أميال الطبيعة الفاسدة التى فينا إلا إذا نلنا حياة جديدة وطبيعة جديدة وقوة الروح القدس فينا ، وعرفنا مركزنا أننا أموات عن الخطية . حينئذ أستطيع أن أتعامل مع الطبيعة الفاسدة لا باعتبارها «أنا» كما كنت سابقاً بل كشىء غريب عنى لأنى صرت إنساناً جديداً فى المسيح ، وقد انتهيت منها إلى الأبد ، ولى القوة بالروح القدس على الانتصار عليها لأنى قد مت مع المسيح وبموتى تحررت من الخطية .

أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة (ع ٣ ، ٤)

يجيب الرسول على الاعتراض السابق من نقطة البداءة فى الاعتراف المسيحى وهى ليس أن المسيح مات من أجل خطايانا فقط بل أننا نحن قد متنا للخطية بموته ، وهذا هو المعنى المفهوم من المعمودية . فهل نجهل هذا الحق المبدئى الواضح ؟ إنه ليس صفة خاصة أو بركة خاصة للبعض بل هو ملك عام لجميع المؤمنين — كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمد لموته ، ففى المعمودية نرى الوجهين لموت المسيح : أن المسيح مات لأجلنا ، وأننا نحن متنا للخطية

بموته . والنتيجة الحتمية أننا « دفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة . هذا حق عظيم الأهمية موضح هنا بكل بساطة وقوة .

كم من المسيحيين يتخذون موقفهم على أساس جزء واحد من هذا الحق وهو موت المسيح لأجل خطاياهم . هذا جانب جوهرى من الحق ، بدونه لا يكون هناك أساس لغفران خطايانا وعبور الدينونة عنا وتقريب نفوسنا إلى الله . ولكن هذا ليس الحق كله . والذين يقفون عند هذا الحد ولا يدركون موت المؤمن فى المسيح لا يفهمون مكانة المعمودية وقوتها ولا يدركون قوة السلوك المسيحى بل يكونون مستعدين لأن يكتفوا براحة غفران خطاياهم بدم المسيح ويمتزجون بالعالم ويجدون تمتعهم فى مسرات الحياة الحاضرة ، بل أكثر من ذلك يعتنقون المبدأ الخاطىء وهو إمكانية إصلاح الإنسان الطبيعى وتحسين المسيحية الإسمية وذلك لجهلهم مركز المسيحى كمن مات للخطية وللعالم .

وهناك آخرون يرفضون العيشة العالمية ويشتاقون إلى حياة القداسة ولكنهم بالأسف يبحثون عنها فى داخلهم وبناءً عليه تكون هناك مصارعات ومجاهدات كثيرة الغرض منها أن يموتوا عن الذات وأن يتمتعوا بالله . كما أن أقلية منهم خرجوا من هذا الصراع المرير مخدوعين براحة وهمية وظانين أنهم قد وصلوا إلى حالة من الكمال يمكن أن يستريحوا فيها . أما الأكثرية فلا يتعدى الأمر معهم مجرد أشواق للتقوى ورغبات داخلية فى الوصول إلى القداسة وهم لا يستقرون ولا يستريحون فى محبة الله لهم فى المسيح التى حسمت الأمر ، وهى كفيلة بأن تجعل المؤمن ينسى ذاته فى حضرة نعمة الله الكاملة التى جعلت المسيح « ذبيحة » خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه . ولكنهم يحولون عيونهم إلى داخلهم للبحث عن محبة تتناسب مع محبة الله وتملك على قلوبهم مجاهداتهم وتخيلاتهم بدلا من أن « تملك فيهم النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » .

وهكذا نرى أن التعليم الذى يُنَبّر عليه الرسول هنا والمستفاد من المعمودية مجهول عند كثير من المسيحيين وتحل محله أفكارهم وطقوسهم ومجهوداتهم . أما الحقيقة فهى أن التعليم الأساسى للمعمودية هو أن المؤمن مات للخطية . إن الذين يعلّمون بأنه يجب أن نموت عن الخطية يتكلمون بإخلاص ولكنه ليس حسب المكتوب ولذلك ينتج منه ضرر عميق للنفوس ولكن الحقيقة هى أن المؤمن بعد أن كان ميتاً بالخطية صار بموت المسيح ميتاً للخطية .

ولنلاحظ أن هذا ليس اختباراً خاصاً للبعض بل هو مركز تعطيه . النعمة لكل مؤمن الآن وهو فى هذا العالم من بدء حياته المسيحية ، ويقبله بالإيمان . وبناء عليه فالمسيحى لا يمكن أن يعيش فى الخطية لأنه حينئذ يتنكر للحق المبدئى المعلن فى كلمة الله — ذلك الحق الذى يتعلمه المؤمن من معنى المعمودية التى تفيد (كما يشير إليها الرسول هنا) الموت مع المسيح والدفن معه . والدرس العملى المستفاد من ذلك هو أن يحيا باستمرار كميت عن الخطية .

ألا يوجد إذن واجب عملى على المسيحى للإماتة ؟ بلى كما سبقت الإشارة إن من واجب المسيحى النابع من حقيقة كونه قد مات للخطية هو أن يميت أعضاءه التى على الأرض . ولنلاحظ أن هناك فرقاً . فليس واجب المسيحى أن يموت عن الخطية بل أن يميت أعضاءه التى على الأرض أى الشهوات المختلفة التى للطبيعة الفاسدة ، ولعل هذا الفرق واضح . ففى المعمودية يقر المؤمن بأنه لا رجاء فيه ، فى إنسانه العتيق ، بل مكانه الموت والدفن ، ويعترف أنه فى موت المسيح قد مات للخطية وأنه قد نال حياة جديدة فى المسيح المقام من الأموات . فلم يعد الأمر متعلقاً بعد بالخليقة القديمة أو بالإنسان الساقط فى آدم بل بالمسيح الذى هو حياة المؤمن وبناءً عليه يستطيع المؤمن أن يسلك فى جدة الحياة .

وعبارة « اعتمد ليسوع المسيح » تفيد التتلمذ له بالانفراز عن العالم كقول الرب للتلاميذ « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم » (مت ٢٨ : ١٩) ويقابل ذلك فى العهد القديم أن جميع الشعب « اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » (١ كو ١٠ : ٢) أى أنهم انفصلوا له ليكونوا « تلاميذ موسى » . ليعطنا الرب نعمة لتستقر هذه الحقائق الثمينة فى أذهاننا وفى قلوبنا فنعيش ، فى حرية النعمة ، حياة القداسة النابعة من مصدرها الصحيح والتى لا نجد فيها مشقة بل سعادة ولذة .

« حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » . عبارة « بمجد الآب » عبارة مفرحة لقلب المؤمن لأنها تضع أمامه كمال شخص المسيح كمن أقيم من الأموات بمجد الآب ، فلا يوجد شىء متعلق بمجد الآب إلا وأكمله المسيح بموته وختم على كماله بقيامته ، فالمسيح ذهب إلى الموت لدفع أجرة خطايانا وإبادة قوة العدو الذى له سلطان الموت وتمجيد الآب من جهة كل شىء وفى كل صفة من صفاته ولذلك تداخل الآب لإقامته من الأموات لمجده .

وفى « جدة الحياة » أعرف الآب وأرى بره الإلهى ومحبته الكاملة ومجده الفائق . عندما أرى المسيح الذى نزل إلى أقسام الأرض السفلى لأجل مجد الآب ، أرى الآب عاملا على إقامته من الأموات وإجلاسه عن يمينه فى السماويات وهكذا تمتلىء نفسى بقوة الروح القدس بالتعبد والتسبيح إذ أرى أن المسيح الذى كان ميتاً بسبب خطاياى هو الآن جالس فى السماء عن يمين الله ، وهو غرض وقوة الحياة الجديدة[1] التى حصلت عليها وبها أصبح كل شىء فى العالم ميتاً لى « وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم إيماننا » .

(١) « جدة الحياة » معناها نوع جديد من الحياة بالمباينة مع الحياة القديمة حياة الإنسان العتيق الذى صُلب وانتهى

لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته (ع ٥)

يستمر الرسول فى الكلام عما حصلنا عليه من البركات على مثال موت المسيح وقيامته ممتداً إلى قيامة الأجساد فى المستقبل . فنحن الآن لنا نصيب مع المسيح فى موته وسيكون لنا نصيب أيضاً فى قيامته بقيامة أجساد الراقدين من الأموات . نحن الآن كأحياء روحياً فيه كمن أقيم من الأموات نتمتع بفوائد موتنا معه كقوة تحررنا من الخطية إذ نعلم أن إنساننا العتيق قد صلب معه كما سنرى . وبدون هذا لا يكون الله قد تعامل مع أصل الفساد الذى فينا وبالتبعية لا يكون لنا السلاح الإلهى ضد الخطية الذى يضعه إله القيامة فى أيدينا .

ونلاحظ أن الرسول يقول إننا اتحدنا مع المسيح « بشبه موته » أى فى مثال المعمودية ولكنه يقول «نصير أيضاً بقيامته» وليس بشبه قيامته لأننا سنحصل على القيامة فعلا كما يقول بعد ذلك فى ع ٨ « فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه[1] » .

(١) لا شك أن القول « نصير أيضاً بقيامته » يمتد إلى قيامة أجسادنا فى المستقبل ، ولكنه مذكور هنا ليكون له تطبيق عملى فى الوقت الحاضر من الناحية الروحية بحسب اتجاه الفكر فى هذا الفصل . أما إذا جعلنا الأقوال قاصرة على قيامة الأجساد فى المستقبل فإننا نضعف قوة حجة الرسول التى يتخذها من هذه الإشارة للعيشة فى جدة الحياة . لأنه كما أن المسيح لم يُترك فى القبر ، هكذا نحن الذين اتحدنا معه فى موته لنا أيضاً قوة قيامته لتظهر فى حياتنا العملية . وهناك إشارات أخرى إلى قيامتنا مع المسيح فى هذه الرسالة وإن لم تكن بذات الوضوح المذكور فى رسالتى أفسس وكولوسى . فنجد القول فى هذا الأصحاح « قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات » (ع ١٣) وأيضاً ما معنى السلوك فى جدة الحياة التى رأيناها فى العدد السابق ؟ ألا يشير هذا إلى اتحادنا بالروح القدس بالمسيح المقام من الأموات ؟ وألا نرى هذا مشاراً إليه أيضاً فى « ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع » الذى به نعتق من ناموس الخطية والموت ؟ (ص ٨ : ٢) .

عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية (ع ٦ ، ٧)

« عالمين هذا » وذلك بالإيمان طبعاً وبالمصادقة على ما يراه الله وما أعلنه لنا هنا .

وإنساننا العتيق ليس هو طبيعتنا القديمة الفاسدة بل الإنسان كله كمن هو فى الجسد فى آدم الساقط — بكل عاداته ورغائبه وأمياله . هذا الإنسان قد صُلب مع المسيح وانتهى ولم يعد له وجود أمام الله . وأنا الآن إنسان جديد فى المسيح ولست ذلك الإنسان العتيق الذى مضى وانتهى[1] .

---

(١) تُذكر عبارة الإنسان العتيق ثلاث مرات فقط فى الكتاب : هنا وفى أف ٤ : ٢٢ ، كو ٣ : ٩ وفى هذه المواضع الثلاثة يُذكر أنه صلب وخُلع ، حتى فى أف ٤ نجد العبارة فى أدق الترجمات هكذا « كما هو حق فى يسوع أنكم خلعتم من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق ... وأنكم تجددتم بروح ذهنكم وأنكم لبستم الإنسان الجديد » فالمؤمن لا يمكن أن يكون إنساناً جديداً وإنساناً عتيقاً فى نفس الوقت . بل إذ انتهى من السيرة الأولى والحالة الأولى صار إنساناً جديداً فى المسيح . الإنسان العتيق هو المرتبط بالإنسان الأول الساقط وهو صورة مكررة طبق الأصل فى كل نسل آدم الساقط ولذلك يقال هنا « إنساننا العتيق » فهو إنسان واحد عتيق ولكنه لكل البشر ، صورة طبق الأصل للكل وهذا يطابق ما رأيناه فى ختام الأصحاح السابق إذ تتكرر كلمة « واحد » و « الكثيرين » فهما صورة طبق الأصل من الواحد رأسهم الأول وهكذا الذين فى المسيح رأسهم ومخلصهم كل واحد منهم إنسان جديد فى المسيح — خليقة جديدة ، وإنساننا العتيق قد صلب مع المسيح أى أن دينونة الله لم تقع على خطايانا فقط فى الصليب بل على أشخاصنا ، على أفكار قلوبنا وحكمتنا وإرادتنا وإنساننا العتيق بجملته شكراً لله وقد أبعدت من أمام الله حتى ننال التحرر من الخطية شرعياً وعملياً فى ذات الوقت .

ولنلاحظ أن صلب الإنسان العتيق وخلعه ونهايته فى الصليب شىء آخر بخلاف

أما « جسد الخطية » فهو جسدى المادى الساكنة فيه الخطية وتسود عليه وتستخدمه . ولذلك يقال فى ص ٨ « أرسل الله ابنه فى شبه جسد الخطية » أى فى جسد مادى كجسدنا ولكن لا تسكن فيه الخطية .

ويبين الرسول فى هذا العدد الوسيلة العملية الوحيدة للتحرر من الخطية ولإبطال « جسد الخطية » أى لإبطال سيادة الخطية على جسدى واستخدامها له حتى لا يكون فيما بعد آلة مطواعة للخطية الساكنة فىّ بل للبر مثلما يقول الرسول بعد ذلك فى ع ١٢ « إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت (أى المادى) لكى تطيعوها فى شهواته » .

« كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية » فنقطة الاحتياج هنا هى التحرر من الخطية لنفعل إرادة الله المقدسة . لقد كنا عبيداً للخطية ، تحت سيادتها تماماً لأن العبد يوجهه سيده كما يريد وهو لا يعلم فى المساء ما سيفعله فى الصباح . والطريقة الإلهية الوحيدة لنوال الحرية « كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية » هى أن إنساننا العتيق قد صلب مع المسيح ، وهذه الطريقة تليق بالله وتتفق مع حكمته وقداسته كما أننا ننالها بالإيمان بنعمة الله .

« لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية » . لنلاحظ أنه لا يتكلم هنا عن الخطايا بل عن الخطية أى عن نشاط الإرادة العاصية والشهوة . فهل يمكن أن يتهم إنسان قد مات بشىء من هذا ؟ إن حياته قد انتهت وبذلك انتهى نشاط الخطية فيه . وهذا هو المقصود بالقول « تبرأ من الخطية » أى لا يمكن اتهامه بعد بفعل الخطية لأن الخطية كانت مرتبطة بالإنسان العتيق ، والإنسان

= وجود أصل الخطية أو الطبيعة الفاسدة أو الجسد فينا لأن الجسد موجود فى المؤمن ويشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وبالروح نميت أعماله (غلا ٥ : ١٧ ، رو ٨ : ١٣) ولكن المؤمن ليس فى الجسد ولا يسلك بحسب الجسد ولا تسود عليه الخطية إذ أن الذى كان هكذا هو الإنسان العتيق الذى انتهى فى الصليب ، أما الإنسان الجديد فيتسلح بهذا العلم « عالمين هذا » لإنكار سيادة الخطية عليه .

العتيق قد صلب مع المسيح . هكذا يقول الله وهكذا يجب أن نؤمن أن الشجرة وثمرها كليهما قد دين فى نظر الله . لقد مات المسيح لأجل الشجرة كما لأجل الثمر . مات للخطية ، حتى نستطيع أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية . المسيح ربط نفسه بخطيتنا على الصليب وأبطلها إلى الأبد ، وبهذا يتمسك الإيمان . هل أشعر بتعاسة بسبب خطاياى الفعلية ؟ إن موت المسيح قد أزالها . وهل أشعر بتعاسة بسبب الخطية التى فى جسدى ؟ أنا لست فى الجسد وقد متّ عن الخطية ولى حياة جديدة فى المسيح المقام من الأموات .

فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه (ع ٨)

باتحادنا مع المسيح فى موته انتهى ارتباطنا بما كنا عليه بحسب الطبيعة . وبارتباطنا به بالإيمان كالمقام من الأموات وكرأسنا الحى فى السماء قد نلنا الحياة فيه بل صار هو حياتنا . ولنا اليقين الذى أعطاه لنا بقوله « إنى أنا حى فأنتم ستحيون » (يو ١٤ : ١٩) وصيغة المستقبل فى هذا القول كما فى العدد الذى أمامنا (رو ٦ : ٨) ترينا استمرار الحياة التى ابتدأت الآن وتمتد إلى الأبد ، استمرارها إلى حالتنا عندما تقام أجساد الراقدين فعلا كما رأينا فى ع ٥ .

عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً . لا يسود عليه الموت بعد . لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التى يحياها فيحياها لله (ع ٩ ، ١٠)

كل مؤمن يعلم باليقين أن المسيح بقيامته قد أبطل قوة الموت وأنه لا يموت أيضاً كما يقول « كنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين » (رؤ ١ : ١٨) «ولا يسود عليه الموت بعد» . لم تسد عليه الخطية قط — حاشا أن يكون ذلك — ولكن الموت ساد عليه وذلك لأنه أخذ مركزنا وحمل

خطايانا لكى يمجد الله ، ويدين الخطية ، ويمحو خطايانا ويبيد قوة الشيطان ويعتق المؤمنين به . كان موته اختيارياً لأنه لم تكن فيه خطية . ولكنه جاء لأجل الخطية ، ليأخذ مركزنا كخطاة ، ومات للخطية فكان موته بالنعمة الموجهة إلينا . وقد مات مرة واحدة لأجلنا لينهى ويبطل مشكلة الخطية إلى الأبد . كان الرب قبل الصليب يعالج نتائج الخطية فى المكسورى القلوب والمرضى والمتسلط عليهم إبليس وهو القدوس الخالى من الخطية. وعلى الصليب كانت الخطية هى كل المشكلة إذ كان عليه أن يبطلها لمجد الله ولخلاصنا . وقد فعل ذلك مرة واحدة وإلى الأبد له كل المجد ، والحياة التى يحياها الآن يحياها لله .

فى حياته هنا على الأرض قد خدم الله خدمة كاملة — كان يحيا بالآب ، وكان واضعاً الآب أمامه فى كل خطوة . إلا أن خطية البشر المحيطين به من كل جهة كانت تحز فى نفسه ، وكان يتألم لما فعلته الخطية فى الإنسان ، لذلك كان رجل أوجاع ومختبر الحزن . وأخيراً بعد أن تبرهن تماماً أنه القدوس الذى بلا خطية ولا عيب جُعل ذبيحة خطية لأجلنا . وإذ أكمل العمل انتهى من موضوع الخطية إلى الأبد . لقد مات لها هنا واجتاز بالموت بعيداً عن المشهد الذى كان فيه يتعامل مع الخطية . وبالقيامة صار فى دائرة جديدة كإنسان حيث الحياة التى يحياها يحياها لله فقط . لا يوجد شىء فى دائرة وجوده هناك إلا وهو مملوء بالله ويخدم مجده . صحيح أن حياته هنا على الأرض كانت كلها لله وكانت فى منتهى الكمال غير أن المشهد المحيط به كان مشهد الخطية ، ولكن هناك لا شىء يملأ الدائرة إلا الله وحده . فموته كان عملا فريداً فيه مات للخطية ، أما حياته الآن فيحياها لله . وعندما يظهر ثانية سيظهر بلا خطية (أى بلا تعامل مع مشكلة الخطية مرة أخرى) للخلاص للذين ينتظرونه .

كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (ع ١١)

هذا حساب مضبوط مؤسس على اتحادنا مع المسيح في موته الذى ماته للخطية مرة واحدة وارتباطنا به فى الحياة التى يحياها لله .

ولنلاحظ أن هذا الحساب موضوع إيمان لا موضوع إحساس أو اختبار فنحن لا نحس بموت المسيح على الصليب وأنه هناك مات للخطية مرة واحدة ونحن متنا معه ، ولكننا نؤمن بهذا . ولذلك من لا يفهمون هذا الأمر على حقيقته إما أن يخدعوا بوصولهم إلى الكمال كالمسيح نفسه أو يغرقوا فى بالوعة اليأس إذ يجدون ما فى داخلهم يناقض ذلك . والرسول بهذه العبارة لا يخاطب البعض ممن سما اختبارهم بل يضع هذه الحقيقة أمام جميع المؤمنين لتكون موضوع إيمان « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » ولو كان هذا اختباراً لما قيل لنا « احسبوا » لأن الحساب شيء بخلاف الاختبار . وهذا الحساب هو نتيجة عمل المسيح لأجلنا وليس عمله فينا . وموضوعه هو أنه بما أن المسيح مات عن الخطية مرة واحدة والحياة التى يحياها الآن يحياها لله ، هكذا نحن بما أننا اتحدنا معه فى موته وارتبطنا به فى قيامته فنحن أموات عن الخطية وأحياء لله بالمسيح يسوع ربنا .

وهذا يرجع بأفكارنا إلى قول المسيح له المجد مشيراً إلى الوقت الحاضر وقت غيابه عنا بالجسد « فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فىّ وأنا فيكم » (يو ١٤ : ٢٠) وقد أكد الرب ذلك إذ قال قبل هذا « إنى أنا حى فأنتم ستحيون » (ع ١٩) ثم أيّد هذا الفكر فى مثل الكرمة والأغصان الذى قاله بعد ذلك مباشرة وفيه تتكرر العبارة « أنتم فىّ وأنا فيكم » . وفى رسالة

يوحنا الأولى نجد نفس هذه الحقيقة بعبارة صريحة « وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه» (١يو٥:١١) وهذه الحقيقة لا تنفى وجود « الخطية » فى لأنها إذا لم تكن موجودة ما كان هناك داع لأن يقال لنا « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية » ولكن مع وجودها فى جسدنا . فنحن أموات عنها ومطالبون أن نميت أعمال الجسد بقوة الروح القدس وبقوة حياتنا فى المسيح .

إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته (ع ١٢)

الجسد المائت هو الجسد المادى الذى فى طريقه إلى الموت أو الذى تعمل فيه عوامل الانحلال . وقوله « لا تملكن » يثبت وجودها فى الجسد وأنها لم تنزع منه ولكن نُزع سلطانها وسيادتها ومُلكها . فالحقيقة الواضحة إذن ليس أن الخطية ماتت بل نحن لنا الحق على أساس اتحادنا بموت المسيح وقيامته أن نحسب أنفسنا (حساب الإيمان) أمواتاً عن الخطية وأحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . والخطية مع أنها تحاول البروز ولكنها لن تملك فى جسدنا ولن تسود علينا ولن تحرك أعضاءنا لطاعتها ، لأنه بما أننا أموات للخطية فلسنا مدينين لها بالطاعة والولاء بأى حال من الأحوال بل قد تحررنا من سلطانها .

ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله (ع ١٣)

كلمة « لا تقدموا » هنا تفيد العادة المستمرة فليست المسألة تحسيناً تدريجياً للطبيعة أو للإرادة الذاتية كما يظن البعض بل تسليم كلى كامل لله كأحياء من الأموات . ولنلاحظ الفرق أيضاً بين كلمة الخطية فى العدد السابق « لا تملكن الخطية » وعبارة « آلات إثم للخطية » هنا ، ففى العدد السابق مبدأ الخطية الذى يحاول أن يملك أما هنا ففعل الخطية — أىّ فعل تستخدم فيه

الأعضاء للإثم والشر . ولنلاحظ أن التشبيه فى العدد السابق هو تشبيه ملك يجلس على عرش الجسد ولكنه قد خلع من الملك ونُـزع عنه سلطانه . أما فى هذا العدد فالتشبيه ينصرف إلى سيد على مصنع به آلات يديرها لحسابه بحسب إرادته . هذه الآلات هى أعضاء جسدنا المادى التى كانت الخطية تستخدمها قبلا لإنتاج الإثم عندما كانت هى السيد المتسلط على المصنع . أما الآن فبعد أن نُزعت سيادتها أصبحت الأعضاء تحركها إرادة سيد آخر هو الله لإنتاج شيء آخر هو البر كما سنرى .

ولنلاحظ أن الله يقدم لنا أولا أساس العيشة له ، والمركز الذى نحن فيه الآن فى المسيح كأموات للخطية وأحياء لله ، والحياة التى لنا الآن التى هى المسيح الذى مات للخطية مرة واحدة ويحيا لله ، ثم بعد ذلك يأتى التحريض الذى ما كان ليجدى شيئاً لولا أن الله أعطانا المركز وأعطانا الحياة فى المسيح ولذلك نجد الترتيب كالآتى :

(١) « عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه » (ع ٦) .

(٢) بناءً على هذا العلم « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (ع ١١) .

(٣) بناءً على هذا العلم وهذا الحساب « لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله . . وأعضاءكم آلات بر لله » .

وما أجمل أن يقال هنا أولا « قدموا ذواتكم لله » قبل أن يقال « قدموا أعضاءكم آلات بر » فالله هو الغرض أولا . إذا فعلت براً ولم يكن غرضى هو الله فقد قيمته لأن القلب لن يكون مستقيماً فى براعته إلا إذا كان الله هو الغرض ، فيجب أن أقدم ذاتى لله أولا كما يقول الرسول بعد ذلك فى (ص ١٢ : ١) « أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله » هل فعل المسيح شيئاً لما كان هنا على الأرض لأجل نفسه ؟ كلا . لقد فعل كل شيء لله حتى لم يكن لديه وقت ليأكل . فكانت مشيئة الله الباعث

والمحرك له فى كل ما فعل . وكانت حياته كلها لأجل الآخرين — لله أولا ، ثم للآخرين كما هو مكتوب أنه « بذل نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » .

إذن إن كنت قد تحررت من الخطية فقد تحررت من ذاتى أيضاً وانتهيت منها وهذا هو أثمن شىء فى الوجود ـ التحرر من الذات .

ويجب أن نفكر ملياً فى دقائق تفصيلات القول « وأعضاءكم آلات بر لله » — العين والأذن واللسان واليد والرجل وجميع الأعضاء تشتغل معاً لتخدم مصلحة الله فى كل شىء . ولله الحق فى ذلك كما يقول الرسول فى ١ كو ٦ : ٢٠ « لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » ، وسبق أن أشرنا إلى ما كان يتبع عند تقديس الكهنة بنى هرون إذ كان يوضع الدم (علامة التطهير والشراء) ثم الزيت (إشارة إلى الروح القدس) على شحمة آذانهم اليمنى وإبهام أيديهم اليمنى وإبهام أرجلهم اليمنى .

فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة (ع ١٤)

يقرر الرسول هنا حقيقتين : الحقيقة الأولى : أننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة ، والحقيقة الثانية هى أنه بناءً على ذلك فإن الخطية لن تسودنا .

والمؤمن ليس تحت الناموس بأى حال من الأحوال — لا للتبرير ولا كقاعدة للسلوك ، فمن جهة التبرير قد أوضح الرسول فى الأصحاحات الأولى من الرسالة أنه « بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه » ص ٣ : ٢٠ وأيضاً « إذن نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال

الناموس » . ثم أن المؤمن أيضاً قد « تحرر من الناموس » (ص ٧ : ٦) إذ مات « للناموس بجسد المسيح » (ص ٧ : ٤) فكما تحرر من الخطية إذ مات عنها فى موت المسيح ، هكذا بنفس الطريقة تحرر من الناموس وخرج من دائرة سيادته . وقانون سلوك المسيحى هو المسيح نفسه « كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً » (أى المؤمن) (١ يو ٢ : ٦) وهذا أسمى من الناموس بما لا يقاس .

مكتوب عن الناموس أنه « قوة الخطية » (١ كو ١٥ : ٥٦) لأنه بأوامره ونواهيه يحرك الخطية فى الجسد ولا يعطى قوة بالمرة لحياة القداسة . كما أنه لا يعطى حياة بل هو خدمة موت وخدمة دينونة . أما النعمة فهى التى تحيي وتخلص وتقوّى . فإذا وضع المؤمن نفسه تحت الناموس فإنه يكون تحت سيادة الخطية وتحت لعنتها . أما النعمة فهى أساس اقترابى إلى الله لأنه بدونها لامكان لى أمامه . والنعمة هى التى تعطينى القوة للانتصار على الخطية . إذا كنت مقيما فى النعمة فأنا فى دائرة الرضى الإلهى استنشق جو الحرية . ولذلك يأتى رو ٥ قبل رو ٦ — التبرير قبل الحرية المقدسة للحياة . لكن إذا عكسنا الوضع فإننا نصل إلى رو ٧ حيث الصراع تحت الناموس .

إن جوهر مهمة الناموس لا أن يوضح لنا الواجبات فقط بل أن يدين كل تعد على مطاليبه . ولذلك يقول لنا الرسول إن « جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة » (غلا ٣ : ١٠) وليس جميع الذين يكسرون الناموس بل الذين يضعون أنفسهم تحت مبدئه ـ مبدأ الأعمال هم تحت لعنة .

والناموس لم يمت أو يفقد قوته كما يظن البعض بل هو باق بكل قوته ضد الأشرار والأثمة . ولكن المؤمن (حتى اليهودى الذى كان قبلا تحت الناموس) هو الآن تحت النعمة لا تحت الناموس وهذا ليس بموت الناموس (لأن هذا لا يمكن أن يكون) بل بموت المؤمن مع المسيح . فكما أن الإنسان

الذى مات لايمكن أن يخطىء بعد كما سبق أن رأينا هكذا لا يمكن أن تكون له صلة بالناموس بعد أن مات . إذن الناموس يبقى بكامل سلطانه وقوته ولكن المؤمن يتحرر منه بتغيير الوضع الذى تضعه فيه النعمة حيث أنه مات مع المسيح وبذلك تبرأ من الخطية وتحرر من الناموس .

قد يظن البعض أنه إذا تحرر إنسان من الناموس يصبح مهملا فى حياته وهذا خطأ لأنه فى جو الحرية يستطيع أن يثمر للبر . ولكن ما أردأ الإنسان إنه يقلب الأوضاع . فالناموس الذى أعطاه الله له لإقناعه بشره وفساده ، يتخذه وسيلة للتبرير . والنعمة التى أعطاها الله له لتحرره من الخطية وتعطيه القوة للانتصار عليها يجعل منها فرصة للجسد ويحولها إلى الدعارة . ولكن هذا لا يغير شيئاً من حقائق الأمور .

فماذا إذاً . أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة . حاشا (ع ١٥) .

كان السؤال الأول فى مستهل هذا الأصحاح : أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ وقد أجاب عليه الرسول بإثبات أن النعمة ليست فقط تعين المؤمن ضد الخطية بل تحرره منها بذلك السلاح القاطع وهو « الموت » « نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ... دفنا معه بالمعمودية للموت ... أحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية » أما هذا السؤال الثانى فهو أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة ؟ صحيح أن موت المسيح هو مبدأ تحررنا من سلطة الخطية ولكن ألا نحتاج إلى قوة دافعة منعشة مقوية لنا للسلوك فى طريق الرب ؟ لاشك أننا نحتاج ، وهذه القوة وهذا النبع لايمكن أن يكون سوى « النعمة » . لا شىء سوى النعمة يستطيع أن يحفظ المؤمن من تقديم أعضائه كآلات للإثم ، ويعطيه القوة لتقديم ذاته لله وأعضائه آلات بر لله ،

وكما كان اليهودى تحت الناموس الذى هو « قوة الخطية » كذلك المسيحى هو تحت النعمة التى هى « قوة القداسة » . ومن ثم فالخطية التى تملك فى العالم لا تملك فى المؤمن ولا تسود عليه . لقد حررتنا النعمة من عبودية الناموس فكيف أستخدم هذه الحرية ؟

ما أحط الفكر أن استخدم حريتى ضد من حررنى ! هل يمكن بعد أن تحررت من الخطية أن أصير لها عبداً مرة أخرى ؟

ألستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد الذى تطيعون إما للخطية للموت أو للطاعة للبر (ع ١٦)

المسيح يحرر النفس التى كانت مستعبدة للخطية ويدعوها لأن تثبت فى الحرية ولا ترتبك أيضاً بنير عبودية ، لأنه لا يوجد موقف متوسط بين الحرية والعبودية . والنعمة تستخدم الحرية لتجعل النفس أسيرة لخدمة الرب يسوع بفرح وهى متحررة من عبودية الخطية . النعمة تجعل للنفس شركة مع الرب يسوع فتتمثل به فى حياته هنا على الأرض حياة العبد الكامل المطيع للآب فى كل شىء بدافع المحبة والسرور . فمع أننا تحررنا من عبوديتنا القديمة فقد أصبحنا عبيداً لله لتتميم مشيئته « للطاعة للبر » . فالمؤمن ينتج البر فى طريق الطاعة لإرادة الله فما أكبر التغيير بين حالته الأولى فى طاعة الخطية كعبد وحالته الجديدة فى طاعة البر وهو فى تمام الحرية .

فشكراً لله إنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها (ع ١٧)

الإنسان كمخلوق ليس له اكتفاء ذاتى ولذلك لابد أن يكون معتمداً على الله . أما إذا أراد أن يكون سيد نفسه وحاول أن يستقل عن الله فإنه

فى الحال يسقط فى قبضة الشيطان . وعوضاً عن طاعة الله يصبح عبداً طائعاً للخطية .

والفداء هو الذى يحرر المؤمن من عبودية الخطية والشيطان ولكنه فى الوقت نفسه يربطه قلبياً بصورة التعليم الصحيح لتتميم متطلباته وهو تحت النعمة وفى دائرتها . لو أمكن للإنسان أن يطيع طاعة ناموسية فإن هذا ينبع من ذاته ، أما الطاعة الحقيقية فتنتجها النعمة بالارتباط مع الحق الذى فى المسيح — ذلك الحق الذى يصوغ المؤمن فى قالبه صياغة صحيحة . هذه هى طبيعة الحرية المسيحية وارتباطها الحيوى بالفداء الذى بيسوع المسيح والحياة التى فى شخصه كما سنرى .

وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر (ع ١٨)

لا يمكن للإنسان أن يخدم سيدين فى ذات الوقت ، فإذ قد أعتقنا من الخطية صرنا الآن مرتبطين بالبر ارتباطاً لا تنفصم عُراه . والنعمة هى القوة الوحيدة لإنتاج البر . لم يستطع الناموس أن ينتج براً فى الإنسان لأن الذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن ينتجوا ثمراً لله . أما النعمة التى صار المؤمن تحتها الآن فتنتج البر فى حياته العملية . فتمتع المؤمن بغفران خطاياه وبأن الله لا يحسب له خطية يشجعه ويقويه على تسليم نفسه لله بعد أن كان الناموس يحرك الخطية فيه ويدينه عليها . فالمؤمن تحت النعمة حر ولكنه عبد تطوعى — حر من الخطية ولكنه عبد للبر . هذه هى نتيجة الطاعة القلبية لإنجيل المسيح .

إذن فالنعمة هى قوة القداسة التى تجعل الذين تحتها عبيداً للبر أكثر جداً مما كان يطلب الناموس ولم يستطع الوصول إليه مع كل وعوده ووعيده وتهديداته .

أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم . لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة (ع ١٩)

سبق أن أوضح الرسول أنه لا يوجد أمر « متوسط » بين الحالتين وأنه من الضروري أن يقدم المؤمن نفسه لله بالتمام ، ووصف هذه العلاقة الجديدة بأنها عبودية للبر . وهذا الأمر يحتاج إلى توضيح لأن الحقيقة هي أنها الحرية الصحيحة ولذلك يبادر الرسول بتوضيح الأمر وكأنه يعتذر عن استعمال هذه اللغة فيقول « أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم » . كانت حالتهم السابقة حالة العبودية للنجاسة والإثم ، وفى تلك الحالة كانوا يقدمون أعضاءهم للإثم والفساد بازدياد مطرد . أما الآن فقد أصبحوا منفصلين لله وعبيداً تطوعيين للبر ولذلك فإنهم يقدمون أعضاءهم للقداسة . ويحرضهم الرسول أن ينموا فى ذلك . فالبر العملى ينبع من العلاقة الجديدة التى لنا الآن مع الله التى طابعها القداسة لأن الحياة الجديدة تجد لذتها فى فعل الخير وفى بغض الشر . فالمفهوم الواضح لهذه الآية هو أن لكل حالة طابعها ومميزها ، فحالة العبودية للنجاسة والإثم تتطلب تقديم الأعضاء تلقائياً للإثم . وحالة العبودية للبر تتطلب تلقائياً تقديم الأعضاء للقداسة .

لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحراراً من البر . فأى ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التى تستحون بها الآن . لأن نهاية تلك الأمور هى الموت (ع ٢٠ ، ٢١)

الموضوع هنا يتعلق بتقدير المؤمن لنعمة الله التى حررته من عبودية الخطية ، وفى أى اتجاه يستخدم هذه الحرية ولحساب من يستخدمها ؟ ماذا كان ثمر الحياة القديمة فى العبودية للخطية عندما كان الإنسان حراً من البر ـ

أى لا علاقة له بالبر ولا التزام عليه من جهته ؟ كانت النتائج مشينة ومخزية للغاية ونهايتها الموت .

عندما يسطع نور الله على الماضى تجد النفس علاجها فى النعمة . بدون النعمة ماذا كانت تفعل النفس التى تتنبه لرداءة حالتها فى الخطية ، وتشتاق إلى حياة البر ؟ كانت حينئذ تصارع مع حالتها القديمة حاصرة كل مشغوليتها فى ذاتها واختباراتها . وهذه بالأسف هى حالة الكثيرين من أولاد الله الحقيقيين الذين لا يتمتعون بكمال البركات التى لهم فى عمل المسيح . إنهم لم يحصلوا على الفداء لكى يوضعوا تحت الناموس بل تحت النعمة . لقد خلصوا بالنعمة ، ويقيمون فى النعمة ، والنعمة هى أقوى باعث لهم على حياة القداسة .

وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية (ع ٢٢)

لقد امتحن الله الإنسان فى الجسد بواسطة الناموس ولكنه فشل إذ كان الإنسان ضعيفاً جداً عن أن يتممه فختم على مذنوبيته ودينونته . ولكن المؤمن الآن إذ حصل على الفداء وعلى الحياة فى المسيح المقام من الأموات تحرر من الخطية وصار عبداً لله . ويستتبع ذلك — لا امتحان الإنسان ببضعة وصايا ليتممها بل تقديم المؤمن نفسه للطاعة لله فى كل ما يقوله له . فكل كلمة فى الكتاب لها سلطانها على نفس المؤمن متعلماً من الروح القدس . وفى هذا آفاق واسعة لممارسة الطاعة لله . وليست هى طاعة فقط بل ثمر للقداسة « والنهاية حياة أبدية[1] » . هذه هى الطريق وهذه هى نهايتها فى المجد وإكليلها

(١) يذكر الرسول « الحياة الأبدية » هنا كنهاية ، وكذلك فى تى ١ : ٢ كرجاء « رجاء الحياة الأبدية » والمقصود بذلك ، التمتع بالحياة الأبدية فى كامل وواسع معناها ، ولكن الحياة الأبدية لأرواحنا نالها هنا بمجرد إيماننا بالمسيح =

هناك . والقداسة هى انفصال القلب لله من كل شر ، والنهاية تتناسب مع الطريق وتتناسب مع طبيعة الله ومقاصده .

لأن أجرة الخطية هى موت . وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا (ع ٢٣)

هذه هى خلاصة الحق العام الموضح هنا وهى النتيجة من جانب الإنسان ومن جانب الله « أجرة الخطية هى موت » وأما البركة فهى غنية ومجانية . إنها هبة الله التى هى « الحياة الأبدية » وهى ما يحتاج إليه الإنسان الميت بالذنوب والخطايا . والوحى هنا إنما يقارن بين أجرة الخطية ، وهبة الله[1] ، ولا يذكر كل أجرة الخطية ولا كل هبة الله ، لأن أجرة الخطية ليست الموت فقط ولكن بعد ذلك الدينونة . وهبة الله ليست الحياة الأبدية فقط ، بل عطية الروح القدس ومركز البنوة والميراث الأبدى وغير ذلك من البركات الإلهية . غنية جداً هى النعمة ، وواسعة جداً هى دائرة هبة الله بالمسيح يسوع ربنا .

وعبارة « بالمسيح يسوع ربنا » التى يختتم بها هذا الأصحاح والتى نجدها تتكرر كثيراً ، عبارة تمس أوتار القلب . فالرب يسوع الذى أتانا وديعاً متواضعاً هو الآن فى مكان السمو عن يمين الله . وإذ نراه بالإيمان مكللا بالمجد والكرامة تنحنى قلوبنا له طاعة وسجوداً — ذلك الذى ارتبطنا به

= « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية » (يو ٣ : ٣٦) . « من له الابن فله الحياة » (١ يو ٥ : ١٢) .

(١) الفكر السائد عند الكثيرين « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » فكر خاطىء من أساسه . لأن الحياة الأبدية لا يمكن الحصول عليها كأجرة لعمل ، بل كهبة مجانية من الله لمن يقبلها بالإيمان . أما الأجرة التى ينالها الإنسان باستحقاق فهى الدينونة جزاء خطاياه .

فى مجده « المسيح يسوع ربنا » . وكما شهد الوحى فى إحدى النبوات عن الشعب القديم قائلا « هتاف ملك فيه » وأيضاً «يتسامى ملكه على أجاج» (أى عماليق رمز الجسد) (عد ٢٣ : ٢١ ، ٢٤ : ٧) هكذا النصرة مضمونة حيث الرب يسوع يتبوأ عرش القلب ، وحيث يُعترف به رباً وسيداً . فلنعطه مكانه الصحيح وحينئذ يظهر قوته لحسابنا . ولكن حيث يتحول النظر عنه فهناك الضعف والهزيمة .

ليت قلوبنا تتأسس راسخة فى نعمة الله ، حتى نقدم ذواتنا له ، وننمو فى عمل إرادته ، حاسبين أنفسنا أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله ، فنعيش منفصلين عن العالم وعن كل شر ، مطهرين نفوسنا كما هو طاهر .

الأصحاح السابع

يحسن بنا أن نعيد إلى ذاكرتنا خلاصة ما تعلمناه فى الأصحاحات السابقة . فمن أول الرسالة حتى أواخر الأصحاح الثالث أثبت الوحي أن الجميع تحت الخطية ، وأن الله عمل كفارة لخطايانا بدم المسيح الثمين الذى به محا كل آثامنا ومذنوبيتنا . وما أهم هذا الحق الإلهى ! وفى الأصحاح الرابع رأينا الرسول يوضح تعليم القيامة وأن الله لم يبعد عن المؤمن خطاياه فقط ، ولكننا نؤمن به كمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذى أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا . فالقيامة شاهد ودليل على كفاية عمل المسيح وعلى المكان الجديد الذى دخل إليه كإنسان . هذا هو تعليم القيامة هنا أما فى رسالة أفسس فنرى قوة الله نفسها التى أقامت المسيح من الأموات ، عاملة فى المؤمنين إذ يحييهم الله مع المسيح ويتحدهم معه فى قيامته .

وفى الجزء الأول من الأصحاح الخامس رأينا نتائج قيامة المسيح ، وهى : تبرير الخاطىء بالإيمان برفع خطاياه بدم المسيح وإشهار تبريره بقيامة المسيح ، ثم السلام مع الله ، والدخول فى دائرة الرضى الإلهى ، ورجاء المجد ، والافتخار فى الضيقات ، ثم الافتخار بالله نفسه .

وفى الجزء الثانى من الأصحاح رأينا ارتباطنا بآدم الأول ثم ارتباطنا بآدم الأخير ، فليس الموضوع فى ذلك الفصل هو خطايانا الفعلية بل ارتباطنا برأس وحصولنا على نتائج عمل ذلك الرأس ، واشتراكنا فى حياته وطبيعته . بالرأس الأول جُعل نسله خطاة ، وبالرأس الثانى صار الكثيرون أبراراً .

وفى الأصحاح السادس يواجه الرسول اعتراضات الإنسان الطبيعى على تعليم النعمة التى تبرر الخاطىء بارتباطه بالمسيح رابطاً البر العملى والحياة المقدسة بموتنا مع المسيح وحصولنا على حياة جديدة نحياها لله بالمسيح .

فالمسيح الذى ارتبطنا به هو الذى مات وقام ، ونحن اتحدنا معه فى موته واعترفنا بهذا الاتحاد فى المعمودية التى بدأنا بها تاريخنا المسيحى . وما دمنا قد اتحدنا معه بشبه موته فكيف يمكن أن نحيا فى ما قد متنا له . ثم ما دمنا اتحدنا معه بشبه موته هكذا نصير أيضاً بقيامته أى تظهر قوة حياته فينا الآن أدبياً ، وفى المستقبل فعلياً . وبناءً عليه نحيا نوعاً جديداً من الحياة — نسلك عملياً فى جدة الحياة إذ قد حصلنا فيه على الحياة الجديدة ونستطيع بحرية أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا .

بعد ذلك تأتى نقطة أخرى وهى : لمن أقدم نفسى له أن نلت الحياة ؟ هل للخطية مرة أخرى ؟ حاشا إذ أنا عبد لمن أقدم نفسى له . فأنا مدين لله لأقدم نفسى له ، وأعضائى آلات للبر . والمؤمن ليس تحت الناموس لأن الناموس يوجّه مطاليبه للإنسان الحى فى الجسد أما الذى مات مع المسيح فهو حر من الناموس . ولكن هل تحررى من الناموس وعدم توجيه مطاليبه لى يقودنى للخطية ؟ كلا . ولكن حريتى هى لأخدم الله وأطيعه .

ثم رأينا شيئاً آخر : أى ثمر كان لنا حين كنا عبيداً للخطية وأحرارا من البر ؟ أمور مخجلة نستحى بها الآن ، ونهايتها الموت . أما الآن فى طريق الطاعة فلنا ثمرنا للقداسة . لأن فى طريق الطاعة لا عمل للإرادة العاصية ولا لشهوات الجسد بل قلوبنا قد انفصلت لله وقد عرفناه وصار لنا فكره . كل هذا بالنعمة . وهبة الله هى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا .

وفى هذا الأصحاح السابع يطبق الرسول حقيقة كوننا متنا مع المسيح على علاقتنا بالناموس الذى يطالب ولا يحرر . إذا لم أتحرر من الناموس تكون نتيجة حصولى على الطبيعة الجديدة أن أدرك ما هو الله ، وما هو أنا فى ذاتى وبالتبعية أكون فى منتهى الشقاوة .

فالطبيعة الجديدة تعطينى معرفة جمال عمل الخير وقبح عمل الشر ،

ومع ذلك فإن الخير لا أستطيع الوصول إليه ، والشر أرى نفسي منساقاً ومنجذباً إليه . ولكن هذا الأصحاح يعطيني الحل لهذه المشكلة وهو أني قد مت للناموس وانقطعت علاقتي به وتحررت منه . لنلاحظ ذلك جيداً فأنا لم أتبرر فقط ، ولا حتى حصلت على طبيعة جديدة فقط ، بل قد تحررت من الناموس .

سبق أن رأينا أن كل الذين يريدون أن يتخذوا موقفهم مع الله على أساس كونهم تحت الناموس هم تحت لعنة . هذه هي النتيجة الطبيعية التي يوصلنا إليها الناموس . من العبث أن تقول أنك لا تتخذ الناموس لأجل التبرير ولكنك تتخذه لأجل التقديس أوليكون قانوناً لسلوكك بعد الإيمان. أنت لا تستطيع أن تستعمل الناموس لهذا أو لذاك كما تشاء بحسب أوهامك لأن الناموس له سلطان وحقوق وهو الذي يستعمل سلطانه عليك كما يشاء. إن الله يقول لمن هم تحت الناموس : أنتم ملعونون لأنكم لم تطيعوني . فإذا أردت أن تكون تحت الناموس يجب أن تأخذه كما هو بكل العواقب والنتائج التي ربطها الله به . وحيث أن المؤمن مبارك في المسيح وقد رفعت عنه لعنة الناموس التي احتملها المسيح على الصليب فالمؤمن — إذن — ليس تحت الناموس بأي حال من الأحوال .

لا قوة للناموس على تقديس الحياة . ليس في طوقه أن يبرر الخاطيء أو يقدس المؤمن . هو في ذاته مقدس وعادل وصالح ، ولكن عند تطبيقه لابد أن يدين جميع الذين هم تحته . ولا يوجد شيء استطاع أن يثبت مطاليب الناموس بكل قوتها مثل موت ابن الله الذي ماته تحت الناموس مع أنه هو الوحيد الذي أكمل الناموس ، ولكنه حمل لعنته بالنيابة عنا .

صحيح أن الناموس صالح ، ولكنه صالح لإدانة الإنسان وكشف حالة قلبه ، فمن ذا الذي لم يكسر الناموس ؟ من الذي لم يشته قط ؟ من الذي أحب الله من كل قلبه ؟ ومن الذي أحب قريبه كنفسه بحق ؟ ولا واحد منا .

إذن نحن جميعاً تحت اللعنة إذا كنا تحت الناموس ، وقد شبه أحدهم الناموس بسلاح ولكن بدون يد فإذا أمسكت أنا به لاستخدامه ضد الآخرين ينفذ فى يدى، فهو حاد بالنسبة لى كما بالنسبة للآخرين ، ونرى مثالا جميلا لذلك فى قضية المرأة الخاطئة فى يو ٨ حيث جاء إلى الرب يسوع الكتبة والفريسيون وأرادت قلوبهم الخبيثة الشريرة أن تجربه وتنتقده سواء أدانها أو خلصها فإذا أدانها لم يكن مخلّصاً لأن الناموس أيضاً يمكنه أن يدين . وإذا أطلق سراحها يكون قد أسقط مطاليب الناموس . لقد اقتبسوا الناموس اقتباساً صحيحاً ونسوا أن الناموس هو ضد أنفسهم كما هو ضد هذه المرأة . ومن ثم قال لهم الرب يسوع «من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر ... فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين » (يو ٨ : ٧ — ٩) فالرب يسوع قد دانهم جميعاً بواسطة الناموس ثم تعامل مع المرأة بالنعمة قائلا لها « ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي أيضاً » فمهمة الناموس هى أن يدين وأن يعطى للإنسان معرفة الخطية ولم يقصد به الله شيئاً آخر . وهو نافع كسلاح الله لامتحان القلب وإقناعه بفساده . ويفتتح الأصحاح السابع بالقول .

أم تجهلون أيها الإخوة . لأني أكلم العارفين بالناموس أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حياً (ع ١)

هذه الأقوال تنطبق على أى ناموس حتى القوانين البشرية ، وتنطبق أيضاً على الحياة الطبيعية والموت الطبيعى . فالموت هو الشيء الوحيد الذى يفك ارتباط الإنسان بأى ناموس ويحرره منه . هذه قاعدة عامة . فكما رأينا فى الأصحاح السابق أن طريق التحرر من الخطية هو موتنا مع المسيح هكذا نرى فى هذا الأصحاح أن هذه أيضاً هى الطريقة الوحيدة لتحريرنا من الناموس . والغرض من التحرر من الناموس هو أن نأخذ قوة « لنثمر لله »

لأن الناموس والجسد والخطية والموت هذه الأربعة تسير معاً جنباً إلى جنب . ولكنى إذا مت تفقد كلها قوتها وسلطانها علىّ . قد يكون من السهل على الإنسان أن يقبل أن التبرير ليس بأعمال الناموس بل بعمل المسيح وحده ، ولكن من الصعب جداً عليه أن يقبل ذلك فى موضوع القداسة لأن كبرياء قلبه تجعله أميل إلى الناموس ولكن الله يقدم المسيح وحده للتقديس كما للتبرير « لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه » .

واضح أن الرسول يوجه كلامه إلى كل المؤمنين وليس إلى اليهود فقط ولكنه يرجع بفكره إلى التدبير القديم وإلى الشعب القديم تحت الناموس ولا يتعرض للفوارق التى ليست فى موضوعنا ولكنه يتكلم عن تاريخ الإنسان باعتباره تاريخاً متصل الحلقات وهو تاريخ كل البشر على السواء ، لأنه حتى الذين لم يعطَ لهم الناموس يقبلون بطبيعتهم مبدأ الناموس لأنهم لا يتصورون وجود مبدأ آخر خلاف مبدأ العمل والإنتاج الذاتى — ذلك المبدأ الذى استمر الإنسان تحت تجربته المريرة العقيمة زماناً مديداً . فنستطيع أن نقول إن المبدأ اليهودى موجود فى داخلنا جميعاً ، حتى نحن الأمم ولا نريد أن نلقى عنا ذلك النير الثقيل الذى لم يستطيعوا أن يحتملوه ، ونقبل عوضاً عنه نير المسيح الهين الخفيف . ومن ثم يجب التحرر من هذا المبدأ لتكون لنا حرية الإثمار لله . ولا سبيل للتحرر إلا الموت للناموس كما يقول الرسول هنا وكما يقول أيضاً فى غلا ٢ : ١٩ « لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله » .

فإن المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى . ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل (ع ٢)

يتدرج الرسول من المبدأ العام إلى مثال خاص هو مثال المرأة المرتبطة بناموس الرجل الحى وأنه لا يمكن أن يكون لها زوجان فى آن واحد بل

يجب أن تتحرر من ناموس الزوج الأول حتي يمكنها أن ترتبط بزوج ثان . ويستخلص الرسول من هذا أننا لا يمكن أن نكون مرتبطين بالناموس والمسيح فى آن معاً بل يجب أن نكون أمام الله فى رابطة واحدة من الرابطتين إما تحت الناموس أو مرتبطين بالمسيح .

ومن المناسب جداً أن إتخذ الرسول موقف المرأة لا موقف الرجل لأنه يتكلم عن موضوع مسئوليتنا لتتميم مشيئة الله وهذا هو واجب المرأة إذ هى فى مركز الخضوع لرجلها ، وهكذا المؤمن تحت التزام لطاعة الله ولكن ليس على مبدأ الناموس بل على مبدأ حرية النعمة .

فاذاً ما دام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر (ع ٣)

يا لها من لطمة قوية ضد الفكر الشائع أن المسيحى هو تحت الناموس كقانون سلوكه فى حياته الجديدة . وكأنه فى هذه الحالة مرتبط بزوجين ، المسيح والناموس فى آن واحد ، وهذا أمر لا يطلق لأن المرأة تكون زانية إذا فعلت هكذا والمؤمن مفروض أن يكون « عذراء عفيفة للمسيح » . فإذا كان الناموس هو المبدأ الذى كنا مرتبطين به قبلا ، لكنه لم يعد الآن أساس علاقتنا مع الله ولامبدأ حياتنا كمسيحيين ، لأن المؤمن بموته مع المسيح إنفك ارتباطه الأول وله الحرية ليكون لآخر — للمسيح وحده .

إذاً يا إخوتى أنتم أيضاً قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى قد أقيم من الأموات لنثمر لله (ع ٤)

هذا مبدأ عام يبين مركز جميع المؤمنين أنهم ماتوا للناموس بجسد المسيح . لقد مات المسيح على الصليب نائباً عنهم واحتمل لعنة الناموس . ماذا كان

يستطيع الناموس أن يفعل أكثر من صب كل لعنته على المسيح الذى ُجعل خطية لأجلنا ومات تحت الناموس ؟ لقد جاء المسيح « مولوداً تحت الناموس » ، ومع أنه أكمل الناموس فى حياته إلا أنه احتمل لعنته كلها نيابة عنا وقام من الأموات بعيداً عن دائرة الناموس بالكلية . والإيمان يطبق مركز المسيح على نفسه . ولكن يا للحسرة . كم من المسيحيين يعتبرون الناموس هو مبدأ المسيحية ويجهلون أن المسيح أخذ مكاننا وتولى قضيتنا وسواها تماماً معطياً لنا كل فوائد عمله كما لو كنا نحن فى مكانه . وما علينا إلا أن نأتى ونتخذ مركزنا الحقيقى فى المسيح لأنه هو الروح المحيي ، آدم الأخير . وكل مطاليب الناموس بالنسبة للمؤمن قد انتهت فى المسيح ، لأن المؤمن قد مات فى المسيح بالنسبة لحياته السابقة ولموقفه السابق تجاه الخطية والناموس والعالم ، وله الآن حياة جديدة فى المسيح بعد أن تسوى موضوع الخطية تماماً أمام الله . ويا لسعد المؤمن ! لقد صار الآن لزوج آخر غنى وقوى « أبو العز » بعد أن أثبت الولى الأول عجزه التام عن أن يحرر أو أن ينجب ثمراً (أنظر راعوث ٤: ٦ — ١٠) . ولكن هل هذا ُيضعف قوة الناموس ؟ حاشا . لا تزال للناموس قوته ، لكنه لا يستطيع أن يوجه قوته القاتلة لى لأنى مت — مت به « مت بالناموس » (غلا ٢ : ١٩) . لقد قتلنى وهذا بالذات هو الذى حررنى منه لأنى « مت له » . أنا فى المسيح والناموس قتل المسيح ونفذ كل لعنته عليه ذاك الذى ُجعل خطية لأجلنا والآن زالت عنى اللعنة إلى الأبد لأن المسيح حملها . وأنا تحررت من الناموس ولا علاقة لى به .

كان الناموس قديماً هو الرابطة الدينية مع الله . أما الآن فالأمر بخلاف ذلك ، المسيح هو الرابطة الوحيدة بين الإنسان والله — المسيح المقام من الأموات . لقد متنا للناموس بجسد المسيح لنكون لشخص آخر — للذى أقيم من الأموات ، لنثمر لله . إن الله يتطلع إلى ثمر جديد فى المؤمن لأن الإنسان بحسب الطبيعة لم يستطع أن ينتج ثمراً لله والناموس لم يساعده على إنتاج

أى ثمر لله بل بالعكس حرك فيه ثمار الجسد كما سنرى ، وثمار الجسد كلها رديئة ومرّة .

قد يشتاق الإنسان إلى الصلاح ولكنه لم يدرك بعد مدى فساده وعدم نفعه ، وأن الله لا يتطلع إلى أى صلاح فيه لأنه هو الذى قال « ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » إذن بتوهمك أنه يوجد فيك شىء صالح ، أو بتوقعك أى صلاح فى ذاتك ، أنت لا تصدق الله الذى قال إنك ردىء تماماً وفاسد تماماً ولا يرجى منك أى خير بحسب الطبيعة « الجميع زاغوا وفسدوا (أى أنتنوا) معاً » . والناموس واسطة فعالة لإقناع ضمائرنا بحقيقة حالتنا بحسب الطبيعة . إنه يكشفنا ويديننا . وعندما نفهم هذا نشتاق إلى التحرر منه .

ربما يظن البعض أن التحرر من الناموس يقود إلى الاستباحة . ما معنى هذا ؟ هل حياة المسيح فينا تقود إلى الاستباحة ؟ صحيح أن الجسد يريد أن يفسد كل شىء ويسىء استعمال كل شىء ولكن المؤمن له قوة النعمة وحقيقتها وله حياة المسيح فيه . وهذه الأمور لا يفهمها ولا يصدقها من يقول إننا نخطىء لأننا لسنا تحت الناموس .

إن من يريد أن يستعمل الناموس لتقديس حياته لا يفهم حقيقة نفسه . من ذا الذى يتجاسر أن يوجد فى حضرة الله لحظة واحدة وهو تحت الناموس ؟ أليس مكتوباً أنه « لن يتبرر قدامك حى » (مز ١٤٣ : ٢) هذا هو الموقف الذى يضعك فيه الناموس أمام الله إذا كنت تحته لأن الناموس لا يعرف شيئاً من النعمة ، وإلا لم يعد بعد ناموساً . فالذين يريدون أن يكونوا تحت الناموس سواءً للتبرير أو للتقديس « لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه » (١ تى ١ : ٧) لأن الناموس يأتى بك دائماً إلى الدينونة ولا يقبل منك أى عذر لأنه يطلب تنفيذه كاملا وإلا فلا .

يقسم البعض الناموس إلى قسمين متميزين : أدبى وطقسى . ولكننا

لا نجد مثل هذا التقسيم فى كلمة الله ، لأن الناموس هو التعبير عما يطلبه الله من الإنسان سواءٌ كان فى شكل وصايا أدبية أو طقوس خارجية ونجد مثالا لعدم التمييز بين الناموس الأدبى والطقسى فى الوصية الرابعة ، فحفظ يوم السبت وتقديسه للرب ولراحة الإنسان هو أمر طقسى ولكنه يرد ضمن الوصايا الأدبية مع أن مخالفته ليس فيها شيء غير أدبى كما فى مخالفة باقى الوصايا . وهكذا نرى أن الله أعلن مشيئته لشعبه فى الوصايا الأدبية كما فى الطقسية ، ولكن هذه وتلك قد أبعدت فى المسيح إذ قد متنا للناموس وتحررنا منه ، وإذا أراد واحد أن يقول إننا تحررنا من الناموس الطقسى فقط ، نقول له إن الرسول لم يشر فى معرض الكلام هنا إلى أى شيء طقسى بل الوصية التى أشار إليها هى قوله « لا تشته » (ع ٧) وهى وصية أدبية لا طقسية . إن كلام الرسول هنا واضح إن المؤمن قد مات للناموس بجسد المسيح وبذلك لا سيادة للناموس عليه ، وبذلك أيضاً قد صار لآخر — للمسيح كجزء من كنيسته التى هى عروسه . وهذه هى الطريقة الوحيدة لإنتاج الثمر لله . كان الزوج الأول عقيماً وكان لا بد من الزواج الثانى فى حكمة الله الكاملة لإنتاج الثمر .

لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى نثمر للموت (ع ٥)

يوضح الرسول هنا سبب العقم فينا . لما كنا تحت الناموس كان هناك ثمر لكنه لم يكن « ثمراً لله » ، بل « ثمراً للموت » أى أن الإنسان لم يكن عقيماً فقط بل ما هو أردأ — أنه أنتج ثمراً رديئاً للموت . والسبب هو « أهواء الخطايا التى تعمل فى أعضائنا » وكان الناموس يثيرها ، لأن هذه هى طبيعة الإنسان أنه يميل إلى عمل ما يُنهى عنه . فليس العيب فى الناموس بل فى طبيعة الإنسان العاصية . لأن الناموس يتكلم إلى الإنسان فى الجسد .

يقول الناموس للإنسان : إنى أطلب منك طاعة لله . ولا يتساهل فى أقل شيء لأنه لو تساهل لا يكون ناموساً كاملا . فضلا عن ذلك فإن تأثير الناموس من طرف خفى هو إثارة الإرادة العاصية لأن الإنسان بطبيعته البشرية الساقطة يرغب جداً فى عمل ما ينهاه الله عنه وقد جاء أحدهم بمثل بسيط على هذا فقال : إذا وضعت إناءً فارغاً مقلوباً على المائدة وأعلنت أنه لا يجوز لأحد أن يعرف ما تحت هذا الإناء لجميع الحاضرين يشتهون أن يعرفوا ذلك على الفور ، وهكذا تتخذ الخطية فرصة بالوصية لتخدع الإنسان .

« لما كنا فى الجسد » هذا يفيد أن هذه حاله قديمة وأننا لسنا الآن فى الجسد ، كما يقول الرسول فى ص ٨ : ٩ « وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح » (مع أن الجسد باق فينا) هذا هو مفتاح الموضوع كله : إذا كنت قد متّ مع المسيح ، ونلت حياة فيه ، فأنا لست فى الجسد بل فى الروح . ومعرفتى لمركزى هذا ، هى سر النصرة . لا يمكن أن أنتصر أو أتحرر إلا عندما أعلم أننى قد متّ مع المسيح وصرت فى دائرة جديدة لا فى الجسد بل فى الروح . الولادة الثانية وحدها لا تكفى للانتصار لأننى بها أصادق على أن الناموس روحى وأنى أنا بالطبيعة الفاسدة الساكنة فىَّ ، جسدىٌّ منجذب إلى الخطية .

وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف (ع ٦)

القراءة الصحيحة لهذا العدد هى أننا « متنا للذى كنا ممسكين فيه » (أى للناموس) . فالناموس لم يمت ولكنه باق حياً ويسود على الإنسان الحى فى الجسد ، ولا يتحرر الإنسان من قبضة الناموس التى يمسكه بها بشدة إلا إذا مات الإنسان . وهذا ما تم للمؤمن بموته مع المسيح . إن حقيقة موت

المؤمن مع المسيح للخطية والناموس والعالم هى بكل أسف منطقة مجهولة فى المسيحية ، ومن هنا أصابت النفوس أضرار جسيمة بسبب جهل هذه الحقيقة . فالنفس الغيورة لله ولكنها تجهل مركزها الحقيقى الذى أوجدها فيه الفداء ، تضع نفسها تحت الناموس . وهذا هو سر البلاء والعويل ، فالضمير متيقظ والإرادة حاضرة ولكن لا قوة . لو لم تكن هناك طبيعة جديدة لما جازت النفس فى هذا الاختبار . كما أنه لو أدركت النفس حقيقة مركزها فى المسيح ، وقوة الروح القدس فيها لانتقلت إلى الأصحاح الثامن وتمتعت بالانتصار .

ويبين الرسول فى هذا العدد الغرض من تحررنا من الناموس وهو « حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف » . فى ع ٤ يوضح الرسول أننا متنا للناموس بجسد المسيح وارتبطنا بشخصه مقاماً من الأموات ، والغرض من ذلك « لنثمر لله » . ففى جو الحرية « نعبد » وفى جو الحرية « نثمر » والعبادة الصحيحة المقبولة أمام الله تكون « بجدة الروح » . كأناس نالوا حياة جديدة نسجد لله « بالروح والحق » . فى الأصحاح السابق ع ٤ يقول الرسول أننا نسلك فى « جدة الحياة » . يا له من جو جديد جميل فيه نسلك ونعبد ونثمر فى « جدة الحياة » وفى « جدة الروح » .

« لا بعتق الحرف » . « العتق » بالمقابلة مع « الجدة » و « الحرف » بالمقابلة مع « الروح » كما يقول الرسول فى ٢ كو ٣ : ٦ « لا الحرف بل الروح » . والحرف هو الناموس الذى أعطى فى « العهد العتيق » وخدمته هى « خدمة موت » أما خدمة الروح القدس فهى خدمة حياة « الحرف » (أى الناموس) يقتل ولكن الروح « أى الروح القدس » يحيي (٢ كو ٣ : ٦) .

فماذا نقول هل الناموس خطية . حاشا بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته (ع ٧)

نجد فى هذا الأصحاح ثلاثة أشياء . فى الستة الأعداد الأولى نجد الحقيقة أننا متنا للناموس بجسد المسيح وصرنا لآخر للذى أقيم من الأموات لنثمر لله ولنعبده بجدة الروح . وفى الأعداد ٧ — ١٣ نجد النتيجة فى الإجابة على سؤالين : (١) هل الناموس خطية ؟ (ع ٧) — (٢) هل صار لى الصالح موتاً ؟ (ع ١٣) ، وفى الأعداد من ١٤ إلى آخر الأصحاح نجد اختبار النفس قبل تحررها من الناموس .

يحرص الرسول على أن يبعد كل تهمة عن ناموس الله ويوضح أن الأمر بالعكس حيث أن كمال الناموس هو الذى قتل الإنسان الخاطىء إذ أظهر فساده وأدانه . فبالناموس . معرفة الخطية إذ هو الواسطة لكشفها . ونلاحظ أن كلام الرسول هنا منصب على « الخطية » لا « الخطايا » ، على الطبيعة الشريرة العاصية لا على الآثام والأعمال الشريرة ، ولذلك يقتبس الوصية الأخيرة « لا تشته » باعتبارها الوصية التى تقنع الإنسان بفساده عموماً وليس بخطايا معينة .

ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فىّ كل شهوة لأن بدون الناموس الخطية ميتة . أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا (ع ٨ ، ٩)

إذن سر البلاء « الخطية » أى الطبيعة الفاسدة الساكنة فىّ إذ تتخذ من الناموس فرصة لإشهار راية العصيان على إرادة الله . وهذا نختبره كلنا أن الوصية تثير فينا الشهوة على مخالفتها . ومن العبث أن أجاهد وأصارع مع الخطية بهذه الطريقة ، لأن الضمير المتيقظ والوصية يتحدان معاً فى إدانتى

كمذنب أمام الله . والوصية لا يمكنها أن تعيننى أو أن تصلح الطبيعة الفاسدة التى فىّ ولكن ما أحتاج إليه فعلا علاوة على الطبيعة الجديدة هو قوة ترفعنى وغرض يجتذبنى إليه — أى أنى أحتاج إلى الروح القدس ، وإلى المسيح ربى الممجد فى السماء ، وهذان تقدمهما لى النعمة لا الناموس « لأنه بدون الناموس الخطية ميتة » وكأن الرسول يريد أن يقول : كان من حظى أنى لم أكن مدركاً لحقيقة مساوئى ورداءتى حيث لم يكن ضميرى يديننى ولا أعمالى تزعجنى حتى جاءت الوصية (١) فأظهرت رداءتى من جهة وحركت شهوة العصيان فىّ من الجهة الأخرى ووضعتنى تحت حكم الموت ، وأنا أدرك ذلك وأقره .

ابتداء من العدد السابع إلى نهاية الأصحاح تظهر كلمة أنا وضمائر المتكلم الأخرى عدة مرات حوالى أربعين مرة وهى لا تفيد بالتحديد إختبار الرسول الشخصى فى وقت من الأوقات ولكنه يتخذ نفسه مثالا للإيضاح لأن هذا الاختبار فى الواقع هو اختبار الأكثرين بعد فرحة الإيمان وبهجة الخلاص وقبل إدراك سبيل التحرر من الخطية بمعرفة مركزهم فى المسيح وقوة الروح القدس فى داخلهم . وتكرار كلمة « أنا » يدل على إنحصار المشغولية فى الذات . ومن الطبيعى أن تكون نتيجة هذه المشغولية التعاسة والشقاء . ولنلاحظ أن « الذات الطيبة » هى أسوأ من « الذات الرديئة » فى عدائها للمسيح لأنها توحى إلينا بالاستغناء بأنفسنا عنه لأننا فى هذه الحالة نتوهم أننا أصحاء فلا نحتاج إلى الطبيب . لينعم علينا الرب بالتحرر من الذات وعدم المشغولية بها إطلاقاً بل تثبيت نظرنا فى الرب يسوع وحده .

---

(١) الإنسان قبل التجديد والولادة الثانية لا يشعر برداءته بل يعيش متصوراً أنه ليس ردياً بالمقدار الذى يستحق لأجله غضب الله . ولكن بعد الحصول على الطبيعة الجديدة يعرف حقيقة نفسه ، ولاسيما عندما يحاول أن يضع نفسه تحت الناموس .

والمشغولية بالذات هي نتيجة الكبرياء ، وهي أول خطية دخلت أولا في الملائكة الذين سقطوا . ويصف حزقيال هذا السقوط بأقوال ، ولو أنها موجهة إلى ملك صور لكنها لا يمكن أن تكون تصويراً لمجرد ملك أرضي ، وهي لا تنطبق في الحقيقة إلا على رئيس هذا العالم الذي يرفض الله ومسيحه (أنظر حز ٢٨ : ١٢ — ١٧) . ياله من سقوط خطير فيه تحذير عميق لنا نحن الذين يحاول الشيطان دائماً أن يثير فينا روح الكبرياء عينها بينما يقصد الله دائماً أن « يكتم الكبرياء عن الرجل » (أي ٣٣ : ١٧) . لقد دخل سم الكبرياء في أعماق كياننا عندما أصغينا إلى التجربة الأولى « تكونان كالله » . وإذا نظرنا إلى الرسول بولس نفسه نجد أن إختطافه إلى السماء الثالثة لم يكن كافياً لانتزاع كل أثر لهذه الروح في داخله فرأى الرب في سامي حكمته أنه يحتاج إلى شوكة في الجسد « لئلا يرتفع بفرط الإعلانات » (٢ كو ١٢ : ٧) . ياله من برهان مقنع لكل منا على وجود الجسد حتى في أسمى المؤمنين روحانية ، كما أنه يوضح لنا أن الكبرياء يمكن أن تتسرب إلينا حتى في أقدس الأمور . ولذلك عمل الروح القدس دائماً هو أن يبعد عنا كل شعور بالاكتفاء الذاتي أو بالرضى عن النفس ، وأن يوجد فينا باستمرار الحكم على الذات حتى يحولنا عن أنفسنا تماماً إلى الرب وحده .

وقد شبه أحدهم قول الرسول « بدون الناموس الخطية ميتة » بأفعى نائمة في الثلج وكأنها متجمدة ومائتة ، ولكن بمجرد أن يقرب منها شيء دافيء تتحرك وتؤذي .

فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت . لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني (ع ١٠ ، ١١)

حقاً إنه لمجهود ضائع أن يحاول الإنسان أن يجد معونة من الناموس لأن مهمته هي أن يكشف شر الإنسان وفساده واستحقاقه للموت والدينونة ،

فإذا فعل ذلك يكون قد نجح فى مهمته . إن الناموس « غير قادر أن يحيى »[1] (غلا ٣ : ٢١) بل بالعكس هو قادر أن يميت كما يقول الرسول هنا « أن الوصية « قتلتنى » وأنها « لى للموت » وكذلك يصفه الرسول فى (٢ كو٣:٧) بأنه « خدمة موت » وهذا التعبير عجيب وكأن الله قصد فى محبته وحكمته أن الناموس يقدم لنا هذه الخدمة — خدمة الموت حتى ننصرف عن الثقة فى ذواتنا والمشغولية بها ونتجه إلى المسيح ليكون هو الكل فى الكل لنا .

ويحرص الرسول على أن يبرر الناموس إذ ليس فيه خطأ أو ذنب بل المسئولية كلها على الخطية التى اتخذت فرصة بالوصية لخدعتنى وقتلتنى .

إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة . فهل صار لى الصالح موتاً . حاشا . بل الخطية . لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتاً لكى تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية (ع ١٢ ، ١٣)

مرة أخرى يؤكد الرسول أنه لا ذنب على الناموس بل الذنب كله على « الخطية » لأن الناموس مقدس وعادل وصالح ، وما هو المبدأ الرئيسى الذى يصر عليه الناموس فى الحقيقة ؟ إنه المحبة « فالمحبة هى تكميل الناموس » (ص ١٣ : ١٠) . فمهما كانت النتائج السيئة التى ينتجها الناموس للإنسان لأول وهلة فإن محبة الله ظاهرة فيه لأن الناموس فى الواقع هو خادم النعمة وهو الذى يقودنا إلى المسيح بعد يأسنا من أنفسنا . أما النفس التى لا تستطيع أن تدرك هذه النتيجة النهائية فإنها ترتبك وتتخبط فى الظلام بالنسبة لاكتشاف شرها وإدانة الناموس لها . وبناء عليه تتساءل « هل صار لى

(١) القصد من القول « الوصية التى للحيا » أنه قيل فيها « افعل هذا فتحيا » ولكنها وُجدت مثبتة على حكم الموت لأنها إدعى رادع وحاجز يصد الإرادة الطبيعية الإنسانية ، أيقظت الخطية الساكنة فى وحركت الشهوة فيها ، شهوة عدم الخضوع لأوامر الله ونواهيه ، فكان ذلك بمثابة عصيان على الوصية يستحق الموت والقتل .

الصالح موتاً » ؟ ولكن الضمير يجيب فى الحال « حاشا بل الخطية لكى تظهر لى خطية » فصلاح الناموس يظهر حقيقة الخطية وطبيعتها البشعة « الخاطئة جداً » . هذا ما قصده الله بالناموس ، أن يكشف الستار عن وجه الخطية كما أنه يدينها .

فاننا نعلم أنه الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية .

ولأنى لست أعرف ما أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فاياه أفعل (ع ١٤ ، ١٥)

يجدر بنا أن نلاحظ هنا أن الكلام بصيغة الجمع فى الأول « فإننا نعلم أن الناموس روحى » هذا ما يعلمه جميع المؤمنين ، ولكنه لا يجسر أن يقول : « أما نحن فجسديون » ولكنه يصف حالة خاصة (لا حالة الرسول نفسه بل المؤمن المجتاز فى هذا الاختبار) فيقول «أما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية» وفى هذه الكلمات نشتم روح العبودية التى ينفر منها ولا يحبها ولكن لا سبيل له للتخلص منها . إنه يبغض الخطية ولكنه يشعر بتمام العجز إزاءها . الواقع أن « الجسدى المبيع تحت الخطية » هو الإنسان فى آدم ، ولكن المؤمن المسكين الذى هو فى روح العبودية لأنه يضع نفسه تحت الناموس ولم يعرف بعد مركزه فى المسيح وأنه مات معه للخطية وللناموس، هذا المؤمن يشعر بثقل هذه العبودية مع أن الإنسان الطبيعى الذى هو فعلا عبد للخطية لا يشعر بهذا الثقل ، وهذا ما يزيد فى تعاسة المؤمن الذى لم يعرف سبيل الحرية بعد ، ولكنه يسعى إليها عن طريق خاطىء إذ يتطلع إلى الداخل ، إلى تحسين ذاته وانتظار شىء أفضل تنتجه .

فانه كنت أفعل ما لست أريده فانى أصادق الناموس أنه حسن .

فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى (ع ١٦ ، ١٧)

إن مفتاح هذا الفصل هو أن المتكلم مؤمن له طبيعة جديدة يعرف ماهو

الجسد الذى فيه ويميز بين نفسه وبين الأصل الردىء الذى يستعبده ويملك ناصيته ، ولا يقبل أن يكون « هو » ذلك الشىء الردىء إذ يقول ويكرر القول « لست أنا بل الخطية الساكنة فى » . ولكن سر تعبه هو الإنحصار فى ذاته واضعاً ناموس الله أمامه ، بينما يغيب المسيح والروح القدس من دائرة تفكيره . فما نجده أمامنا فى هذا الأصحاح هو مؤمن يضع نفسه تحت الناموس — ناموس الله الروحى الصالح مجاهداً بنفسه لكى يتممه شاعراً بالعجز التام عن تتميمه ، فليس الموضوع هنا هو الصراع بين الطبيعتين الجديدة والقديمة ، ولكن تأثير ذلك الصراع على النفس التى تضع نفسها تحت الناموس . إن الإنسان الطبيعى لا يمكن أن يُسر بناموس الله ولكن الطبيعة الجديدة تسر به وعندها الإرادة حاضرة لتتميمه ولكن ما يحتاجه المؤمن هنا هو القوة ، والناموس لا يمكن أن يعطيه هذه القوة ، إنه لا يساعده بل بالعكس يزيد فى مشكلته وفى تعاسته إذ يثير الخطية الكامنة فيه ولا يُزيل هذه التعاسة إلا التطلع إلى المسيح كما نرى فى نهاية الأصحاح لأنه هو المحرر الوحيد من الناموس ومن الذات أيضاً .

فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىّ

(ع ١٨ — ٢٠)

نجد هنا مناقشة أخرى تؤدى إلى نفس النتيجة وتنتهى بعبارات مماثلة وإن كانت أكثر تأكيداً . فنجد أن النفس المتجددة مضطرة لأن تعترف بعجزها التام لأن الشر يكسب الجولة معها كل يوم ، وأن الرغبات الصالحة

تمر بغير تتميم . يا له من درس قاس مؤلم ولكنه حقيق لأنه يعطينا وصفاً صحيحاً لطبيعتنا ، إذ ليست هى أقل بشاعة مما هو موصوف هنا . ولكن هذا الدرس نافع ، والنعمة تستخرج منه بعد قليل شيئاً جميلا مفرحاً إذا كان هناك خضوع لعمل الروح القدس فى القلب .

ونلاحظ أنه فى هذه المناقشة الثانية ، لا فى الأولى تصل النفس إلى القول « لا يسكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح » ، وفى هذا نجد التمييز بين الطبيعة القديمة والطبيعة الجديدة ظاهراً بوضوح أكثر ، ومع ذلك فلا تزال القوة مفقودة . وفى الأعداد التالية تصل الأزمة والشقاوة إلى ذروتها ولكنها بنعمة الله تجد نهايتها وحلّها .

إذاً أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى . فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن . ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى (ع ٢١ — ٢٣)

نجد هنا زيادة فى هذا الاختبار القاسى ووضوحاً أكثر فى التمييز بينى أنا كمؤمن مسئول ، وبين الإنسان الباطن ، وبين ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، كما نجد وضوحاً أكثر للصراع المرير الداخلى فى نفس المؤمن فى هذه الحالة ، ولكننا نصل إلى خاتمة المناقشتين السابقتين إذ عندما يشتد الظلام يكون النور على وشك الإشراق .

نجد هنا تعبيراً آخر وهو « ناموس الخطية الكائن فى أعضائى » .

ولنلاحظ بدقة ، التمييز بين هذا الناموس وبين وجود الخطية فى المؤمن فالخطية باقية فينا كمؤمنين . ونحن نسهر ضدها دائماً ، ولكن ناموس الخطية شىء آخر . إنه يفيد أن الخطية فى مركز السيادة ولها ناموس تفرضه

على الإنسان ، وليس هذا هو مركز المؤمن الذى رأيناه فى الأصحاح السابق « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » ولكننا نجدها تسود هنا ولها ناموس فى الأعضاء لأن المؤمن لا يتمتع بالنعمة بل يضع نفسه تحت الناموس . ومادام هذا حاله فلا يمكنه أبداً أن يحرر نفسه من ناموس الخطية الكائن فى أعضائه ، ولذلك يصرخ فى النهاية طالباً محرراً آخر بعيداً عن ذاته لكى ينقذه .

ونلاحظ فى هذا الفصل أن الرسول يتكلم عن ثلاثة نواميس :

(١) ناموس الله — أى الوصايا العشر .

(٢) ناموس ذهنى — أى قانون الطبيعة الجديدة .

(٣) ناموس الخطية الكائن فى أعضائى أى سيادة الطبيعة الفاسدة .

وسنرى فى الأصحاح الثامن ناموساً رابعاً هو ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع — أى ناموس الروح القدس الذى هو قوة الحياة التى فى المسيح يسوع والذى فيه العتق .

إن خلاصة الاختبار الذى نجده فى هذا الأصحاح هو :

(١) معرفة أنه لا يسكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح .

(٢) التمييز بين المؤمن المسئول وبين الطبيعة الجديدة التى فيه وبين الخطية الساكنة فى جسده .

(٣) الاختبار أنى ضعيف وعاجز بذاتى أمام قوة الخطية وناموسها الكائن فى أعضائى الذى يقهرنى ويسبينى .

(٤) الشعور العميق بهذا العجز يقودنى إلى الانتهاء من ذاتى والتطلع إلى منقذ خارج عنى . وهذا درس ثمين للغاية .

(٥) المنقذ قريب « شكراً لله بيسوع المسيح ربنا » . فإن كان القارىء

العزيز قد شرب الافسنتين والعلقم متحققاً رداءة ذاته وضعفه فأهنئه على ذلك وأقول له ثق يا أخى لأن الحلو صار قريباً .

ويحى أنا الإنسان الشقى[1] من ينقذنى من جسد هذا الموت . أشكر الله بيسوع المسيح ربنا . إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية (ع ٢٤ ، ٢٥)

لكى ينال الخاطىء الخلاص والتبرير يجب أن يصل إلى نهاية ذاته ويصرخ « إرحمنى اللهم أنا الخاطىء » . ولكى ينال المؤمن التحرر من قوة الخطية عليه أن ينتهى من ذاته أيضاً ويصرخ « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى » ؟ هذا اختبار مذل ولكنه نافع . وهذا هو طريق الله دائماً أنه لا يأتى إلينا إلا إذا انتهينا من أنفسنا وشعرنا بالحاجة إليه لا سواه « لأنه أشبع نفساً مشتهية وملأ نفساً جائعة خيراً » . على أنه أيسر على الإنسان أن يعترف بأنه خاطىء من أن يعترف بأنه عاجز لا قوة له ، ولكن الوحى يستخدم الرسول ليعطينا هذا الاختبار الثمين ليوفر علينا هذا الصراع المرير . ومن الجميل أنه بعد تكرار كلمة أنا يتغير الاتجاه إلى « من » أى أن المؤمن يتطلع إلى منقذ خارج عن ذاته . وفى الحال تتغير لهجة الانكسار بعبارات الشكر والانتصار « أشكر الله بيسوع المسيح ربنا » . ويجمل بنا أن نلاحظ فى الأصحاحات السابقة وفى الأصحاح التالى تكرار هذه العبارة الحلوة « يسوع المسيح ربنا » الذى فيه لنا كل شىء . إن سبب

---

(١) يا للحسرة ! أيمكن أن يكون إنسان نال بركة غفران الخطايا والتبرير بالإيمان بالمسيح وله الحق أن يفتخر على رجاء مجد الله ، وعلى الضيقات ، بل يفتخر بالله بربنا يسوع المسيح (ص ٥) أن يكون هذا الإنسان شقياً ؟ ولكن الإنسان هو الذى يجلب الشقاوة لنفسه بتحوله عن المسيح إلى الذات ولكن عندما يعود وتنفتح عيناه إلى « يسوع المسيح ربنا » تعود إليه لهجة الانتصار والافتخار .

كل هذه المتاهة فى هذا الأصحاح وكل هذا العذاب هو أنه لا يذكر فيه هذا الإسم الحلو المبارك إلا فى آخره . وبمجرد ذكر إسمه جاء الفرج والإنقاذ[1] .

ولنلاحظ أن العبارة الأخيرة فى هذا الأصحاح « إذا أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله . ولكن بالجسد ناموس الخطية » تابعة للاختبار السابق إذ لا يمكن أن تكون لاحقة للشكر والانتصار لأن الذى يخدم بالجسد ناموس الخطية لا يمكن أن يكون إنساناً قد نال التحرير والعتق ، كما أن الذى يخدم ناموس الله بذهنه هو إنسان لا زال تحت الناموس ولم يتحرر منه ولم يدرك أنه قد مات للناموس بجسد المسيح ، وأنه قد تحرر من الناموس إذ مات للذى كان ممسكاً فيه . إن نفس عبارة « ناموس الخطية » تفيد سيادة الخطية ولا يمكن أن تنطبق على المؤمن الذى تحرر وعرف مركزه فى المسيح وشكر الله « بيسوع المسيح ربنا » . والرسول يبين فى الأصحاح الثامن أن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنا من « ناموس الخطية والموت »

فمن الواضح جداً أن هذا العدد الأخير هو خلاصة للاختبار القديم حتى نتبين بوضوح طريقة التحرير فى الأصحاح التالى بواسطة ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع . فى ختام هذا الأصحاح نجد فقط المحرر « يسوع المسيح ربنا » ولكن فى الأصحاح التالى نجد طريقة التحرير موضحة بالتفصيل .

ليعطنا الرب نعمة لكى نزن هذه الحقائق الثمينة وندرك أنه كما أن غفران الخطايا بالنعمة بموت المسيح لأجلنا هكذا تحررنا من الخطية الساكنة فينا هو بالنعمة أيضاً بموتنا مع المسيح للخطية وللناموس . ليملأ المسيح قلوبنا وعيوننا وكل دائرة تفكيرنا . له كل المجد .

---

(١) كما لا يذكر فيه أيضاً الروح القدس الذى هو قوة الحياة الجديدة ولكن الذى يذكر فيه كثيراً هو « أنا » الإنسان الضعيف فى ذاته .

الاصحاح الثامن

فى الأصحاح السابق لا يوجد سوى إشارة واحدة إلى المسيح والروح القدس ع ٤ ، ع ٦ ولكن الكلام كله محصور فى « أنا » و « الناموس » ، وهناك فرق بين رسالة رومية ٧ وغلاطية ٥ . فى غلاطية يقول « الروح ضد الجسد » (غلا ٥ : ١٧) ولكن فى روميه ٧ « أنا ضد الجسد » فلا يمكن أن تكون نصرة لكن ما دام الروح ضد الجسد فهو يميت أعمال الجسد وحينئذ تكون النصرة . مضمونة ، فى رومية ٧ كانت السفينة تتخبط فى الظلام وتعارك الأمواج أما فى رومية ٨ فنرى السفينة وقد وصلت إلى المرفأ . فى رومية ٧ نقرأ « ويحى أنا الإنسان الشقى » (ع ٢٤) ولكن هل يريدنا الله أن نكون أشقياء ؟ كلا . المؤمن مرتبط بالمسيح وفى المسيح هل يمكن أن يكون شقياً ؟ كلا . فى رومية ٨ الروح القدس يفتح أعيننا إلى طريق الانتصار والعتق والتحرر من الخطية الساكنة فينا ، وهو اليقين بوجودنا فى المسيح ووجود الروح القدس فينا ، فهذا الأصحاح يوصلنا إلى القمة ويرينا الصورة الصحيحة للمسيحى الحقيقى . ويمكننا أن نجد فى هذا الأصحاح ثلاثة أقسام (١) حالتنا فى المسيح (ع١ إلى١٣) (٢) شخصية الروح القدس (ع١٤ إلى٢٧) (٣) الله معنا (ع ٢٨ إلى ٣٩)

إذاً لاشىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (ع ١)

الثلاثة الأعداد الأولى من هذا الأصحاح نجد فيها الإجابة على تساؤل الثلاثة الأصحاحات السابقة . ففى العدد الأول نجد الإجابة على أصحاح ٥ ، وفى العدد الثانى الإجابة على أصحاح ٦ ، وفى العدد الثالث الإجابة على أصحاح ٧

فى أصحاح ٥ نجد الإنسان إما فى آدم أو فى . المسيح أما طريق النجاة من

الدينونة فهو أن نكون فى المسيح وذلك لأنه لا شيء من الدينونة على الذين هم فى المسيح . لماذا ؟ لأنهم فى المسيح الذى مات وأكمل العمل وقام من الأموات فأنت مرتبط به وهو الآن جالس عن يمين الله . هل يمكن أن يخطر ببالك أن يكون هناك دينونة على المسيح ؟ حاشا . هكذا لا يمكن أن تكون عليك دينونة لأنك فى المسيح . ولأن المسيح حمل كل الدينونة نيابة عنك . نحن نعلم أن نوحاً كان فى الفلك ونجا من الدينونة لقد انفتحت طاقات السماء من فوق وينابيع الأرض من أسفل ووقعت جميع التيارات واللجج على الفلك ونوح فى داخل الفلك ، وفى النهاية خرج سالماً من داخل الفلك . هل هناك دينونة عليه ؟ لا . لأن كل الدينونة وقعت على الفلك . فضلا عن ذلك فإن الذى فى المسيح هو « خليقة جديدة » (٢ كو ٥ : ١٧) . كما أن الذى « فى المسيح » لا تملك عليه الخطية ، لكن فى آدم « ملكت الخطية فى الموت » أما الآن « فتملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بالمسيح يسوع ربنا » (ص ٥ : ٢١)

بعد ذلك تأتى عبارة « السالكين ليس حسب الجسد » وهذه العبارة مكانها ع ٤ وليس لها وجود فى العدد الأول بحسب النسخ الأصلية ، لأن الذى فى المسيح يسوع ليس عليه دينونة بالمرة بدون قيد أو شرط ، وفى ذلك استبعاد لاستحقاق الإنسان بالكلية . أما مكان السلوك حسب الروح وليس حسب الجسد فيأتى بعد نوال الخلاص وانتفاء الدينونة .

لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت (ع ٢)

ناموس الروح القدس هو ناموس الحياة فى المسيح يسوع أى أننا نلنا حياة فى المسيح ونلنا عطية الروح القدس ، والروح القدس هو ناموس الحياة التى فى المسيح يسوع وهو قوة هذه الحياة وبه يسير المؤمن بحسب

مبدأ الحياة التى فى المسيح يسوع .

يوجد فى الأصحاحين السابع والثامن أربعة نواميس :

١ ــ ناموس الله أى الوصايا العشر

٢ ــ ناموس الخطية والموت الكائن فى أعضائى أى سيادة الطبيعة الفاسدة

٣ ــ ناموس ذهنى أى إرادة الطبيعة الجديدة .

٤ ــ ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع أى ناموس الروح القدس الذى هو قوة الحياة التى فى المسيح يسوع وهذا الناموس «قد أعتقنى» ولا يقول أعتقنا ، أى ليس كل الذين فى المسيح يسوع قد نالوا اختبار العتق مع أنه اختبار يجب أن يتمتع به كل مؤمن . فى ص ٧ نجد مؤمناً يصارع الأمواج لكن هنا مؤمن اعتمد على قوة الروح القدس وعرف الروح القدس كقانون وقوه الحياة التى فى المسيح يسوع فنال العتق والتحرير . نقرأ فى أصحاح ٦ من نفس الرسالة «إذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر» (رو ٦ : ١٨) «وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية» (رو ٦ : ٢٢)

ما هى الطريقة التنفيذية التى بها اعتقنا من الخطية ؟ نجد الإجابة على هذا السؤال فى (رو ٨ : ٢) «ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت» هذه هى الإجابة على ما ورد فى الأصحاح السادس . المؤمن الذى كان يشعر بأنه مسبي ومستعبد للخطية أصبح محرراً أو معتقاً من الخطية «من ناموس الخطية والموت» . بعض المفسرين شبهوا هذا بنفخة الرب الإله فى آدم بنسمة حياة فأصبح آدم نفساً حية ، لقد كوّن الله جسد آدم أولا تراباً من الأرض وبعد ذلك نفخ فيه نسمة حياة ، فتحرك الجسم واستطاع أن يمارس نشاطه . وهكذا المؤمن أخذ الطبيعة الجديدة فى المسيح يسوع وأخذ الروح القدس ــ روح الله أو نسمة الله لكى يمارس طاقات الحياة الجديدة التى أخذها فى المسيح يسوع . فى أصحاح ٧ كانت الطبيعة

الجديدة موجودة ولكن بدون قوة[1] .

وليس معنى « أعتقنى » إبادة الطبيعة الفاسدة التى فىَّ ، أو أن الروح القدس أحرق ناموس الخطية والموت . كلا . إنما الروح القدس حررنى منها وهذا يفيد أنها موجودة فىَّ ولكنها لا تملك فىَّ ولا تسود علىَّ بل أنفذ عليها حكم الموت .

لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد . فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد (ع ٣)

رأينا فى الأصحاح السابع أن الناموس قد عجز عن الانتاج لله أو الإثمار لله فينا . وما هو سبب عجز الناموس؟ « فيما كان ضعيفاً بالجسد » وذلك لأن الناموس يتعامل مع الجسد . صانع ماهر جداً أعطيته كتلة من الخشب تالفة وقلت له اعمل منها قطعة جميلة من الأثاث ، يعجز . لماذا يعجز ؟ هل لأنه غير ماهر ؟ كلا ، وإنما يعجز بسبب فساد قطعة الخشب . لا تصارع مع الخطية . لا تبقَ فى اختبار رومية ٧ .شبه أحدهم مصارعة الإنسان مع الجسد بنفسه بما يلى : فى سفر العدد ٢٠ : ١٤ — ٢١ وتث ٢ : ٤ — ٦ يخبرنا الوحى أن بنى إسرائيل قبل وصولهم إلى الأردن عبروا بأرض أدوم . وأدوم هو ابن عيسو وعيسو هو رمز الجسد ، ووقف أدوم فى طريقهم حتى لا يعبروا فقال الرب لهم : لا تحاربوا ولا تصارعوا معه . لا تصارع مع الجسد . إن كنت تريد أن تقف أمامه وتحاجه : هل تمر أو لا تمر ، فإنك تنهزم ولكن الله حل المشكلة لأنه هو الله القدير الذى يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر « غير المستطاع

(١) كان الروح القدس ساكناً فى ذلك المؤمن فى حالة الاختبار المحزن الذى اجتاز فيه فى الأصحاح السابع ولكنه كان يجهل سكنى الروح القدس وكان يجاهد بنفسه كما يحدث مع كثيرين من المؤمنين الذين يضعون أنفسهم تحت الناموس .

عند الناس مستطاع لدى الله ، بأى طريقة حل المشكلة ؟ بطريقة تمس القلب « إذ أرسل ابنه » ياللعجب الا يوجد حل غير ذلك . لو كان الله وجد حلا خلاف ذلك هل كان أرسل ابنه ؟ لكن الله عرف أنه لا شىء يستطيع أن يحررنى إلا موت المسيح على الصليب ولا شىء يستطيع أن يحررنى إلا موت المسيح الذى به قد دان الخطية التى فى الجسد . لقد «أرسل الله ابنه» . «فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١ يو ٤ : ١٠ و١١) «أرسل الله الإبن لا لكى يدين العالم بل ليخلص به العالم» ولكى يدين به الخطية . والخطية بالمفرد هى الطبيعة الساقطة . الخطية التى فينا يدينها فى جسد المسيح . فنجد فى عمل الصليب وجهين : الأول أن المسيح مات لأجلنا واحتمل قصاص خطايانا . والثانى أن الله قد دان الخطية فى جسده على الصليب . هذا هو حل المحبة الإلهية العظيمة .

وفى عبارة شبه جسد الخطية يحرص الله على أن نفهم أن الجسد الذى اتخذه المسيح هو جسد حقيقى به يشترك معنا فى اللحم والدم ويشبهنا فى كل شىء ماخلا الخطية . فقد قال الملاك للعذراء مريم «الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » فإبن الله قد جاء فى الجسد « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٧) فكان جسده مثل جسدنا ولكن فى جسدنا يسكن مبدأ الخطية وأما المسيح فخال من الخطية « الذى لم يعرف خطية » ولم يفعل خطية « وليس فيه خطية» ولذلك يقال هنا عن جسد المسيح «شبه جسد الخطية» . ونستطيع أن نجد تشبيهاً لذلك فى الحية النحاسية . قال الرب لموسى اصنع لك حية من نحاس شكل الحية تماماً ولكن خالية من السم ، والرب يسوع يقول « كما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان» (يو ٣ : ١٤) . لقد تقابل الله مع الطبيعة الفاسدة التى فينا فماذا يعمل بها ؟ لابد أن يدينها « دان الخطية » فى جسد المسيح .

ومع أنه القدوس الذى لم يكن فيه خطية لكن الله جعله ذبيحة خطية لأجلنا ، وفى جسده الطاهر دان الخطية التى فى جسدى أنا . هذان هما الغرضان اللذان من أجلهما أرسل الله ابنه : (١) لكى يكون ذبيحة عن الخطايا (عب ١٠ : ١٢) (٢) لكى يدين الخطية . فالخطية (الطبيعة الفاسدة) قد دينت وأنا مت أيضاً « لأنكم متم عن الخطية بجسد المسيح ، ومتم للناموس بجسد المسيح فالله لا يديننى لأجل الخطية التى فىّ لأن الخطية قد دينت فى جسد المسيح ولا شىء من الدينونة علىّ . وخطاياى احتملها المسيح وما علىّ إلا أن أسير بقوة الروح القدس . وقد أعطانى الله كل الإمكانيات الإلهية « ناموس روح الحياة » وبالروح أميت أعمال الجسد . فما كنت أريد أن أتخلص منه قد فعله الله . والنتيجة :

لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (ع ٤)

« حكم الناموس » أى مطاليب الناموس التى لم نكن نقدر أن نتممها ولكن الآن يمكن أن نتممها . بأى طريقة ؟ « فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » عندما نسلك حسب الروح وليس حسب الجسد يتم فينا حكم الناموس .

هل معنى أننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة أننا لا نتمم وصايا الناموس ؟ كلا . نتممها ولكن ونحن لسنا تحت الناموس . نتممها لا بطريقة ناموسية ولا كوصايا وأحكام بل بلذة وفرح أى أننا نتمم الناموس بطريقة غير مباشرة ، أنا مت للناموس وطلقت منه ولا أنظر إليه ولكن وأنا ناظر للمسيح أجد نفسى تلقائياً أتمم الناموس وجميع مطاليبه بل وأكثر من مطاليبه لأن الروح القدس يوجه قلبى إلى المسيح الذى هو قانون سلوكى وهو يسمو على القانون الناموسى بما لا يقاس . فمثلا كان الناموس يطلب منى المحبة

لله وللقريب ، وقد ظهر عجزى فى ذلك وأنا تحته بسبب ضعف الجسد . فالآن محبتى لله وللقريب تصدر من حياة جديدة وتقاس على قياس جديد أعلى من الناموس ، لأنه ليس الناموس قاعدة لسلوكى . يتم فىَّ حكم الناموس وأنا سالك ليس حسب الجسد بل حسب الروح .

يقول الرسول يوحنا « ووصاياه ليست ثقيلة » الناموس ثقيل . لماذا ؟ لأن الجسد ضعيف وعاجز ولكن من أخذ الحياة الجديدة أصبحت وصايا الله ليست ثقيلة عليه .

« نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » معنى هذا أن الجسد موجود ولكننى لا أسلك بحسبه . وعندما أسلك حسب الروح يتم فىَّ حكم الناموس وفى الوقت نفسه أتمتع بالسلام والشركة مع الله.

فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح (ع ٥)

هناك فريقان لا ثالث لهما : الفريق الأول « الذين هم حسب الجسد » والفريق الثانى « الذين هم حسب الروح » . الذين حسب الجسد هم أناس فى الجسد ، رغائبهم رغائب الجسد أهواؤهم أهواء الجسد ، يريدون أن يتمموا إرادة الجسد .

كلمة الجسد لها معنيان : الأول الجسد المادى الذى فيه مبدأ الخطية ، والثانى مبدأ الخطية الموجود فى الجسد . المادى كما يقول الرسول . « لا تطيعوها فى شهواته » أى شهوات الجسد وبهذه المناسبة نقول إن هذا الجسد المادى ليس خطية وهو ليس عدواً لنا ، يظن بعض الناس أن الغرض من الصوم هو أن نذلل الجسد لكن الحقيقة نحن نصوم ولكن ليس لنذلل الجسد لأن « قهر الجسد ليس بقيمة ما » (كو ٢ : ٢٣) لأنه مع قهره وإذلاله لا تزال

الشهوات عاملة فيه . إن جسدنا المادى يسكن فيه مبدآن . ربما نستغرب ونتساءل هل يمكن أن يسكن الروح القدس فى المؤمن بينما لا تزال فيه الطبيعة الساقطة ؟ نعم يمكن أن يسكن ، فهو يسكن ولكن ليس هناك اتفاق « أى اتفاق للمسيح مع بليعال » « فالروح ضد الجسد » وبالروح نميت أعمال الجسد . هذا الجسد المادى يمكن أن يكون إناء للرب كما يقول الرسول « ولكن الجسد ... للرب » وأيضاً « ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح » (١ كو ٦ : ١٣ ، ١٥) وأيضاً « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله » (١ كو ٦ : ١٩) .

أما « الجسد » بمعنى المبدأ الفاسد ، فساكن فى الجسد المادى وهو الذى يفعل الخطايا « افعل ذلك لا انا بل الخطية الساكنة فىّ » ، وهو مقضى عليه بالموت . فهو موجود ولكنه لا يسود علىّ بل أنا أسود عليه بالروح الساكن فىّ .

هذا هو الفرق بين الجسد المادى الذى يقول عنه الرسول « لا يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه » لماذا ؟ لكى يخدم به الله لأنه إناء نافع لخدمة الله . أما قول الرسول « أقمع جسدى وأستعبده » فيقصد به استعباد المبدأ الشرير الساكن فى جسدى ، فليس علىّ أن أقمع الجسد المادى أبداً لكن اقمع الشهوة التى تشبه فى (مز ٣٢) بالفرس أو البغل الذى يحتاج إلى اللجام أو الزمام ، وهذا هو معنى القمع فأنا ليس مطلوباً منى أن أميت الجسد ، بل أميت أعماله وذلك بالروح ، وباستمرار .

لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام (ع ٦)

فى العدد السابق يأتى الرسول بمبدأ عام وهو أن « الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون » ، وعجيب أن نعرف أن من ضمن أعمال الجسد التدين ،

فالإنسان الطبيعي يصوم ويصلي لكي يفتخر مثل الفريسي . هذا هو تدين الجسد وليس تديناً حقيقياً ، فاهتمام الجسد موت سواء كان شراً أو تديناً أيضاً . تدين الجسد موت لأن الفريسي نزل إلى بيته غير مبرر ، لكن اهتمام الروح هو حياة (حياة روحية) وسلام أي أننا عندما نسلك حسب الروح يكون لنا سلام في القلب وفرح في الشركة مع الله . ونستطيع أن نرى الفارق بين اهتمام الجسد واهتمام الروح في المقارنة بين سفري الجامعة ونشيد الأنشاد ففي الأول نرى اهتمام الجسد ونتيجته « الكل باطل وقبض الريح » وفي الثاني نرى اهتمام الروح ونتيجته « أنا لحبيبي وحبيبي لي » ، « ادخلني بيت الخمر وعلمه فوقي محبة » .

لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع (ع ٧)

إن اهتمام الجسد ليس هو فقط موت بل هو عداوة لله . كذلك محبة العالم عداوة لله « إن أراد أحد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » ، أي شخصاً عاصياً متمرداً يشهر العداء . لله إرادة وللجسد إرادة ، وإرادة الجسد ضد إرادة الله ، فالجسد يشهر راية العصيان ضد الله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله ، وهذه هي المشكلة التي نجدها في رومية ٧ . فنجد أن المؤمن يريد أن يخضع الجسد لناموس الله ولكن ذلك مستحيل لأن الجسد ليس خاضعاً لناموس الله ، ولا يستطيع ذلك كما أنه لا يستطيع أن يرضي الله .

فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له (ع ٨ ، ٩)

الذين هم في الجسد هم غير مؤمنين وليس فيهم الروح القدس ، أما المؤمنون

الذين قبلوا المسيح مخلصاً لهم وعرفوا مركزهم ، فليسوا فى الجسد بل فى الروح لأن روح الله ساكن فيهم . وهذه الجملة خاصة بالعهد الجديد مباشرة لأن مؤمنى العهد القديم كانوا مولودين من الله ولكن روح الله لم يكن ساكناً فيهم ولهذا لم يعرفوا التحرير والعتق من الخطية لأن هذا هو امتياز المؤمنين فى العهد الجديد . مؤمنو العهد القديم هم فى رومية ٧ ولكن متى جاء روح الله ليسكن فى المؤمنين ؟ فى يوم الخمسين لأنه قبل ذلك « لم يكن الروح القدس قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد» (يو ٧ : ٣٩) المؤمنون فى الروح والروح فيهم . يا له من اتحاد عجيب بين المؤمن والله الروح القدس . أنا فى الروح والروح فىّ .

« ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » .

فى العبارة السابقة يقول إن كان « روح الله » ، وهنا يقول « روح المسيح » إذن المسيح هو الله . ثم يقول إن كان روح الذى أقام المسيح من الأموات أى الآب ، إذن روح الآب هو روح المسيح هو روح الله . وفى العبارة الأولى يقول روح الله بالمقابلة مع الجسد . وفى العبارة الثانية يذكر « روح المسيح » لأن المسيح فى حياته الأرضية كان سالكاً بالروح . فالروح الذى أخذته لأسلك به وأحيا به حياة القداسة والنقاوة هو روح المسيح الذى به عاش حياة الكمال كل أيام حياته على الأرض وكان مرضياً لله فى كل شىء إذاً أنا أستطيع أن أحيا بحسب الروح وبحسب المسيح .

« إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » أى أن هذا الشخص ليس للمسيح . مثال ذلك : إذا كان ختمى على هذا الكتاب فهو لى . فالذى له روح المسيح فذلك الإنسان يكون للمسيح « يعلم الرب الذين هم له » لأنهم مختومون بالروح . وهناك فرق بين ختمى أنا بالروح القدس وختم المسيح بالروح القدس . هل خُتِمَ المسيح بالروح ؟ نعم . لأنه عندما تكلم عن خبز الحياة قال « هذا الله الآب قد ختمه » . وعندما اعتمد المسيح من يوحنا نزل

الروح القدس فى شكل حمامة واستقر عليه . ويقول الرسول بطرس « كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذى جال يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) . فالمسيح خُتم بالروح القدس ومُسح بالروح القدس لكماله الشخصى لأن الآب قال عنه « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » لأنه هو وحده المستحق لأنه ابن الله الوحيد . أما أنا فقد سكن فىّ الروح القدس لأنى تطهرت بدم المسيح ، وهذا نراه مشاراً إليه بطريقة عجيبة فى مسحة هرون وبنيه فى العهد القديم

مسح هرون بزيت المسحة ، وبنوه مسحوا بزيت المسحة ولكن هل هذا مثل ذاك ؟ كلا . قال الله لموسى « تأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأس هرون وتمسحه » (خر ٢٩ : ٧) وذلك قبل تقديم الذبيحة ، أما عن أولاد هرون فكان يوضع عليهم دهن المسحة بعد وضع الدم عليهم . فالمسيح مسح بالروح القدس قبل سفك دمه لأنه مسح لكماله الشخصى . أما المؤمنون فقد ختموا بالروح القدس على أساس تطهيرهم بدم المسيح . وإذا كان ختم المسيح شخصياً بالروح القدس يشير إلى كماله الشخصى حيث لا يحتاج إلى عمل الكفارة فنرى فى ختم المؤمنين بالروح القدس شهادة على كمال عمل المسيح الكفارى لأجل المؤمنين به الذين صاروا بهذا العمل أهلا لسكنى الروح القدس فيهم ومفهوم لنا أن ختم الروح القدس يأتى فوق الدم . إذن الذى لم يغتسل بالدم لا يمكن أن يختم بالروح القدس .

ويرمز إلى الرب يسوع فى العهد القديم أيضاً بتقدمة الدقيق . كيف كانت تعمل تقدمة الدقيق ؟ كانت ملتوتة بالزيت أى متشبعة به ثم بعد ذلك تعمل أقراصاً وتدهن بالزيت فتكون ملتوتة بالزيت ومدهونة بالزيت ، وهذا يشير إلى أن المسيح حبل به بالروح القدس ، هذا معنى الملتوت بالزيت ثم مسح بالروح القدس عند المعمودية وهذا معنى المدهون بالزيت .

وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر (ع ١٠)

«إن كان المسيح فيكم» هذه حقيقة عجيبة نتأملها ونشكر ونفرح. فى الأول يقول « إن كان أحد ليس له روح المسيح » وهنا ليس « روح المسيح » فقط ساكناً فيكم بل إن كان المسيح فيكم . المسيح بنفسه فينا !

عندما يأتى روح المسيح فىَّ يأتى المسيح نفسه لأن الروح يشهد للمسيح ويأخذ مما له ويخبرنى . الروح القدس يملأنى بالمسيح فما دام الروح فىَّ إذن المسيح فىَّ. نقرأ فى أفسس ٣ «أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه (أى الروح القدس) فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » فعندما نتأيد بقوة الروح القدس فى الإنسان الباطن يحل المسيح بالإيمان فى قلوبنا . وفى غلاطية نقرأ « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ» . « إن كان المسيح فيكم » فى الأول يقول « لاشيء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » وهنا المسيح فيكم فنحن فى المسيح والمسيح فينا . نحن فى الروح والروح فينا . يا للعجب على المقام السامى الذى صار لنا نحن المؤمنين ! وما دام المسيح فىَّ وأمتلىء بشخصه بقوة الروح القدس يكون الجسد فى حالة الموت من جهة الخطية « وأما الروح فحياة بسبب البر » . « إن كان المسيح فىَّ » فالجسد يكف عن العمل باعتباره ميتاً . وأما الشخص الجسدى فهو غير ممتلىء بالمسيح وغير شبعان به .

« أما الروح فحياة بسبب البر » أى أن يكون كل النشاط للروح فى إنتاج البر . نقرأ آيتين من إنجيل يوحنا :

الأولى فى ص ١٤ : ٢٠ « أنا فى أبى وأنتم فىَّ وأنا فيكم » أنتم فىَّ

أمام الله ، وأنا فيكم أمام الناس لذلك فالناس يرون المسيح فينا . لقد دعى التلاميذ مسيحيين (أع ١١ : ٢٦) أى أن المسيح فيهم .

الثانية فى يو ١٧ : ٢١ ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا . وإذا جمعنا الآيتين معاً نخرج بهذه النتيجة أنتم فىَّ وأنا فيكم والآب فىَّ وأنا فيه والمؤمنون واحد فى الآب وفى الإبن .

أين يظهر الإنسان بمجهوداته الضعيفة التافهة إزاء هذا المقام السامى . نحن فى الآب والإبن والروح القدس ، نحن فى المسيح والمسيح فينا ، نحن فى الروح والروح فينا . نحن فى الإبن وفى الآب . ويقول الرسول « لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » (أف ٣ : ١٩) الرب يعيننا حتى نستقدر هذا فى حياتنا هذا هو طريق النصرة . لا تفكر يا أخى فى الذات لكن فكر فى المسيح وامتلىء به بقوة الروح القدس ، فبكل سهولة تميت أعمال الجسد وتثمر لله وتتمتع بالفرح - ويقول الرب يسوع « إليه نأتى (الآب والإبن) وعنده نصنع منزلاً »

وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم (ع ١١)

قال الرسول قبل ذلك « إن كان أحد ليس له روح المسيح » وعرفنا أن روح المسيح أى الروح الذى كان المسيح كإنسان عائشاً به على الأرض هو فينا لكى يجعلنا نعيش حياة مماثلة للحياة التى عاشها المسيح على الأرض . ثم نقرأ « روح الذى أقام يسوع » من هو الذى أقام المسيح من الأموات ؟ هو الله الآب . إذن يدعى الروح القدس هنا روح الآب وروح المسيح وروح الله كما سبق أن رأينا .

« فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة بروحه الساكن

فيكم » . الأجساد المائتة هى الأجساد المادية التى هى فى طريقها إلى الموت . فى (١ كو ١٥ : ٥٣) نقرأ « لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المائت يلبس عدم موت » الجسد الفاسد هو جسد الذين رقدوا لكن الجسد المائت هو جسد الأحياء الآن على الأرض . الفاسد يقوم ويلبس عدم فساد ، أما المائت أى الذى لم يمت فعلا ولكن عوامل لموات تعمل فيه ، فيلبس عدم موت . وهنا فى (رو ٨) ليس الكلام عن القيامة بالضبط ولو أن القيامة أيضاً بروح المسيح ولكن الكلام هنا على أن الروح القدس هو عربون القيامة وفداء الجسد . يقول الرسول إن الروح القدس الذى فينا الآن والذى أقامنا قيامة روحية هو أيضاً عربون لفداء أجسادنا .

« سيحيي أجسادكم المائتة » أى أن الذين يبقون أحياء إلى مجيء الرب سيلبسون مسكنهم الجديد الذى من السماء فوق أجسادهم المائتة وبذلك « يبتلع المائت من الحياة » (٢ كو ٥ : ٤) أى أن الحياة الأبدية تبلع الموت الموجود فى هذا الجسد المائت فيلبس عدم موت .

« بروحه الساكن فيكم » الروح القدس ساكن فى المؤمنين الآن كعربون . فإن متنا فهو عربون لقيامتنا لأن المسيح باكورة والذين للمسيح سيقومون فى مجيئه ، وإن بقينا أحياء فالروح الساكن فينا هو عربون « لفداء أجسادنا » (أف ٤ : ٣٠) أى لتغييرها « ونحن نتغير » (١ كو ١٥ : ٥٢) .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى الجواب الكامل للسؤال الموجود فى أصحاح ٧ « من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ » رأينا الإنقاذ الأدبى الروحى لنا الآن وهو أننا بالروح نميت أعمال الجسد أى لا يتسلط علينا ولا يسود علينا ولكن الإنقاذ النهائى عند مجيء المسيح ، فإذا كنا أمواتاً يقيمنا .

والروح عربون ولو ازرع فى اللحد

وإذا بقينا أحياء فالروح الساكن فينا الآن يعمل على تغيير أجسادنا وإحيائها حتى تلبس عدم موت .

فإذاً أيها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون (ع ١٢ ، ١٣)

يخرج الرسول من الأقوال السابقة بهذه النتيجة : إننا نحن المؤمنون مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد . لأن العيشة حسب الجسد نتيجتها الموت الأبدى . هذا مبدأ عام للجميع كما نقول مثلا . هذا الطريق يوصل إلى مكان معين فكل من يسير فيه يصل . إذن هى حقيقة ثابتة « إن عشتم حسب الجسد » أى إن كان مبدأ حياتنا هو العيشة حسب الجسد فالنتيجة موت[1] كما سبق أن أثبت الرسول مبدأ مماثلا فى الأعداد من ٥ — ٧ حيث يقول : « فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون » والنتيجة « اهتمام الجسد هو موت » وأيضاً « اهتمام الجسد هو عداوة لله » هذه مبادىء عامة لا يدخل فيها إمكانية سقطة المؤمن أو زلته لأن هذه لها علاجها الإلهى ولكن المقصود هو العيشة المستمرة ، والمؤمن الساكن فيه الروح القدس ليعطيه الحرية والقوة للغلبة على الخطية ليس مديوناً للجسد ليعيش بحسبه بل بالعكس هو مديون للروح القدس الذى به يغلب وينتصر . وهذه المديونية ليست عبودية كعبودية الجسد بل هى مديونية سعيدة .

« ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » هذا هو مبدأ حياة المؤمن أو طريقه الذى ينتهى به إلى الحياة الأبدية . صحيح أن الجسد فى المؤمن ولكن المؤمن ليس فى الجسد بل فى الروح . والجسد فيه مقضى عليه

---

(١) يوجد فرق بين زلة المؤمن التى يترتب عليها حزنه واعترافه بها وعدم إمكانية البقاء فيها أو السكوت عليها (راجع مز ٣٢ : ٣ — ٥ حيث يعترف بهذه الزلة وتعاد شركته مرة أخرى) وبين غير المؤمن الذى يعيش باستمرار فى الخطية ونهايته الموت الأبدى

فى صليب المسيح . وما على المؤمن إلا أن ينفذ حكم الموت على أعماله باستمرار وذلك بقوة الروح القدس « بالروح تميتون أعمال الجسد » . قبل الإيمان كان الجسد هو كل شيء فىَّ ، أنا هو الجسد والجسد هو أنا . ولكن بعد الإيمان وسكنى الروح القدس فىَّ أصبح الجسد غريباً فىَّ سجيناً مقضياً عليه بالموت ، وعندى قوة الروح القدس لتنفيذ هذا الحكم عليه حتى لا يظهر أى ثمر من ثماره . فى كو ٣ : ٥ يقول الرسول « فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض » أى الشهوات التى تعمل فى الأعضاء ولكن كيف أميتها ؟ الجواب هنا « بالروح تميتون أعمال الجسد » أى ليس بالمجهود الشخصى وإلا كانت النتيجة الفشل ولكن « الروح ضد الجسد » (غلا ٥ : ١٧) ولذلك يقول الرسول « اسلكوا بالروح » فتكون النتيجة أنكم لا تكملون « شهوة الجسد » (غلا ٥ : ١٦) .

لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله (ع ١٤)

هنا الكلام عن الروح القدس ليس كقوة بها نحيا وننتصر بل نرى شخصية أقنوم الروح القدس ، أحياناً نحن نطبق هذا العدد على الانقياد بالروح القدس فى العبادة فقط . ولكن المقصود هنا هو أن أبناء الله يسلمون قيادتهم لروح الله ويكون الروح القدس هو قائدهم فى كل شيء وهو ماسك زمام حياتهم كلها ليقودهم فى الحياة والتصرف والعبادة وكل شيء آخر . الذين ينقادون بروح الله أى بصفة عامة فأولئك هم أبناء الله . نلاحظ فى ع ١٤ القول أبناء الله وفى ع ١٦ أولاد الله وهناك فرق بين التعبيرين فالإبن هو البالغ أى المدرك الذى عرف مركزه ومقامه .الولد الصغير وارث أيضاً مثل الإبن تماماً ولكنه لا يعرف مقامه .

إذ لم تأخذوا روح العبودية للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب (ع ١٥)

أبناء الله هم الذين أخذوا « روح التبنى » وهذا بالمقابلة مع روح العبودية الذى كان ينشىء الخوف . وروح العبودية هذا هو الوجود تحت الناموس .

فى الأصحاح السابع نجد شخصاً مؤمناً ومن أولاد الله لكنه فى روح العبودية لأنه لا يعرف مقامه . هل هناك خوف على المؤمن ؟ كلا . لماذا نخاف ؟ « لا شىء من الدينونة علينا » ولا خوف من الطبيعة التى فينا لأننا بالروح نميت أعمال الجسد . لكن تحت الناموس يوجد خوف . عندما أعطى الله الناموس لموسى كان المنظر مخيفاً حتى أن موسى نفسه قال « أنا مرتعب ومرتعد » كان جبل سيناء يدخن وإن مست الجبل بهيمة كانت ترجم . وأيضاً قدس الأقداس فى الخيمة لم يكن أحد يدخله إلا رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة وذلك بالدم وإن تجاسر على الدخول بغير ذلك يموت. فكان هناك خوف لأن محضر الله محجوب ولكن بعد أن انشق الحجاب وصار لنا روح التبنى أصبح لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس وصار لنا سلام مع الله . فروح التبنى يجعلنا ندرك مركزنا كأبناء وهوالذى به نصرخ ياأباالآب. الروح القدس كتب الكلمة كما هى يا أبا ثم فسرها أى الآب . لماذا وضعها كما هى ؟ لأنها كلمة غالية وهى الكلمة الكلدانية التى كان يستعملها الرب يسوع فى حياته على الأرض، فهناك فى البستان يقول يا أبتاه أى يا أبا .

هنا يقول الرسول روح التبنى وفى غلاطية ٤ : ٦ يقول روح ابنه أى روح الإبن نفسه أخذناه نحن ،فكما كان الإبن يقول « أبا » نحن أيضاً نقول « أبا » أى « الآب » .

نرجع الآن إلى غلاطية ٤ لنفهم الفرق بين الإبن والولد . ونفس هذه العبارة « يا أبا الآب » نجدها فى غلا ٤ : ٦ . « وإنما أقول مادام الوارث

قاصراً (ابن وارث ولكنه قاصر) لا يفرق شيئاً عن العبد » فهو إذن عنده روح العبودية وتحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه، هكذا نحن أيضاً لما كنا قاصرين (عندما كنا تحت الناموس) كنا مستعبدين تحت أركان العالم » ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » .

لقد مات المسيح ليخرجنا من دائرة العبودية وننال التبنى أى نصبح أبناء مدركين « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه (الذى به كان يخاطب الآب) إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب . إذن لست بعد عبداً بل ابناً (صاحب مقام) . وإن كنت إبناً فوارث لله بالمسيح » . أى لنا جراءة وقدوم عن يقين ، عن ثقة. هل لنا هذا اليقين ياأحبائى ؟ ألا يوجد مؤمنون غير مدركين مركزهم ؟ كثيرون من المسيحيين لا يجرؤون أن يقولوا يا أبانا مباشرة بل : اللهم اجعلنا مستحقين أن نقول يا أبانا . هذه روح العبودية . هل أستطيع أن أخاطب الله كالآب بناء على استحقاق فىّ ؟ كلا . ولكن عندما أخاطبه بناء على المقام الذى أعطاه لى وأدركه ، هل هذه جراءة أكثر من اللازم ؟ كلا . إننا نتقدم بثقة ونصرخ يا أبا الآب .

الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله (ع ١٦)

الروح القدس نفسه يعطينا هذا اليقين شاهداً فى داخلنا أننا أولاد الله ونفس سكنى الروح فينا هى شهادة على أننا أولاد الله[1] لأنه لو لم نكن أولاد الله لما أعطانا الله روحه فينا .

---

(١) نلاحظ هنا أن الروح القدس يشهد « لأرواحنا » أننا أولاد الله وذلك لأن أرواحنا الآن قد تمتعت بالفداء حتى أنه عندما يرقد المؤمن روحه تنطلق لتكون مع المسيح، أما جسده فيرى فساداً ولكنه يتوقع قيامة المؤمنين حيث ينال التبنى فداء جسده . وعندئذ نكون أولاد الله بأرواحنا وأجسادنا .

فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه (ع ١٧)

الوراثة أساسها الولادة . إن كان هناك عبد أمين نشيط مجد ومجتهد ويخدم سيده كل أيام حياته هل يرث ؟ غير ممكن . إذن الرجل الذى سأل المسيح : ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبدية كان كلامه خطأ لأنه لا يوجد أحد يرث على أساس العمل ، ولكن مادام ابناً فهو وارث « ان كنت ابناً فوارث » ورثة الله ووارثون مع المسيح . لماذا ؟ لأننا متحدون بالمسيح فميراث المسيح لنا . أصبحنا شركاء ميراث القديسين فى النور ، وما هو مدى ميراث المسيح ؟ « الذى جعله وارثاً لكل شىء » (عب ١ : ٢) . المسيح كابن الإنسان جعله الله وارثاً لكل شىء ونحن وارثون معه لأننا أولاد الله والمسيح لايستحى أن يدعونا إخوة . . وما أغنى وأمجد هذا الميراث ! ولذلك يصلى الرسول لكى تستنير عيون أذهان المؤمنين ليعلموا ما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين (أف ١ : ١٧) . وفى كو ١ : ١٢ يصفه الرسول بأنه « ميراث القديسين فى النور » ويصفه الرسول بطرس بأنه « ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلنا » (١ بط ١ : ٤)

« إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه » توجد بعض أشياء كنا نفهمها فهماً غير دقيق فيجب أن نفهمها صحيحة . « نتألم معه » هناك أنواع كثيرة من الآلام . هناك آلام لأجل المسيح « إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم » وهناك آلام لأجل البر أى فى طريق عمل البر وعمل الخير ، وكذلك آلام مع المسيح أى شركة فى آلام المسيح .

ما هى الآلام المشار إليها هنا ؟ آلام المسيح كإنسان كامل جاز فى مشهد الخطية والحزن والمرض والموت . وهذا الكلام متصل مع ما جاء بعده ومنسجم معه تماماً ، وهو الكلام عن الخليقة وأنينها . لما جاء الرب يسوع

إلى هذا العالم كانت له آلام لأن الشيطان هو رئيس هذا العالم ، وقد فعلت الخطية فعلها فيه ، فلم يكن ممكناً إلا أن يكون متألماً « رجل أوجاع ومختبر الحزن » . ونحن لنا عواطف المسيح وشعوره . نتألم مع المسيح بالنسبة لما فعلته الخطية فى هذه الخليقة . فى إنجيل مرقس جاء للمسيح شخص أصم وأعقد لايسمع ولا يتكلم فيقول الكتاب أن المسيح أن متأسفاً على الإنسان الذى خلقه وجعل له أذناً للسمع «من له أذن للسمع فليسمع » وجعل له لساناً لكى يسبح الله به ، ولكن هكذا فعلت الخطية بالإنسان . ومرات كثيرة يقول الكتاب إن المسيح « تنهد بالروح » (مر ٨:١٢) . وهناك على قبر لعازر انزعج بالروح واضطرب ثم « بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٣ ، ٣٥) . ونحن نتألم أيضاً بهذه الآلام ونحن عابرون فى وادى البكاء — آلام مع المسيح ، وهذه الآلام ليست التى تصادفنا فى الحياة كالتجارب والضيقات . هذه الآلام لها مكانها ، ولكن هنا « نتألم معه » كما كان إنساناً كاملا متألماً من مشهد الخطية فى العالم هكذا نشاركه فى هذه الآلام ، لكى نتمجد أيضاً معه . ونلاحظ أن هناك أشياء كثيرة نحن فيها شركاء المسيح . « وارثون معه » « متألمون معه » « ممجدون معه » فنحن شركاؤه فى الميراث والآلام والمجد .

فانى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا (ع ١٨)

يتكلم الرسول هنا عن كل الآلام كيفما كانت وكيفما تنوعت فإنها لا تقاس بالمجد الذى سيستعلن فينا . وفى هذه الرسالة نجد الرسول يحسب كثيراً وحسابه مضبوط تماماً . فى أصحاح ٤ « نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس » وفى أصحاح ٦ « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (ع ١١) ، وهنا يحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا . فى هذا العدد يعمل الرسول مقياساً أما فى رسالة كورنثوس الثانية فإنه يعمل ميزاناً حيث يقول « خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء

لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً ، (٢ كو ٤ : ١٧) كما أنه أيضاً يعمل مقابلة بين قياس الزمان الحاضر ، والأبدية . وبولس خير من يستطيع أن يعمل هذا الحساب لأنه احتمل قسطاً كبيراً من كل أنواع الآلام كما لم يحتمله غيره .

لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله (ع ١٩)

الاستعلان هو الظهور « لأن حياتكم مستترة مع المسيح فى الله متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد ، (كو ٣ : ٣) « من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه ، (١ يو ٣) ولكن سيأتى وقت نستعلن معه فى المجد « إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو ، (١ يو ٣ : ٢) .

الخليقة لها أنين لأنها ارتبطت بالرأس الأول (آدم) وسقطت بسقوطه ولكن سيكون لهـــا نصيب بالعتق فى الإنسان الثانى « فإنه لملائكة لم يخضع (الله) العالم العتيد ، (عب ٢ : ٥) . فهناك عالم عتيد وهو العالم أثناء ملك المسيح بالبر والسلام مدة الألف السنة على الأرض . فى مزمور ٨ يقول داود « من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ، هذا عن الإنسان الأول لكن فى عب ٢ يتكلم الرسول عن الإنسان الثانى الذى سيعتق الخليقة غير العاقلة .

وعبارة « انتظار الخليقة ، كأنها بلسان الحال تنتظر وقت العتق الذى لا يمكن أن يتم إلا عندما يتمجد أولاد الله لأنهم باكورة الخليقة الجديدة فلا يمكن أن يأتى وقت « تجديد ، الخليقة (مت ١٩ : ٢٨) أو « أزمنة رد كل شىء ، (أع ٣ : ٢١) الا بعد أن يستعلن أبناء الله بالمجد مع المسيح .

إذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها . على الرجاء (ع ٢٠)

البُطل هو الفراغ كما يقول سليمان « الكل باطل ، أى فارغ ولا منفعة

فيه . لقد عمل لنفسه جنات وفراديس ولكن هل هذا أشبع قلبه ؟ كلا . لأن كل ما فى العالم باطل .

« ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها » أى ليس بإرادتها بل بسبب رأسها الذى سقط فجلب عليها البطل واللعنة والأنين .

« على الرجاء[1] » لا بد أن يكون الله منتصراً لأنه خلق كل شيء حسناً جداً ، وإذا بالشيطان يشوه الأشياء التى خلقها الله حسنة وكأنه انتصر وفاز بغرضه ، ولكن لا بد أن ينتصر الله فى النهاية . بعض الناس يقولون ما لزوم الملك على الأرض طالما أننا سنذهب للمجد السماوى مباشرة ؟ ولكن لا بد أن الله ينتصر فى الأرض لأن المسيح جاء لينقض أعمال إبليس ، لذلك لابد أن الرب يسوع كالإنسان الثانى يُرجع كل شيء حسناً ، كما يقول الرسول بطرس فى سفر الأعمال « أزمنة رد كل شيء » أى ردها إلى حالتها الأصلية قبل دخول البطل والخطية ، فينتزع من الأرض التعب واللعنة وكل ما جاء بسبب السقوط ، ولكى يتمجد الله فى الأرض التى فيها أهين .

لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله (ع ٢١)

هذا هو رجاء الخليقة غير العاقلة . ومتى يتم ذلك ؟ فى مدة الألف السنة التى أشرنا إليها . ونقرأ فى أش ١١ : ٦ — ٩ وصفاً ملذاً لحالة الخليقة عندما يتم عتقها « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معاً وصبى صغير يسوقها . والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً ويلعب الرضيع

(١) من المؤلم أن يكون الخاطيء المعاند بلا رجاء بينما الخليقة غير العاقلة لها رجاء بالعتق من عبودية البطل والفساد

على سرب الصل ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان . لا يسوؤون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر » .

« إلى حرية مجد أولاد الله » لنلاحظ المقابلة بين الحالتين : ففى الحالة الأولى عبودية وفى الثانية حرية . فى الأولى فساد وفى الثانية مجد .

يردد البعض عبارة « حرية مجد أولاد الله » باعتبارها بركة حصلنا عليها الآن ولكن الحقيقة هى أننا أخذنا الآن حرية النعمة فقط « إن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً » وذلك روحياً ، ولكن هل المجد له الآن حرية فينا ؟ كلا . المجد فى داخلنا « الذى قال أن يشرق نور من ظلمة أشرق فى قلوبنا لأنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢ كو ٤ : ٦) . أما أجسادنا ففى حالة التواضع والضعف والأنين لأنها مرتبطة بالخليقة العتيقة ، ولكن عندما تُفدى هذه الأجساد وتصير على صورة جسد مجد المسيح (فى ٣ : ٢١) حينئذ تتم هذه العبارة ونكون فى « حرية مجد أولاد الله »

فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن (ع ٢٢)

عبارة « كل الخليقة » تشمل المخلوقات غير العاقلة من حيوانات وطيور وجمادات . وكلمة « تتمخض » تشبيه مستعار من المرأة وهى تلد وهو يعنى آلاماً قاسية ولكن على رجاء ، المرأة وهى تلد تحزن ولكن بعد أن تلد تفرح لأنه قد وُلد لها إنسان فى العالم ، فالخليقة تتمخض ولكن على رجاء أن تعتق من عبودية الفساد . ويشير الرسول إلى هذه الحقيقة فى الأصحاح الأول من رسالة كولوسى حيث يبين أن المسيح هو رأس الخليقة الحاضرة لأن « فيه خُلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى ، وما لا يرى . . الكل به وله قد خلق » (ع ١٦) ويبين أيضاً أن الله سر أن يصالح به كل شيء (أى كل

الخليقة) « سواء كان ما على الأرض أو ما فى السموات » وهذا على أساس « دم صليبه » وأن المؤمنين قد نالوا الآن المصالحة فعلا وأما الخليقة فستتمتع بنتائج المصالحة فى المستقبل ، فى الوقت الذى يسميه الرسول « تدبير ملء الأزمنة » الذى فيه يجمع كل شيء فى المسيح مافى السموات وما على الأرض » (أف ١ : ١٠) .

وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا (ع ٢٣)

للروح القدس عمل فى الخليقة نفسها إذ سيجعل كل شيء جديداً فى الحالة الأبدية حيث يقول الجالس على العرش « ها أنا أصنع كل شيء جديداً » (رؤ ٢١ : ٥) ولكن نحن أصبحنا فى حالة جديدة من الآن « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة » « شاء فولدنا بكلمة الحق لنكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٨) والمسيح هو رأس الخليقة الجديدة كما هو مكتوب أنه « بداءة خليقة الله » (الجديدة) (رؤ ٣ : ١٤)

« نئن فى أنفسنا » ما سبب هذا الأنين ؟ سبب الأنين هو الجسد المادى الذى يتعرض للمرض والألم ، ونريد أن نتحرر منه كما يقول الرسول فى (٢ كو ٥ : ٤) « نحن الذين فى الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها » . عندما يرقد المؤمن يرى جسده فساداً كباقى الناس تماماً . فنحن من الداخل خليقة جديدة لكن الجسد ما زال مرتبطاً بالخليقة القديمة ، ولكن لا بد أن ننال « التبنى فداء أجسادنا » ، وهذا على أساس عمل المسيح الكامل على الصليب. نحن الآن أولاد الله بأرواحنا ونتوقع أن نكون أولاد الله بأرواحنا وأجسادنا . الناس لا يعرفون أننا أولاد الله . لماذا ؟ لأن أولاد الله يليق بهم أن يكونوا فى صورة ممجدة . فهم لا يعرفوننا الآن لأنه « لم يُظهر بعد ماذا سنكون ، ولكنهم سيعرفوننا فى المستقبل عندما يظهر

المسيح ونكون مثله « على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢١) حينئذ « يعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى » (يو ١٧ : ٢٣) .

لأننا بالرجاء خلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأنه ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً (ع ٢٤)

المقصود بالخلاص هنا الخلاص النهائى الكامل الذى يتضمن فداء الأجساد ، والخلاص من كل ماهو موجود فى هذا العالم. الرحمة التى يؤتى بها إلينا «عند استعلان يسوع المسيح » ليس كما يفهم بعض الناس أن خلاص نفوسنا هو رجاء أى أنه شىء نرجوه فى المستقبل أى أنناسائرون فى الطريق ولنا عشم فى النهاية أن نحصل على الخلاص . ولكن ليس هذا فكر الله . إن خلاص نفوسنا ليس آخر الطريق بل بدايته « نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس » أى خلاص نفوسكم وليس نفوس الآخرين . « من آمن ... خلص » فالخلاص أول شىء يحصل عليه الإنسان بالإيمان « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان » .

ولكن قول الرسول هنا « بالرجاء خلصنا » يقصد به الخلاص النهائى[1] ونلاحظ أن كلمة رجاء هنا مقترنة بـ ع ٢٠ حيث يقول الرسول إن «الخليقة أخضعت للبطل ... على الرجاء » وهنا يقول إننا « بالرجاء خلصنا » فنحن

(١) على غرار هذا نجد الرسول بولس يتكلم عن « رجاء الحياة الأبدية » (تيطس ١ : ٢ ، ٣ : ٧) ناظراً إلى كامل التمتع ببركات الحياة الأبدية فى المستقبل بينما يتكلم الرسول يوحنا عن الحياة الأبدية كعطية حاضرة ينالها المؤمن فى الحال « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية » (يو ٣ : ٣٦) وأيضاً « من له الإبن فله الحياة » (١يو ٥ : ١٢)

شركاء الخليقة فى رجائها : نحن سنفتدى أجسادنا ، ثم تُعتق الخليقة عند استعلائنا بالمجد .

« ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً » للرجاء صفنان وهما : أنه مستقبل ، وغير منظور. ومع ذلك فهو يقيني لاشك فيه ونحن نمسك به بالإيمان ، لأن الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى . والتمسك بالرجاء يعطى النفس ثباتاً ورسوخاً وتعزية قوية لأن الرجاء الموضوع أمامنا هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة » (عب ٦ : ١٩) ويوصف رجاء المسيحى بأنه « رجاء مبارك » (تى ٢ : ١٣) وأنه « لا يخزى » (رو ٥ : ٥) وأنه « رجاء صالح » (٢ تس ٢ : ١٦) ورجاء حى (١ بط ١ :٣) . إن غير المؤمن لا يستطيع أن يثق إلا بما تراه عيناه . أما المؤمنون فيقول لهم الرسول « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨) .

ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فاننا نتوقعه بالصبر (ع ٢٥)

إن الرجاء الذى نتوقعه وهو فداء أجسادنا ، والخلاص النهائى من كل ما يحيط بنا هنا « لم يظهر بعد » ولكن لا مجال فيه للشك ونحن « نتوقعه بالصبر » والصبر دائماً مقترن بالرجاء « صبر رجائكم » (١ تس ١ : ٣) فالمؤمن إذ يغمره فرح الرجاء يستطيع أن يصبر فى الضيق « فرحين فى الرجاء صابرين فى الضيق » (رو ١٢ : ١٢) والصبر فضيلة ثمينة يحتاج إليها كل مؤمن لاسيما عند اجتيازه فى صعوبات الحياة « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٦) ويُعتبر الصبر من أسمى الفضائل لأنه إذا كان له عمل تام فينا نكون « تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » (يع ١ : ٤)

وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها (ع ٢٦)

يأتي الرسول هنا بعمل آخر من أعمال الروح القدس ، بالإضافة إلى ما تقدم . «الروح أيضاً يعين ضعفاتنا» والضعفات هنا هي الضعفات الجسدية وليست الزلات أو النقائص في الحياة العملية . هي ضعفاتنا بسبب الأجساد التي لم تفتد بعـــد ولذلك نئن ونتألم ولا نعلم كيف نصلي كما ينبغي ولكن الروح القدس يعين ضعفاتنا . الروح نفسه يشفع فينا أي في داخلنا بأنات لا ينطق بها . فالروح ينشيء فينا الصلاة بحسب مشيئة الله . نحن نقدمها «أنات» والروح القدس يقدمها صلاة بحسب مشيئة الله وهو يستجيبها .

سنرى بعد ذلك أن المسيح يشفع فينا عن يمين الله ، يشفع لأجلنا ولكن هنا نجد الروح القدس يشفع فينا أي في داخلنا ، فإذا كنا نحن ضعفاء ولسنا نعلم كيف نصلي نجد أن الروح القدس يشفع فينا بأنات لا ينطق بها وهذه الأنات هي عمله فينا وهي تختلف عن الأنات التي تئن بها الخليقة والتي نحن أيضاً نئن بها في أنفسنا . هذه الأنات هي صلاة لا يُنطق بها ينشئها الروح القدس في داخلنا[1] .

---

(١) يظن البعض أن عمل الروح القدس في الداخل يعبر عن نفسه بحركات وانفعالات جسدية ولكن الواقع أن الانفعالات الجسدية لا تتفق مع عمل الروح القدس العميق في القلب فالسجود بالروح والحق في زمان النعمة الحاضر يختلف عن سجود الشعب الأرضي قديماً الذي كان مقترناً بفرائض جسدية وتعبيرات جسدية كالرقص والعود والمزمار . أما صفة عمل الروح في العهد الجديد فهي صفة الهدوء والعمق وعدم التشويش، فنلاحظ في هذا العدد أن الأنات التي ينشئها الروح القدس عميقة بحيث لا ينطق بها . وكذلك الفرح الذي ينشئه الروح القدس « لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨)

« لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى » نجد مثالا لذلك فى الرسول بولس عندما كان يريد أن يتخلص من الشوكة التى فى جسده فصلى ثلاث مرات أن تفارقه ، ولكن أجابه الرب يسوع بالقول « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » .

ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح . لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين (ع ٢٧)

الله الآب هو الذى يفحص القلوب وهو يعلم ما هو اهتمام الروح . نحن لا نستطيع أن نعبر عن الأشواق التى يوجدها الروح القدس فينا ، ولكن الله فاحص القلوب ماذا يجد فينا ؟ يجد أن الروح ينشىء فينا أشواقاً متوافقة مع مشيئته .

إن المؤمن الذى يسلم قياده للروح القدس تكون طلباته بحسب مشيئة الله ، فالروح القدس يمتلك زمامه بحيث لا تكون له آراء خاصة ولا طلبات خاصة بل ما يطلبه يكون بحسب مشيئة الرب . وعندما يمتلك الروح القدس زمام المؤمن يصبح الروح القدس هو المتكلم فيه الذى بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين ، وهذه حالة سامية جداً يصير فيها المؤمن متوافقاً مع مشيئة الله ، والله يفحص القلب ويعرف اهتمام الروح ويجيب على الطلبات التى ينشئها الروح فى المؤمن بحسب مشيئته .

ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده (ع ٢٨)

« ونحن نعلم » إذن هناك شىء لا نعلمه وشىء نعلمه. « لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى » ولكن ما نعرفه ونعلمه علم اليقين هو أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله .

وعبارة « كل الأشياء » عبارة مطلقة تنصرف إلى كل ماهو فى سلطان الله وهو يسخّر كل شيء بحسب قصده وبحسب رأى مشيئته . هل يوجد شيء يمكن أن يُعمل بدون رأى الله ؟ كلا . فالله هو الذى يسود على كل الأشياء ويجعلها تعمل معاً للخير أى تتضافر مع بعضها لأجل خير المؤمن ولصالح محبيه . ليس كما يقول الناس الكل خير أو عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم بل هنا ما هو أعظم من ذلك أن كل الأشياء مجتمعة تعمل فى اتجاه خير المؤمن . ونجد مثالا لذلك فى حياة يعقوب إذ نرى فى تاريخه أشياء عندما ننظر إليها مفردة لا نجد فيها خيراً . يوسف مفقود ذئب رديء افترسه . شمعون مفقود ، ثم أتوا ليأخذوا بنيامين فقال يعقوب « صار كل هذا علىّ » ولكن كل هذه مجتمعة كانت تعمل معاً للخير . كان لا بد أن يوسف يؤخذ ويُسجن لأنه بدون السجن ما كان يستطيع أن يصل إلى فرعون ، فكل هذه الحلقات وهى فى ظاهرها ليست خيراً كانت تتجمع معاً لتنتج خيراً ليعقوب ويوسف . كل الأشياء حلوها ومرها ، نورها وظلامها ضيقها وفرجها ، كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده .

أحياناً لا نستطيع أن نرى خيراً فى بعض معاملات الله لأننا ننظر نظراً قصيراً إلى الظرف الحالى الذى نحن فيه[1] لكن يا أخى إذا أردت أن تعرف موقف الله تجاهك لا تنظر إلى هذا الظرف الذى لا تفهمه الآن . الرب يقول لك « لست تعلم الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد » فهل تأخذ الأشياء التى لا تفهمها لتحكم بها على أعمال الله ؟ كلا . خذ الشيء الذى

(١) عدم معرفتنا بعض معاملات الله التى يجريها معنا يرجع إلى أننا أحياناً كثيرة ننظر إليها بالارتباط مع الحاضر فقط بينما يقصد بها الله سمونا روحياً فى الحاضر ، وحصولنا على المكافأة فى المستقبل (أنظر يع ١ : ٢ و١٢ . ١ بط ٤ : ١٢)

تفهمه وهو أن الله حسب قصد أزلى رسم لك كل شيء . الله كان فى جانبك منذ الأزل . فهذا يقنعك بأنه لا يقصد لك إلا الخير فى كل شيء .

« الذين هم مدعوون حسب قصده » لله قصد فى كل شيء . لا يأتى شيء إلا وهو مرسوم ومدبر . أحياناً نقول أن الله لما رآنا غصنا فى بحر الردى أتى إلينا ، ولكن الواقع أن الأمر كان موضع قصد إلهى وخطة مرسومة أزلياً . الإنسان عندما يريد أن يعمل شيئاً يخطط له ثم ينفذ . فالله خطط منذ الأزل أن يعمل كل شيء حسب قصده حسب رأى مشيئته فخطط فى الأزل تخطيطاً ثم نفذه ، ومن محبة الله أنه أعلن لنا هذا المخطط .

من كان يستطيع أن يدخل فى قصد الله الأزلى ويعرفه لولا أن المسيح جاء من السماء وأعلن لنا محبة الله وما قصده لنا فى شخصه منذ الأزل ؟

لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين (ع ٢٩)

يقول البعض إن الله عارف الأشخاص الذين سيؤمنون ولكن ليس هذا هو المقصود هنا ، بل أن الله عرفهم شخصياً واختارهم أزلياً . وهذا موضوع تناوله الرسول فى الأصحاح التالى . وهذا الاختيار هو بحسب سلطان الله الفائق المطلق وليس بحسب أى استحقاق للذين اختارهم أو أى امتياز فيهم .

« سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه » يأتى الرسول بخمس حلقات ذهبية متصلة لا تنفصل عن بعضها . الحلقة الأولى أنه سبق فعرفنا وذلك منذ الأزل . والحلقة الثانية أنه سبق فعيننا وذلك منذ الأزل أيضاً . لأى مركز عيننا ؟ لو عيننا فى مركز عبيد لكان ذلك شرفاً عظيماً لنا ، ولكنه عيننا فى مركز يفوق العقل مما يجعلنا نسجد ونتعبد له إلى الأبد . نحن البشر الترابيون الذين سقطنا عيّننا الله لنكون مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين . هذا هو تخطيط الله الذى أعلنه لنا الإبن حين قال « فى بيت

أبى منازل كثيرة » ولكن لماذا هذه المنازل الكثيرة بينما لله إبن واحد حبيب له ؟ السبب هو أن فكر الآب أن لا يبقى الإبن وحده ولكن يأتى بثمر كثير « إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير » فالثمر الكثير جاء نتيجة لموت المسيح على الصليب . كان فى فكر الله أن يأتى بأبناء كثيرين إلى المجد « لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام » (عب ٢ : ١٠) ولكن هناك شىء هام يجب أن نعرفه وهو أن المسيح هو البكر بين هؤلاء الإخوة الكثيرين . هو صاحب المقام الأول والمتقدم فى كل شىء ، معلم بين ربوة . إنه لايستحى أن يدعونا إخوة قائلا « أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الجماعة أسبحك » .

« مشابهين صورة ابنه » وذلك فى الجسد الممجد . الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (١ يو ٣ : ٢) . يعمل فينا الروح القدس الآن لكى يتصور المسيح فينا حتى نكون أدبياً مشابهين صورته كما يقول الرسول « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم » (غلا ٤ : ١٩) . وكما يقول أيضاً « نحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد » هذا كله يتم الآن من الناحية الأدبية ولكن عند مجىء المسيح وتغيير أجسادنا لنكون على صورة جسد مجده ، حينئذ يتم القول مشابهين صورة ابنه . لماذا عيننا لهذا المقام ؟ لأنه أحبنا كما أحبه كما قال الرب فى صلاته للآب فى يو ١٧ « وأحببتهم كما أحببتنى » يا للعجب ! وما هو تفسير هذا السر ؟ لأنه جعلنا واحداً فيه ويحبنا فيه « كما هو هكذا نحن فى هذا العالم » (١ يو ٤ : ١٧) . . توجد آية فى سفر القضاة تعطينا فكرة عن قوله « مشابهين صورة ابنه » سأل جدعون زبح وصلمناع « كيف الرجال الذين قتلتماهم فى تابور ؟ فقالا : مثلهم مثلك . كل واحد كصورة أولاد ملك .

فقال هم إخوتى بنو أمى ، (قضاة ٨ : ١٨) هكذا سنكون على صورة جسد مجد المسيح .

نلاحظ أن الله خلقنا على صورته فى العقل والإرادة متميزين بهذه الصورة عن باقى المخلوقات إلا أننا بسقوطنا لم نعد بعد على صورة الله لكن الله قصد لنا فى الفداء ما هو أعظم إذ خلقنا فى المسيح خليقة جديدة وقد لبسنا « الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٤) وفى المستقبل سنكون مشابهين صورة ابنه . فما أعظم محبته وما أغنى نعمته !

والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً . والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً (ع ٣٠)

لاحظنا أن الحلقتين الأوليين كانتا فى الأزل . والحلقة الثالثة هى أن الله فى الزمان دعاهم وعمل فى قلوبهم للإتيان إليه . والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً لأنه عندما دعاهم كانوا مثل باقى الناس مذنبين لكنه بررهم « الله هو الذى يبرر » والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً .

هل نحن الآن ممجدون ؟ كلا . ولكن كما يقول « بالرجاء خلصنا » هكذا بالرجاء تمجدنا . إن الله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة . هى بالنسبة لنا مستقبلة ولكن بالنسبة لله فمنظر الممجدين مرسوم أمامه فى السماء وهو يرى المؤمنين الآن ممجدين شرعاً فى شخص رأسهم وممثلهم الممجد فى السماء . كما هو مكتوب أن الله « أجلسنا فى السماويات فى المسيح يسوع » (أف ٢ : ٦) ومن الملذ أن نلاحظ أن الله هو الذى عمل العمل كله فهو الذى اختار ، وهو الذى عيّن ، وهو الذى دعا ، وهو الذى برر ، وهو الذى مجّد . الله هو الذى عمل كل شىء ، هل للإنسان ضلع فى العمل ؟ كلا . المشروع كله إلهى صرف يمتد من الأزل إلى الأبد . سبق فعرفهم قبل تأسيس

العالم منذ الأزل وبعد ذلك مجدهم إلى الأبد ، وكنا نحن الخطاة الأثمة موضوع هذه المشورات الإلهية . محورها : الرب ، وموضوعها نحن المؤمنون . له كل المجد . نقرأ فى أف ١ : ٤ — ٦ القول « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » . كما نقرأ فى ٢ تس ٢ : ١٣ ، ١٤ « وأما نحن فينبغى لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق ، الأمر الذى دعاكم إليه بإنجيلنا لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح » .

وفى هذه الأعداد من الرسائل إلى رومية وأفسس وتسالونيكى نرى الحلقات الخمس : الاختيار والتعيين والدعوة والتبرير والمجد . ونلاحظ أنه لا يذكر « التقديس » ضمن هذه الحلقات . ونجده مع الدعوة فى الأصحاح الأول « مدعوو يسوع المسيح ... مدعوين قديسين » (ع ٦ ، ٧) والتقديس بمعنى التخصيص يُذكر سابقاً للتبرير فى ١ كو ٦ : ١١ (أنظر ١ بط ١ : ٢)

فماذا نقول لهذا : إن كان الله معنا فمن علينا (ع ٣١)

كلمة « لهذا » هنا لاتنصرف إلى الله بل إلى كل هذه الأمور . ماذا نقول إزاءها . هل تتشكك ؟ كلا بل نصدق الله ونسجد له ونقول « صغار نحن عن جميع ألطافك » . إن كان الله معنا (لنا) أى فى جانبنا كما أثبت ذلك لأنه منذ الأزل كان يفكر فينا ، وفى الحاضر دعانا وبررنا ومجدنا أيضاً شرعاً فى المسيح ، فمن علينا ؟ صحيح أنه يوجد أعداء . ولكن من يكون هؤلاء الذين ضدنا ؟ أين الخطايا والذنوب ؟ محيت ، والخطية الساكنة فينا دينت فى الصليب ، والشيطان قد قهره المسيح وهزمه فى الصليب ، فمن علينا ؟ لقد قهر كل الأعداء الذين كانوا ضدنا ، ولا يوجد شىء يستطيع أن يرفع عقيرته ضدنا . حقاً إن الله هو « إله كل نعمة » .

الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء (ع ٣٢)

هذا عجيب ، فالله يتنازل لكى يقنعنا بمحبته وكأنه يقول : هل تشكّون فى محبتى ؟ هاكم أقوى دليل « الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء » هل يوجد عنده ماهو أعز من ابنه ؟ فإذا كان قد أعطانا الابن فكيف لايهبنا أيضاً معه كل شىء[1] .

فى ع ٣ من هذا الأصحاح يقول « أرسل الله ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » وهنا لم يشفق على ابنه بل بذله للموت لأجلنا . احتمل كل القصاص وكل الدينونة . « الله سر أن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم » لقد أعطانا ابنه العطية التى لا يعبر عنها ، وأعطانا فيه كل شىء . كما يقول الرسول فى ١ كو ٣ : ٢٢ « أبولس أم أبلوس أم صفا أم العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبلة كل شىء لكم »

من سيشتكى على مختارى الله . الله هو الذى يبرر . من هو الذى يدين ؟ المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً الذى هو أيضاً عن يمين الله الذى أيضاً يشفع فينا (ع ٣٣ ، ٣٤)

هنا يتحدى الرسول كل القوى : من سيشتكى ؟ من فى السماء ؟ من على الأرض ؟ من تحت الأرض ؟ من سيشتكى على مختارى الله ؟ الذى يشتكى على مختارى الله كأنه يشتكى على الله نفسه ، الله هو الذى اختار فكأن المشتكى يقول إن الله لم يحسن الاختيار ، فهل يجسر أحد أن يشتكى على من اختارهم الله

(١) بالانفصال عن المسيح لا شىء لنا بالمرة ، ولكن فيه ومعه نمتلك ونتمتع بكل شىء .

وبررهم ؟ نرى المشتكى فى زكريا ٣ واقفاً ليقاوم يهوشع الكاهن العظيم ، وهو المشتكى على إخوتنا أمام العرش نهاراً وليلا (رؤ ١٢ : ١٠) فقال الرب للشيطان « لينتهرك الرب يا شيطان . . . أفليس هذا شعلة منتشلة من النار » (زكريا ٣ : ٢) فكأن الرب يقول له إنه فى ذاته يستحق الديفونة لأنه لابس ثياباً قذرة ولكنى انتشلته من النار .

ونلاحظ قراءة الأعداد هنا قراءة صحيحة لفهم قوتها : السؤال « من سيشتكى على مختارى الله » ؟ الجواب الله هو الذى يبرر ، من هو الذى يدين ؟ أى إن كان الله هو الذى بررنا فمن يجسر أن يديننا ؟ والكلام الذى يأتى بعد ذلك « المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً الذى هو أيضاً عن يمين الله الذى أيضاً يشفع فينا » هو جواب مسبق للسؤال « من سيفصلنا عن محبة المسيح » ؟ أى إن كان المسيح قد فعل كل هذا لأجلنا فمن سيفصلنا عن محبته ؟

من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف (ع ٣٥)

الحقيقة أولا ثم السؤال أخيراً . فالحقيقة هى : الله هو الذى يبرر ، والسؤال ، من هو الذى يدين ؟ الحقيقة الثانية هى : المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً وجلس عن يمين الله يشفع فينا . والسؤال ، من سيفصلنا عن محبته ؟

فى إش ٥٠ : ٧ — ٩ « والسيد الرب يعيننى لذلك لا أخجل . لذلك جعلت وجهى كالصوان وعرفت أنى لا أخزى . قريب هو الذى يبررنى . من يخاصمنى ؟ لنتواقف . من هو صاحب دعوى معى ؟ ليتقدم إلىَّ . هو ذا السيد الرب يعيننى . من هو الذى يحكم علىَّ ؟ » . فنجد نفس الحجة فى سفر إشعياء عن الرب يسوع .

أما الآن فى الوقت الحاضر فالمسيح هو رئيس الكهنة العظيم الجالس عن

يمين الله لأجلنا فمن سيفصلنا عن محبته ؟ نرجع بذاكرتنا إلى رئيس الكهنة في ثياب المجد والبهاء واضعاً أسماء الأسباط على صدره وعلى كتفيه ، وهذه الأسماء الموضوعة على الكتفين محاطة بطوقين من الذهب ، طوق ذهبي محيط بالأسماء على كل كتف . والطوقان الذهبيان مربوطان بسلاسل ذهبية ومتصلان بالصدرة . يا له من ارتباط محكم ومتقن ، فيه كل الضمان لسلامة الأسماء . كانت هناك أطواق ذهبية وسلاسل ذهبية فمن كان يستطيع أن يفصل الأسباط عن صدر وكتفي رئيس الكهنة العظيم ؟ ونلاحظ أنه لا يقول ما هي الأشياء التي تفصلنا عن محبة المسيح ؟ هل الشدة والضيق يقال عنها مَن ؟ مَن للعاقل فهنا يقول من سيفصلنا ؟ أي أنه كان في فكر الرسول أن الذي يحاول أن يفصلنا هو الشيطان ، ولكن هل يستطيع الشيطان أن يفصلنا عن محبة المسيح ؟ كلا . هل يستطيع ذلك باستخدام الشدة والضيق والاضطهاد والجوع والعري والخطر والسيف . هل يستطيع أن يفصلنا بذلك ؟ الرسول بولس هو أكثر من قاسى هذه الآلام كلها ولكنها لم تستطع أن تفصله عن محبة المسيح ، ولكن محبة المسيح كانت تحمله وكانت تظهر له بأكثر لمعان خلال تلك الظروف وتحمله أثناء اجتيازه فيها . أية اضطهادات احتملها الرسول ؟ نقرأ ذلك في ٢ كو ١١ : ٢٦ « بأسفار مراراً كثيرة . بأخطار سيول . بأخطار لصوص . بأخطار من جنسي . بأخطار من الأمم . بأخطار في المدينة . بأخطار في البرية . بأخطار في البحر . بأخطار من إخوة كذبة » وتتكرر كلمة أخطار عدة مرات ، ولكن هل استطاعت هذه كلها أن تفصل الرسول عن محبة المسيح له ؟ كلا . ويقول في رسالة العبرانيين : ماتوا قتلا بالسيف لكن العالم لم يكن مستحقاً لهم .

كما هو مكتوب أننا من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح (ع ٣٦)

لقـــد اختبر الرسول ذلك كما يقول « في الميتات مراراً كثيرة »

(٢ كو ١١ : ٢٣) ونذكر منها حادثة رجمه فى لستره حيث « جروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات » (أع ١٤ : ١٩) .

والعبارة التى يقتبسها الرسول هنا ويقول عنها « كما هو مكتوب » واردة فى مز ٤٤ : ٢٢ حيث نقرأ « لأننا من أجلك نمات اليوم كله قد حسبنا مثل غنم للذبح » وهذا المزمور ينطبق على البقية الأمينة فى زمان اضطهاد الوحش والمرتدين لهم وصراخهم إلى الله فى طلب الرحمة والإنقاذ . هذا هو نصيب المؤمن فى العالم دائماً « قد حسبنا مثل غنم للذبح » . لم يعط الرب وعداً للمؤمن بالعز والارتفاع فى العالم « جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون » (٢ تى ٣ : ١٢) . ما دام إبليس هو رئيس العالم وهو عدو للمسيح ويبغضه فهو عدو للمؤمنين ويبغضهم « إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم » إذن لا نصيب للمؤمن فى العالم إلا الاضطهاد ، ولكن شكراً للرب لأنه يعطينا مواعيد مطمئنة إذ يقول « قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام . فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) .

ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا (ع ٣٧)

هذا يقين ، لأنه لا يقول « ننتصر » بل كأنه يعتبر هذه الكلمة وحدها قليلة فيقول « يعظم انتصارنا » . وهو انتصار عظيم لأنه ليس بأنفسنا بل بالذى أحبنا ، فبدلا من أن الضيق والاضطهاد وما أشبه يفصلنا عن محبته ، نجد بالعكس أن هذه الأشياء تظهر لنا محبته أكثر ، وتجعلنا أكثر من منتصرين بمن قد أحبنا ، وتزيد تمسكنا به أكثر من الماضى ، وأكثر من الظروف اللينة .

يقول الرسول « فى هذه جميعها » إنه يعظم انتصارنا فى وسطها وليس فقط عندما نخرج منها . فنكون مضطهدين ، ومثل غنم للذبح ولكن منتصرون .

فنحن ننتصر فى أثنائها كما أننا سننتصر فى نهايتها لأن النهاية لا بد أن تأتى بالخير .

فانى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا (ع ٣٨ ، ٣٩)

« فإنى متيقن » يا لها من نغمة قوية ! نقرأ فى آخر أصحاح ٧ القول « ويحى أنا الإنسان الشقى » لهجة حزينة يائسة ولكن فى آخر أصحاح ٨ يتحدى الرسول كل الكائنات العلوية والسفلية ما فوق الأرض وما تحت الأرض وكل الظروف قائلا إنها لا تستطيع أن تفصله عن محبة الله .

« فإنى متيقن أنه لا موت » هل الموت يخيفنى ؟ كلا . الموت هو ربح لأن المسيح قد انتصر عليه وكسر شوكته وبالموت ننطلق لنكون معه وذلك أفضل جداً .

والحياة بما فيها من آلام ومشقات لا تضايقنى لأن المسيح يرافقنى فى كل لحظة من حياتى ، هو أمامى وعن يمينى فلا أتزعزع .

« ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات » أى أن الملائكة الأشرار ورؤساءهم لا يستطيعون أن يؤذوا المؤمنين . فى أف ١ : ٢١ ، ٣ : ١٠ يتكلم الرسول عن رؤساء وقوات الملائكة الأبرار . وفى أف ٦ : ١٢ يتكلم عن رؤساء وسلاطين الملائكة الأشرار — الأولى هى فى خدمة المؤمنين والثانية ننتصر عليها بسلاح الله الكامل .

« ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة » . الأمور الحاضرة كلها موضع عناية وتدبير الله للمؤمن حسب وعده القائل « لا أهملك ولا أتركك » .

أما الأمور المستقبلة فهي مجيدة وسعيدة فوق تصور عقولنا المحدودة . والتقوى « لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة » (١ تى ٤ : ٨) .

« ولا علو » لقد صعد المسيح فوق جميع السموات ولا يوجد أعلى من ذلك لأننا عندما نرفع عيوننا إلى أقصى العلو نجد المسيح عن يمين الله مكللا بالمجد والكرامة .

« ولا عمق » لقد نزل المسيح إلى أقسام الأرض السفلى إلى القبر ولكن لم يكن ممكناً أن يبقى هناك بل قام وصعد فوق جميع السموات ونحن فيه كما رأينا « أجلسنا فى السماويات فى المسيح » .

« ولا خليقة أخرى » . لزيادة التأكيد يفترض الرسول أن هناك خليقة أخرى إن وُجدت لا نعرفها ، فليكن . طالما أنها خليقة فهى خاضعة للخالق والخالق فى جانبنا « إن كان الله معنا فمن علينا » .

كل هذه لا تقدر أن تفصلنا عن محبة الله . لماذا ؟ لأن محبة الله لنا هى فى المسيح يسوع ربنا . قد يحاول الشيطان أن يشككنى فى محبة الله عندما أكون ضعيفاً ، ولكن محبة الله لا تتوقف على ما فىَّ ولكنها ثابتة أزلية وأبدية لأنها فى « المسيح يسوع ربنا » ولذلك فلا يقدر شيء متعلق بى أن يفصلنى عنها .

فى ع ٣٥ يقول الرسول : من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ وهنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا . الله الآب يحبنى ، والمسيح يحبنى ، لا يستطيع أحد أن يفصلنى عن محبة المسيح ، ولا يستطيع أحد أن يفصلنى عن محبة الله الآب . يا له من ضمان كامل ! كما قال الرب له المجد « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى . أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٢٧ — ٣٠) فلنا محبة المسيح ، ومحبة الله . ونحن محفوظون فى يد المسيح ، ومحفوظون فى يد الله الآب :

يا للثقة ! يا للاطمئنان ! يا لليقين !

ما أعظم ما نلناه من بركات تتحدى كل العوائق ! وما أعظم المقام الذى أعطانا إياه الله ! هل نحن دائماً منتصرون ويعظم انتصارنا فى وسط كل ظروف الحياة ؟ المؤمن تحيطه محبة المسيح رئيس الكهنة العظيم وتملك عليه محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا ، والله قد باركنا فى المسيح بكل بركة روحية كما اختارنا فيه وعيننا فيه . لذلك كل شيء ثابت وأبدى .

ويجمل بنا فى نهاية التأمل فى هذا الأصحاح أن نرى الثالوث الأقدس يعمل لأجلنا الآب والابن والروح القدس .

فالآب أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية (ع ٣) .

والآب الذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادنا المائتة (ع ١١) .

والآب أعطانا روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب (ع ١٥) .

وهو الذى سبق فعرفنا وسبق فعيننا لنكون مشابهين صورة ابنه ، ودعانا الآب وبررنا ومجدنا (ع ٢٨ — ٣٠) .

والله الآب لنا (ع ٣١) . « لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين ويهبنا أيضاً معه كل شيء » (ع ٣٢) .

ولا شيء يفصلنا عن محبة الله الآب « التى فى المسيح يسوع ربنا » (ع ٣٩) .

* * *

الابن نحن فيه « ولا شيء من الدينونة علينا » (ع ١) .

وقد جاء فى شبه جسد الخطية ودينت الخطية فى جسده (ع ٣) .

هو فينا « إن كان المسيح فيكم » (ع ١٠) .

والمسيح هو الذى « سيفدى أجسادنا » (ع ٢٣) .

المسيح هو الذى مات لأجلنا وقام الذى هو أيضاً عن يمين الله الذى هو أيضاً يشفع فينا (ع ٣٤) ولا شيء يستطيع أن يفصلنا عن محبة المسيح (ع ٣٥) .

وبالمسيح يعظم إنتصارنا (ع ٣٧) .

* * *

الروح القدس وهو يذكر ٢٠ مرة فى هذا الأصحاح ، منها : « ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى » (ع ٢) .

الروح القدس يسكن فينا ، وإن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له (ع ٩) .

بالروح القدس سيحيي الله أجسادنا (ع ١١) .

وبالروح نميت أعمال الجسد (ع ١٣) .

بالروح ننقاد « الذين ينقادون بروح الله » (ع ١٤) .

بالروح نصرخ يا أبا الآب (ع ١٥) .

« الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » (ع ١٦) .

الروح نفسه يعين ضعفاتنا لأنه يشفع فينا بأنات لاينطق بها (ع٢٦) .

ما أعظم ما عمله الآب والإبن والروح القدس لأجلنا . هذا كلام عظيم ومجيد يعجز اللسان عن التعبير عنه . الله أعلن قلبه ومقاصده .

الآب والابن والروح القدس الأقانيم الثلاثة كانوا فى مشورة أزلية وأعلن كل أقنوم محبته من نحونا عاملا لأجلنا وفينا نحن البشر .

ياليت الرب يعطينا نعمة حتى نعرف مقامنا فى الرب يسوع ، والمحبة التى لنا فى قلب الآب والابن فنترنم قائلين :

نحن فى ظل حماه   ما الذى يرعبنا
وهو قهراً قد سبانا   من يدى سالبنا
قد دعانا حسب قصد   مجزلا نعمته
ليكون الكل فيه   مشبهاً صورته
إننا يوماً نصير   معه فى الملك الهنى
ونكون كل حين   معه فى المجد السنى

الأصحاح التاسع

شكراً لله لأن القسم الأول من الرسالة انتهى بنهاية مجيدة — نهاية الظفر والانتصار واليقين بأنه لا توجد قوة فى هذه الخليقة أو أية خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا لأنه إن كان الله معنا فمن علينا .

نشكر الله لأن هذا القسم لم ينته بأصحاح ٧ الذى يختم بنغمة الأنين « ويحى أنا الإنسان الشقى » ولكن ليس هذا قصد الله ، ولا يمكن أن تكون هذه نهاية المؤمنين بعمل المسيح الكامل بل لا بد من الانتصار والهتاف فقد رأينا أن الله لا يبرر فقط ولكنه يعالج كل شىء ، فيرينا طريق الانتصار على الخطية الساكنة فينا وعلى أعمال الجسد ، وعلى صعوبات الطريق ، ويعالج كل شىء إلى النهاية وذلك على أساس متين .

وفى هذا الأصحاح نرى أن قصد الله ليس فكراً طارئاً بل هو قصد ثابت منذ الأزل وإلى الأبد . إن الأصحاحات ٩ — ١١ تدخل ضمن القسم التعليمى من الرسالة لكنها تعتبر ملحقاً تدبيرياً خاصاً بالشعب القديم والأمم .

فى الأصحاحات الأولى من الرسالة أوضح الرسول أن اليهود بما أنهم لم يحفظوا الناموس ، فلا امتياز لهم عن الأمم ، إذ صار الجميع خطاة على قدم المساواة . ثم قال فى الأصحاح الثالث « فما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان ؟ كثير على كل وجه . أما أولا فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله » ولكنهم « لم يكونوا أمناء » . من ثم انتهى الرسول إلى هذه النتيجة « أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية ... لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » فأين ذهبت كل الفروق القديمة ؟ قد انتهت . إلا أن اليهود لم يكونوا مستعدين لأن يقبلوا إزالة هذه الفوارق ، فعملوا مشاجرة مع

بطرس عندما ذهب إلى الأمم مع أنه لم يكن ليذهب لو لم يعلن له الله فى الرؤيا . وهاجوا هياجاً شديداً ضد بولس فى كل مكان ، وكانت التهم الموجهة إليه « هذا هو الرجل الذى يعلم ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع » (ع ٢١ : ٢٨) وقد أدى الأمر فى النهاية إلى محاكمته أمام قيصر . ولكن قلبه لم يحمل لهم حقداً أو ضغينة بل بالعكس محبة شديدة .

أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس إن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لا ينقطع (ع ١ و ٢)

كان قلب الرسول ينفطر حزناً وألماً لأنهم وهم أصحاب كل هذه الامتيازات عثروا ولم يقبلوا الإيمان بالمسيح . وتعبيرات الرسول هنا تدل على محبة فائقة عجيبة ليس لها نظير . وكأنه يقول لا تتصوروا لأنى رسول الأمم أنى أبغضكم أو أنى أهدم ما كان لكم من امتيازات . كلا لكننى « أقول الصدق فى المسيح » ، واضطر أن يقول كل هذه العبارات القوية المؤثرة لأنهم لم يكونوا على استعداد أن يصدقوه ، إذ ظنوا أنه لا يحبهم ويتكلم ضدهم . وسبب حزنه الشديد أنهم لم يؤمنوا بالمسيح .

فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد (ع ٣)

هنا يأتى الرسول بعبارة قوية للغاية لا يجوز أن نأخذها على حرفيتها ولكن نفهم منها قوة عاطفته واستعداده لتضحية كل شيء حتى نفسه لو أمكن ، من أجل إخوته وأنسبائه حسب الجسد وكأنه يقول : أنا فرد واحد ، فلو كان هذا الواحد يموت ويهلك من أجل الآخرين ، من أجل مجموعة تأتى إلى المسيح ، فأنا مستعد . هذا مجرد تعبير عن عاطفته القوية وشوق قلبه الشديد لخلاصهم . ولكن من الوجهة الحرفية ، حتى لو أراد هو أن يضحى بنفسه فإنه لا يمكن أن شيئاً ما يفصله عن محبة المسيح أو يحرمه منها

لأن الإنسان عندما يأتى إلى المسيح لا يصبح ملك نفسه حتى يستطيع أن يبيعها لو أراد بل هو ملك لله .

لقد أظهر موسى مثل هذه العاطفة عندما عبد الشعب العجل الذهبي وقال له الرب « اتركني » كأن موسى كان ممسكاً بالرب لكي يمنعه من أن يهلك الشعب . قال موسى للرب « والآن اغفر خطيتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت » . قال له الله « من أخطأ إلى أمحوه من كتابي » (خر ٣٢ : ٣٢) وكأنه يقول له لا مسئولية عليك لأنك كنت معى فى الجبل ، لكن هؤلاء هم الذين عبدوا العجل فاتركني وأنا أميتهم . فموسى هنا تمنى أن يمحى هو أيضاً ويموت إذا كان الشعب سيهلك أى أنه جعل نفسه مع الشعب . هذا هو وسيط العهد القديم .

هذه العاطفة نفسها يعبر عنها الرسول فيقول إننى كنت أود لو أحرم أنا من أجل إخوتى وأنسبائى حسب الجسد ، ولكن هذا غير ممكن لأن المسيح هو الذى « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » (١ تى ٢ : ٦) . واحد فقط هو الذى ضحى بحياته وذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد (عب ٢ : ٩) .

الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين (ع ٤ و ٥)

يذكر الرسول هنا تسعة امتيازات ويتحسر لأنه بعد أن كان لهم المركز الأول بسبب هذه الامتيازات أصبحوا فى المكان الأخير لرفضهم المسيح .

(١) الذين هم إسرائيليون . هذا هو الإسم الجديد الذى أعطاه الله ليعقوب . لقد أخذ اسمه القديم بسبب إمساكه بعقب أخيه وبحسب ذلك الإسم كان يتعقبه . ولكن عندما جاهد مع الله وغلب قال له « لايدعى اسمك

فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، ومعناه « أمير الله » . فهم مرتبطون بهذا الإسم اسم الانتصار .

(٢) « ولهم التبني » كأمة ، أما التبني كأفرلد . فكان غير معروف في العهد القديم ، فلم يجرؤ أي واحد من الآباء أن يخاطب الله « يا أبانا » لأنهم لم يأخذوا « روح التبني » مع أنهم كانوا مولودين من الله ، لكن كانوا في « روح العبودية » أو كما يقول الرسول في غلاطية كانوا أولاداً قاصرين . والقاصر لا يفرق شيئاً عن العبد ، إلا أن الله أعلن تبنيه لهم كشعب وذلك في قوله لموسى في خر ٤ : ٢٢ .

هذا هو « التبني » كأمة باعتبار أنهم أول شعب عرف الله ، أولاد إبرهيم الذي دعاه الله وأخرجه من وسط عبدة الأوثان ليكون له شاهداً وعابداً .

(٣) « والمجد » أي أن مجد الله كان في وسطهم . لقد ظهر لهم الله بمجده في عمود السحاب وعمود النار ، وفي « الشكينة » أي سحابة المجد التي كانت تحل فوق غطاء التابوت في قدس الأقداس . وعند إقامة خيمة الاجتماع ملأ مجد الرب البيت حتى أن الكهنة لم يستطيعوا أن يدخلوا بسبب بهاء مجد الرب وعندما بنى سليمان الهيكل ودشنه ظهر مجد الرب بلمعان عظيم ملأ كل البيت .

(٤) « والعهود » العهد مع إبرهيم ، عهد البركة في الأرض . فيك تتبارك جميع قبائل الأرض .

وعهد الملك لداود : أن الله يصنع له بيتاً أميناً ولا يعدم له من يجلس على كرسيه ويكون كرسيه ثابتاً إلى الأبد (٢ صم ٧ : ١١ — ١٦) مشيراً إلى المسيح الذي سيأتي ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية (لو ١ : ٣٢ و ٢٣) .

(٥) « الاشتراع » أى الناموس وهو تشريع إلهى .

كل الشرائع وضعها البشر ، فهناك القانون الرومانى ، والفرنسى ، وكل أمة لها تشريعها ، لـكن التشريع الذى كان لتلك الأمة تشريع إلهى فى الناموس الذى أعطاه الله لموسى . وفيه أشياء دقيقة جداً تتناول كل نواحى الحيـاة المدنية والمعاملات فى كل تفاصيلها ودقائقها .

(٦) « والعبادة » فى سفر اللاويين نجد العبادة مقررة من الله بكل دقة ، وليس بحسب استحسان البشر « إذا قرّب إنسان منكم قرباناً للرب » (لا ١ : ٢) .

ويلى ذلك أوصاف معينة وتفصيلات دقيقة . فهناك أنواع من التقدمات للرب ، وأنواع من الذبائح ، وكل نوع له فريضته وشريعته الخاصة به . وكانت توجد أجزاء من بعض الذبائح تحرق على المذبح وأجزاء تـكون للـكاهن ، وأجزاء لمقدم الذبيحة . والمحرقة كانت تحرق بتمامها للرب على المذبح . وهكذا كانت توجد تعليمات تفصيلية دقيقة وفى كلها قصد إلهى ثمين . لقد كانت عبادة طقسية ، ولـكنها كانت فى كل دقائقها ترمز إلى الرب يسوع المسيح بكيفية بديعة ملذة[1] .

(٧) والمواعيد : المواعيد خلاف العهود . العهود ذات صفة عامة . أما المواعيد بالبركة فى الأرض فكان لها صفة خاصة مثـــل مزمور ٩١ « الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت » . ومثل المواعيد التى أعطيت للأتقياء بأن يتمتعوا بالعيشة الرغدة فى الأرض كقوله : تـكون مباركاً فى بيتك وفى حقلك وفى بهائمك ، وتـكون إمرأتك كشجرة مثمرة فى جوانب بيتك ، وبنوك كغروس الزيتون حول مائدتك . وكذلك المواعيد المعطاة

---

(١) إذا أراد القارىء أن يتمتع بما كانت تشير إليه تلك الظلال والرموز فى نور العهد الجديد فعليه بدراسة كتاب الشكينة لنفس المؤلف .

فى المزامير والنبوات للأمناء أثناء اجتيازهم فى الضيقة العظيمة . وكذلك المواعيد الخاصة بحضور المسيح لهم وانسكاب الروح القدس عليهم فى آخر الأيام (أنظر أع ١٣ : ٣٢ ، ٢ : ٣٩) .

(٨) ولهم الآباء . إن المؤمنين حتى من الأمم يحق لهم أن يُدعوا أولاد إبرهيم روحياً إذا كانوا يسلكون فى خطوات إيمان إبرهيم باعتباره أبى المؤمنين « الذى هو أب لجميعنا » (رو٤ : ١٦) ويحسبون « نسل إبرهيم » كما يقول الرسول حقاً ليس يمسك الملائكة بل نسل إبرهيم(عب٢ : ١٦) . أما اليهود فهم أولاد إبرهيم حسب الجسد ولهم الآباء — إبرهيم واسحق ويعقوب وغيرهم .

(٩) « ومنهم المسيح حسب الجسد » هذا هو أعظم امتيازاتهم كلها . وعندما نقرأ فى العهد القديم نجد أن الشيطان عمل محاولات عديدة لكى يقطع السلسلة التى رتبها الله لكى يأتى منها المسيح حسب الجسد ، ولكن كان لا بد أن الله ينتصر وأن قصده يتم — فنقرأ مثلا فى إشعياء « أن رصين ملك آرام وفتح بن رمليا ملك إسرائيل اتحدا معاً لينزعا آحاز ملك يهوذا ويقيما ابن طبئيل ملكاً عوضاً عنه وبذلك يقطعون سلسلة بيت داود . ولكن الرب يقول لآحاز كلاماً جميلا « هكذا يقول السيد الرب لا تقوم ، لا تكون » ثم يعطيه آية عظيمة ليؤكد له ثبات قصده « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (إش ٧ : ٧ و ١٤) .

وعندما جاء ملء الزمان وأرسل الله ابنه مولوداً حسب المرسوم فى النبوات ؛ نقرأ فى افتتاح إنجيل متى « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود ابن إبرهيم » أى أنه النسل الموعود له بالبركة وبالملك فى العهدين الإبراهيمى والداودى . وفى مستهل هذه الرسالة يقول الرسول « إنجيل الله الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة عن ابنه الذى صار من نسل داود من

جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات » (ص ١ : ٢ و ٣) فمن هو هذا الذى جاء من نسل داود بحسب الجسد ؟

هو « الله الذى ظهر فى الجسد » . الكائن بذاته منذ الأزل « الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » (الله المبارك إلى الأبد) بحسب الأصل . وبعد ذلك يقول الرسول «آمين» . كأن العبارة السابقة هى سجود وتعبد .

ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون . ولا لأنهم من نسل إبرهيم هم جميعاً أولاد ، بل باسحق يدعى لك نسل . أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا . لأن كلمة الموعد هى هذه أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن (ع ٦ — ٩)

يقول الرسول هنا إن جميع هذه الامتيازات لم تستطع أن تخلصهم ليس لأن كلمة الله قد سقطت بل لأن المسألة ليست مسألة النسبة الجسدية بل الولادة الروحية . والدليل على ذلك أن إبرهيم كان له ابن حسب الجسد ليس فيه نفع « بل بإسحق يدعى لك نسل » أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله ، كما يقول الرب بفمه الكريم لليهود لو كنتم أولاد إبرهيم لكنتم تعملون أعمال إبرهيم » (يو ٨ : ٣٩) وأوضح الرب لهم أنهم وإن كانوا أولاد إبرهيم حسب الجسد ولكن لكونهم غير مولودين من الله ولادة جديدة روحية لذلك هم أولاد إبليس عملياً . أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (ع ٤٤) .

فكأن الرسول يقول إذاً كلمة الله لم تسقط . لماذا ؟ لأن ليس جميع الذين هم من إسرائيل هم إسرائيليون ولا لأنهم من نسل إبرهيم هم جميعاً أولاد بل « بإسحق يدعى لك نسل أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد هم يحسبون نسلا » ، الذين هم مولودون من الله الولادة الثانية .

« لأن كلمة الموعد هى هذه : أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن . فإسحق هو ابن الموعد وابن الحرة (سارة) هذا هو الدليل الأول الذى يقيمه الرسول ، إنه يوجد أولاد الجسد مثل إسماعيل وأولاد الموعد مثل إسحق . أما الدليل الثانى فهو اختيار الله بحسب سلطانه المطلق ، ويأتى بمثال لذلك من يعقوب وعيسو .

وليس ذلك فقط بل رفقة أيضاً وهى حبلى من واحد وهو اسحق أبونا لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو . قيل لها إنه الكبير يستعبد للصغير كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو (ع ١٠ — ١٣)

يبين الرسول هنا أن إسحق أيضاً ، وهو ابن الموعد ، وُلد له ابنان توأمان من أم واحدة هى رفقة ، لكن ، وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً قيل لها إن الكبير يستعبد للصغير . وسيأتى الكلام لتوضيح ذلك ، ولكن الإنسان غير المؤمن يقول لماذا ؟ أيجوز أن يعترض الإنسان على أعمال الله ؟ أيجوز للمخلوق أن يناقش سلطان الخالق ؟ « لأن كل أموره لا يجاوب عنها » (أى ٣٣ : ١٣) هل ننكر سلطان الله ؟ الإنسان له حقوق معينة وسلطات معينة فى عمله ، فهل الله الخالق ليس له سلطان ؟ هل نطالب نحن المخلوقات لأنفسنا بالسلطان المعين لنا فى عملنا وننكر أن الله مطلق السلطان ؟

ثم نقول أولا إن هذا الكلام لا يتعلق بالحياة الأبدية ولكنه يتعلق بنصيب كل منهما فى الأرض « الكبير يستعبد للصغير » وذلك لكى يثبت قصد الله بحسب الاختيار . فالله بسامى حكمته رتب أن يكون واحد غنياً وآخر فقيراً فى العالم . لماذا ؟ لأن الله له مطلق السلطان . ليس لأن الغنى

أفضل من الفقير أو ممتاز عنه حتى جعله الله غنياً وجعل الآخر فقيراً لكن لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ، ويجب ألا نناقش سلطان الله بل نخضع له ، لأنه الخالق الذى يسمو فوقنا فى أفكاره وطرقه .

كانت البركة ليعقوب ، ولكن لأنه لم يعرف قصد الله أتعب نفسه فى عمل تدبيرات جسدية للحصول عليها ، ولكن « ليس من الأعمال بل من الذى يدعو[1] » فكان يجب أن ينتظر ، والله هو الذى يفعل .

« كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » هذا المكتوب نجده فى نبوة ملاخى (ص ١ : ٢ و٣) وملاخى لا يتكلم عنهما وهما فى البطن بل بعد ما عاشا فى الأرض وظهرت أعمال كل منهما ، فأبغض عيسو لما فعله من خطايا هو ونسله لأن الله يبغض الخطية . ولكنه أحب يعقوب بحسب قصده واختياره . فالمحبة ليست لأجل فضل فى الإنسان بل بحسب قصد الله فى الاختيار ، أما البغضة فهى لأجل أعمال الإنسان وعناده . ونجد نوراً عن اختيار الله ليعقوب ومحبته له أنه لأجل نسله الحقيقى « يبرز كوكب من يعقوب . . .[2] فيحطم طرفى موآب » (عدد ٢٤ : ١٧) .

---

(١) الاختيار والدعوة مبدآن مقرران بوضوح فى الكتاب كما رأينا فى ص ٨ : ١٩ و ٣٠ « الذين سبق فعرفهم . . فهؤلاء دعاهم أيضاً » وفى ص ١ : ٦ « مدعوو يسوع المسيح » وفى أف ١ : ٤ اختارنا فيه قبل تأسيس العالم . معينين سابقاً حسب قصد « الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته » (أنظر ٢ تس ٢ : ١٤ ، ٢ تى ١ : ١ ، ١ بط ١ : ٢) .

(٢) الكلام الوارد فى ملاخى المكتوب بعد أجيال كثيرة من حياة يعقوب وعيسو يقصد به الوحى نسليهما بالأكثر ، إذ نقرأ القول « أحببتكم قال الرب » . وعندما قالوا « بم أحببتنا » أجاب الرب « أليس يعقوب أخاً لعيسو ؟ وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو وجعلت جباله خراباً وميراثه لذئاب البرية » (ملا ١ : ٢ و٣) فواضح أن الكلام ينصبّ على الأمتين .

إن الخير من الله ، وأما الشر فليس من الله بل من الإنسان . جاءت سيدة إلى أحد خدام الله وسألته : لماذا أبغض الله عيسو ؟ فقال لها الخادم يا سيدتى المشكلة عندى ليست لماذا أبغض الله عيسو بل لماذا أحب الله يعقوب ؟ فالمشكلة هى أن الله أحب يعقوب بالرغم من كل نقائصه وذلك لأنه مطلق السلطان فى الاختيار ، أما عيسو فظاهر أن الله أبغضه لشروره وقساوة قلبه .

فماذا نقول ألعل عند الله ظلماً ؟ حاشا . لأنه يقول لموسى إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف (ع ١٤ و ١٥)

من ذا الذى يتجاسر وينسب الظلم إلى الله ؟ لا يفعل ذلك إلا الكافر الذى لا يخضع لسلطان الله . لكن الرسول يرد من الكتاب مستشهداً بقول الله لموسى « إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف » (خر ٣٣ : ١٩) .

متى قال الرب لموسى هذا الكلام ؟ قاله له وهو على الجبل عندما عبد الشعب العجل الذهبى وفقدوا كل امتياز لهم . سبق أن قال الله عنهم « شعبى » « ابنى البكر » ولكنهم قالوا عن العجل الذهبى « هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر » فأبدلوا مجد الله بصورة عجل آكل عشب فكأن الله يقول لهم : أنتم تنكرتم لى ورفضتم أن أكون إلهاً لكم ، وأنا أيضاً أرفضكم .

بعد ذلك تشفع فيهم موسى لكى يغفر الله خطيتهم ثم قال لله « أرنى مجدك » قال له الله لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش . وقال الرب هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة ويكون متى أجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يرى . أى سترى آثار أعمالى من الخلف ، وأما وجهى فلا يُرى . وأجاز الرب كل جودته قدامه ، ونادى باسم الرب

قدامه فماذا قال الله ؟ هل قال : إنى أرحم من أرحم وأهلك من أهلك ؟ كلا . هل قال أدين من أدين ؟ كلا . مع أن الموقف كان موقف دينونة بعدل لكن الله يعلن الرحمة والرأفة فى الوقت الذى فيه جاء الناموس وكسر الشعب أول وصية فيه « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » .

ولكن الله يظهر سلطانه فى الرحمة . الناموس يلعن ويميت ، والشعب يستحق اللعنة والموت ، ولكن يقول الله « إنى أرحم من أرحم ، وأتراءف على من أتراءف » — فالله يستخدم سلطانه المطلق لا ليعلن القضاء بل ليعلن الرحمة لمن يأخذ مركزه كخاطئ ويقول « اللهم ارحمنى أنا الخاطئ » مثل ذلك العشار (لو ١٨ : ١٣) . ومثل اللص التائب الذى أقر قائلا « أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا » ثم اتجه إلى رحمة الرب قائلا اذكرنى يارب (لو ٢٣ : ٤١ و٤٢) . « الله محبة » لذلك يتراءف على الخاطئ التائب « والله نور » لذلك يدين المعاند المقسى قلبه .

فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم (ع ١٦)

ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى أى ليس بالأعمال ، لأن الذين تمسكوا بالأعمال كسروا الناموس . ولكن الرسول أثبت أن البركة هى من مجرد الرحمة والرأفة ، وليست من عمل الإنسان . وهذا هو المبدأ الرئيسى الذى تتناوله هذه الرسالة ، وهو أن التبرير مجاناً وليس بالأعمال « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » (ص ٤ : ٥) .

لقد أثبت الرسول فى الأعداد السابقة سلطان الله المطلق فى الرحمة وأنه لا يستطيع أحد أن ينكر على الله هذا السلطان لأن الذى يضع القانون له سلطان أن يتراءف . فرئيس الجمهورية له حق أن يعفو . القانون يقضى بالإعدام ، ولكن يمكن أن يصدر الرئيس عفواً عمن يريد بمقتضى سلطانه .

إن الذى له حق أن يدين له حق أيضاً أن يرحم[1] ، ولكن هل هو يمنح العفو لكل المحكوم عليهم بالإعدام ؟ كلا . بل لمن يشاء بحسب سلطانه . هل يمكن أن يعترض عليه أحد أو يتهمه بالظلم لأنه عفا عن واحد دون الآخر ؟ كلا ، لأن جميع المدانين قد حكم عليهم بالعدل ، وهو استعمل سلطانه فى العفو . فبالأولى جداً الله له سلطان أن يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف . ولولا أن الله له سلطان أن يرحم ويتراءف على من يتراءف ، وما خلص فرد واحد ، بل كان الجميع يدانون بحق وعدل . لو لم يختر الله أناساً للرحمة لما رُحم واحد . ولكنه لم يعين أحداً للدينونة ولكن الإنسان يقسّى قلبه بعد أن يعطيه الله الفرصة تلو الفرصة للتوبة وإذ يشهر العناد والقساوة يتركه الله للدينونة لأن هذا من سلطانه وحقه . فهو يظهر رحمته ويظهر أيضاً قوته فى المعاند كما يقول لفرعون « لكى أظهر فيك قوتى » .

فمن صفات الله أنه الكلى القوة والقدرة وبحسب سلطانه وحكمته يظهر رأفته ورحمته ، ويظهر أيضاً قوته وقدرته .

ويؤيد الرب يسوع سلطان الله المطلق فى مثل صاحب الكرم والفعلة فى مت ٢٠ : ١ — ١٦ وهو يشير إلى أعمال الله التدبيرية من جهة اليهود والأمم ، كما أن الكلام هنا فى رو ٩ تدبيرى أيضاً . فيقول رب البيت لواحد من المتذمرين عليه « ياصاحب ما ظلمتك ... فخذ الذى لك واذهب . فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك . أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى » (ع١٤ و١٥) .

---

(١) مع أن الله مطلق السلطان فى أن يرحم من يشاء ولكن رحمته مبنية على عدله ، لأنه لكى يرحم المختارين منه كان لا بد أن ربنا يسوع المسيح كالبديل يموت عنهم فوق الصليب ويسدد كل ما كان يطالبهم به العدل الإلهى ، إذ وضع الله عليه إثم جميعهم (أش ٥٣ : ٦) كما هو مكتوب « لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) .

وهكذا الله فى نعمته ورحمته قد دعا الأمم ، ودعاهم على قدم المساواة مع شعبه القديم لماذا ؟ لأنهم فقدوا امتيازاتهم برفضهم المسيح . ولذلك يقول الله « أتراءف على من أتراءف » أى أتراءف على هؤلاء الذين أخطأوا ، وأتراءف على غيرهم أيضاً ، فالرأفة ليست قاصرة عليهم وحدهم ، بل إذا كان يرحم هؤلاء الذين أخطأوا فهو حر فى أن يرحم غيرهم أيضاً على قدم المساواة . إن الجميع يستحقون الدينونة لكن الله يرحم من يشاء . وقد أتى الرسول بموضوع الاختيار لكى يبين هذا المبدأ أن الله له مطلق السلطان أن يدعو الأمم ويرحمهم كما دعا الشعب القديم أيضاً .

لأنه يقول الكتاب لفرعون إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض (ع ١٧)

إن من صفات الله الرحمة والحق ، الرحمة والعدل ، الرحمة والغضب والدينونة . وهو بين رحمته كما بين أيضاً غضبه ودينونته . وعندما يتكلم الوحى عن سلطان الله المطلق فليس معنى هذا أنه سلطان تعسفى . حاشا . ليس أنه يرحم من يشاء ويهلك من يشاء . حاشا . صحيح أن له هذا السلطان ولكنه يستخدم سلطانه فى الرحمة فقط . وهو يريد أن يخلص الجميع ، ولكن الدينونة يجلبها الإنسان على نفسه بسبب عناده وقساوته . الله « يسر بالرأفة » « ولا يسر بموت الشرير » .

ولكن الإنسان غير المؤمن يريد أن يجلس على العرش لكى يحكم فى أعمال الله . هذا هو الإنسان الكافر . أما المؤمن حتى إن كان لا يفهم بعض أعمال الله لكنه لا يعترض عليها . مرة قال إرميا النبى « أبرّ أنت يا رب من أن أخاصمك . لكن أكلمك من جهة أحكامك : لماذا تنجح طريق الأشرار » (إر ١٢ : ١) . فهو يعترف مبدئياً بأن الله بار لكن توجد أشياء لا يفهمها فيسأله عنها « لماذا تنجح طريق الأشرار » . إنه يعترف بحكمة الله

العالية لكنه يسأل بكل تأدب عن هذا الأمر . والله له حق أن يجيب أو لا يجيب لأننا لا نستطيع أن نفهم الله فى كل أعماله وأفكاره ، لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت أفكاره عن أفكارنا ، وطرقه عن طرقنا ، كما يقول أيوب « القدير لا ندركه » . لولا أن الله أعلن ذاته لنا هل كنا نستطيع أن ندركه أو نحيط به ؟ كلا . إننا نفهم الجوانب التى شاء الله أن يعلنها لنا ، كما يقول موسى « السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا » . إنه يتنازل ليقول لنا بالروح القدس ليقنعنا بعظم محبته « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء ؟ » هل توجد بعد ذلك محبة ؟ ومع كل هذا يجرؤ الإنسان على مناقشة سلطان الله فى الرحمة وفى الدينونة .

فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء (ع ١٨)

هذا هو حقه وسلطانه ولكن متى يقسى الله الإنسان وكيف يقسيه ؟ لنأخذ لذلك مثالين أو ثلاثة : المثال الأول فرعون متى قسى الله قلبه ، وما هى الطريقة التى بها قسى قلبه ؟

مكتوب فى سفر الخروج عن فرعون ٣ عبارات :

العبارة الأولى أن « فرعون أغلظ قلبه » (خر ٨ : ١٥ و٣٢ ، ٩ : ٣٤) .

والعبارة الثانية « فاشتد قلب فرعون » (خر ٩ : ٣٥) أى أنه تقسى بعامل من ذاته .

أما العبارة الثالثة فهى « شدد الرب قلب فرعون » (خر ١٠ : ٢٠ ، ٢٧) .

فرعون تقسى من ذاته . والله أعطاه مهلة طويلة ، وأخيراً أصدر عليه الحكم وختم على دينونته « فشدد قلبه » ، والعجيب أنه شدد قلب فرعون بواسطة رحمته وطول أناته .

بعد وقوع ضربة الضفادع طلب فرعون رحمة من الرب فرحمه ، وثانى

مرة طلب الرحمة فرحمه ، وهكذا ثالث مرة . ولـكن الرحمة نفسها كانت عاملا على تقسية قلب فرعون .

توجد آية فى سفر الجامعة تؤيد ذلك « لأن القضاء على العمل الردىء لا يجرى سريعاً فلذلك قد امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر » (جا ٨ : ١١) أى أن طول أناة الله على البشر يجعلهم يتوهمون أنه لا توجد دينونة فيفعلون الشر باطمئنان . فأناة الله التى كان يجب أن تقتادهم إلى التوبة هى التى تجعلهم يقسون قلوبهم ، كما يقول الوحى « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة . ولـكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢ : ٤ — ٦) . فلطف الله ورحمته يجتذبان البعض ويقسيان البعض الآخر . ويوجد مثال جميل لذلك : الشمس ، فهى تذيب الثلج ، ولـكنها تقسى الطين وتجعله صلباً .

على أن « غضب الإنسان يحمده » (مز ٧٦ : ١٠) فاستخدم الله قساوة فرعون وعناده لتمجيد اسمه « لـكى أظهر فيك قوتى ولـكى ينادى باسمى فى كل الأرض » وقد ردد الشعب هذا القصد فى تسبيحتهم للرب على شاطىء البحر قائلين « يسمع الشعوب فيرتعدون . تأخذ الرعدة سكان فلسطين . أقوياء موآب تأخذهم الرجفة . يذوب جميع سكان كنعان تقع عليهم الهيبة والرعب » (خر ١٥ : ١٤ — ١٦) . وهذا ما حدث فعلا حيث قالت راحاب للجاسوسين « إن رعبكم قد وقع علينا وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم لأننا قد سمعنا كيف يبَّس الرب مياه بحر سوف قدامكم . سمعنا فذابت قلوبنا . . لأن الرب إلهكم هو الله فى السماء من فوق وعلى الأرض من تحت » (يش ٢ : ١٠) .

المثال الثانى : شعب إسرائيل نفسه . فإن الله عاملهم بالرحمة واللطف وأرسل إليهم قضاة ليخلصهم — الواحد تلو الآخر ، ثم أرسل إليهم أنبياء كثيرين

مبكراً ومرسلا لكي يحذروهم وينذروهم فقتلوهم ولم يسمعوا كلام الرب ، ثم أرسل إليهم يوحنا المعمدان لكى يهيئهم للتوبة وقبول المسيا فرفضوه وقتلوه . وأخيراً جاء إليهم بنفسه وأرسل تلاميذه إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ولكنهم رفضوه بإصرار وعناد « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) . بعد كل هذا الإمهال وطول الأناة أصدر عليهم القضاء «غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » (اش ٦ : ٩ و١٠ ، يو ١٢ : ٤٠ ، أع ٢٨ : ٢٦ و ٢٧)(١)

وفى هذا يقول اليهو « الله يتكلم مرة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان . . . حينئذ يكشف (يفتح) آذان النـاس ويختم على تأديبهم » (أى ٣٣ : ١٤ ، ١٦) .

فستقول لى لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته (ع ١٩)

ينكر الإنسان عناده وعصيانه ورفضه لنعمة الله التى قدمت إليه مراراً كثيرة ، ويحاول أن يلقى التبعة على الله ، وينكر عليه حقه فى الدينونة . ولكن الإنسان الذى يرفع عقيرته الآن معترضاً على الله سوف يستد فمه عندما يقف ليدان بحسب أعماله أمام العرش العظيم الأبيض (رؤ ٢٠ : ١١ و ١٢) . ستسقط كل حجة من لسانه حيث يشتكى عليه ضميره نفسه وسيتبرر الله فى كلامه ويزكو فى قضائه (رو ٢ : ١٥ و١٦ و ٣ : ٤)

فى مثل العشاء العظيم فى لو ١٤ قدمت الدعوة للمدعوين وأرسل العبد ليأتى بهم إلى العشاء بعد أن أعدّ لهم كل شيء « فابتدأ الجميع برأى واحد

(١) وهناك مثال ثالث فى المرتدين من المسيحيين بالاسم فإنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا . ولأجل هذا سيرسل الله إليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم (٢ تس ٢ : ١٠ ــ ١٢) .

يستعفون » (ع ١٨) معتذرين بأعذارهم التافهةالتي تبين أنهما كهم فيأمورهم الزمنية وانصرافهم عن صاحب الدعوة ، وعدم تقديرهم لعشائه العظيم . فعلى من تقع المسئولية ؟إن نعمة الله مقدمة للجميع ، والنداء موجه لجميع الناس أن يقبلوا إلى المسيح لنوال الخلاص «تعالوا إليّ ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) .

والله أحب العالم وبذل ابنه الوحيد « لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . والمسيح يصرح قائلا « من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً » (يو ٦ : ٣٧) « والله يسر بالرأفة » (ميخا ٧ : ١٨) « ولايسر بموت الشرير بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » (حز ٣٣ : ١١) .

إن المعترض جاحد لنعمة الله ورحمته . بل ماأجحده ! وما أوقحه حينما يجرؤ على القول « لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ؟ » كأنه يريد أن يقول أنا أريد أن أخلص ولكن ما باليد حيلة لأن الله يريد أن يهلكنى ، وأنا لا أقدر أن أقاوم مشيئته . هذه مغالطة ظاهرة .

إن مشيئة الله هى خلاص الإنسان لا هلاكه « وهو لايشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلىالتوبة » (٢ بط ٣:٩) .إنه « يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ٤) . فالإنسان يهلك لأنه يقاوم مشيئة الله فى خلاصه . هذا هو الصحيح . أما اعتراضه « من يقاوم مشيئته » فهو الكذب بعينه . هل حاول الإنسان أن يقبل إلى الله للخلاص ولم يستطع مقاومة مشيئة الله الذى يريد أن يهلكه ؟ ياللجحود وقلب الأوضاع !

قال الله للشعب قديماً « جربونى » (ملا ٣ : ١٠) ونحن نقول لهذا المعترض جرب كلام المسيح إذا شئت وتعال إليه ، وانظر — إذا أخرجك

خارجاً بحجة أنك غير مختار ، يكون لك حق فى اعتراضك . لكن الواقع أنك لاتريد أن تأتى إليه لأنك تحب خطاياك وتخاف لئلا يخلصك منها . وفى الوقت نفسه أنت لاتريد أن تصدق الله ولاتؤمن بكلمته وبرحمته التى أعدها لك .

يعتقد بعض الناس أن الإنسان مسير لامخير ، وهذا اعتقاد خاطىء . إن الحيوان هو المسير لأنه ليست له حرية الإرادة ، وقد أخضع للبطل « ليس طوعاً » أى ليس بإرادته ، بل من أجل الإنسان الذى أخضعه . والإنسان يمسك بزمام الحيوان ويوجهه قسراً كما يريد .

أما الإنسان بعد ما خلقه الله على صورته وأعطاه روحاً وعقلا وإرادة حرة ، فهو يستطيع أن يعصى الله ويستطيع أن يطيعه . والله يعمل بكل وسائله لإبعاده عن طريق العصيان واقتياده إلى طريق الطاعة . ولكن الإنسان يستطيع أن يقاوم مشيئة الله ويتبع إرادته العاصية فيجلب الهلاك على نفسه . وإذا فعل هذا وسار فى طريق الشر والفساد لايجوز له أن يعترض بالقول إن هذا مقدّر عليه « لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لايجرب أحداً ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته » (يع ١ : ١٣و١٤).

ويجب أن نفرق بين سلطان الله المطلق فى الاختيار ، وبين مسئولية الإنسان . على الإنسان أن يقوم بمسئوليته ويقبل نداء الرحمة الموجه إليه فيخلص ، وليس عليه أن يناقش مقاصد الله العالية التى تسمو عن الفحص.

إن أقوى برهان على أن مقاصد الله شىء ومسئولية الإنسان شىء آخر هو صليب المسيح نفسه . لقد صلب المسيح بموجب « مشورة الله المحتومة وعلم الله الآب السابق » . ولكن هل هذا يضعف من أثم قاتليه وجريمتهم؟ هل تتعارض مشورة الله مع الحقيقة الواضحة عن مسئولية كل الذين تآمروا ضده وبأيدى أثمة قتلوه ؟ وهل يضعف هذا من استحقاقهم للدينونة على هذه

الجريمة ؟ لقد واجه بطرس اليهود بهذه التهمة أنهم بأيدى أثمة قتلوه وصلبوه ، ولو أنه تسلم إليهم « بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق » (أ ع ٢ : ٢٣) فكلمة الله تضع كل شيء فى مكانه ، ولاتتخذ وجهاً واحداً فقط بل الوجهين معاً . فما كان يمكن أن يسلم المسيح لليهود إلا بموجب « مشورة الله المحتومة وعلمه السابق » . ولكن اليهود بقلوب مليئة حسداً وحقداً وبأيد آثمة صلبوه ، والأمم أيضاً لعبوا دورهم فى الجريمة . وبهذا عينه تمت النبوات وحقت عليهم دينونة الله العادلة .

إذا كان المتسائل عن حقيقة الاختيار شخصاً يشتاق فعلا إلى خلاص نفسه ولكنه يخاف لئلا يرفضه الله لأنه غير مختار ، فليطمئن لأن خوفه هذا لا أساس له بالمرة إذ أن الله يريد خلاصه أكثر مما يريد هو خلاص نفسه . بل إن الله هو الذى أوجد فيه هذا الشوق ، وما أوجده إلا لكى يشبعه ويحققه ، لأن الله هو الذى يطلب الإنسان وليس الإنسان الذى يطلب الله . كما هو مكتوب « ليس من يفهم ليس من يطلب الله » أما المسيح فقد جاء من السماء لا لكى يطلب فقط بل « لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » وقد أكد لنا أنه يكون فرح عظيم فى السماء بخاطىء واحد يتوب ويخلص .

أما إذا كان المتسائل معترضاً يناقش سلطان الله وينصب نفسه قاضياً ليحكم على ما أعلنه الله فى كتابه . فليحذر لأن هذا ضرب من ضروب الكفر ، كما أنه يكذب الله فيما أعلنه عن رغبته وسروره بخلاص الإنسان ، وأنه يعمل بكل الوسائل حتى « لا يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة » الواقع أن وراء الاعتراض على الاختيار ليس الخوف من الهلاك بل الرغبة فى الاستمرار فى العيشة فى الخطية .

أما حقيقة الاختيار فهى معلنة بوضوح فى الكتاب ويفهمها المؤمنون بعد إيمانهم وتكون مادة شكر لأنهم أتوا إلى المسيح ، ولا فضل لهم لأن

ما كانوا ليأتوا لولا أن الآب اجتذبهم إليه بنعمته (يو ٦ : ٤٤). ولكن ليس الاختيار سلاحاً لكى يشهره الإنسان ضد الله .

بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله ؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان ؟ (ع ٢٠ ، ٢١)

يرد الرسول على الاعتراضين الواردين فى العدد السابق مبدئياً بعدم اختصاص الإنسان كمخلوق حقير مصنوع من تراب أن يحاكم الله الخالق العظيم الكلى الحكمة والقدرة — ثم يرد أيضاً بأنه من حقوق الله وفى دائرة سلطانه كالخالق أن يكيف خليقته كما يشاء ، لأنه إذا كان للخزاف سلطان على الطين أن يصنع فيه مايشاء فبالأولى الله الخالق العظيم . لأن الإنسان ماهو إلا إناء خزفى (٢ كو ٤:٧) « خزف بين أخزاف الأرض » (اش٤٥:٩) والأمم كلها بالنسبة للخالق « كغبار الميزان تحسب » (اش ٤٠ : ١٣) ولكن الرسول لا يكتفى بهذه الإجابة ولكنه يدعو الإنسان مبدئياً لأخذ مركزه الصحيح والوقوف أمام الله فى حالة التأدب اللائق . فإذا مافعل الإنسان ذلك كابرهيم الذى قال « إنى قد شرعت أ كلم المولى وأنا تراب ورماد » (تك ١٨ : ٢٧) أو أيوب الذى قال « لذلك أرفض (نفسى) وأندم فى التراب والرماد » (٤٢ : ٦) إذا ما فعل ذلك فإن الوحى يتنازل ويفسر له الأمر بوضوح مقنع فى الأعداد التالية .

فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك . ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد (ع٢٢و٢٣)

سبق أن قال الرسول فى العدد السابق إن للخزاف سلطاناً على الطين أن

يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان ، وليس من حق الجبلة أن تعترض وتقول لجابلها : لماذا صنعتني هكذا . ولكن الرسول يقول فى ع ٢٢ إن الله مع أن له هذا السلطان ، كما للخزاف سلطان ، ولكنه لم يستعمل هذا السلطان ويصنع مثل الخزاف إناء للكرامة وآخر للهوان ، بل « الله صنع الإنسان مستقيما » (جا ٧ : ٢٩) . وآنية الغضب هى التى هيأت نفسها للهلاك . ومع ذلك احتملها الله بأناة كثيرة وأعطاها الفرصة تلو الفرصة للتوبة والرجوع كما فعل مع فرعون ، ومع البشر الأشرار قبل الطوفان مرسلا لهم الإنذار والكرازة بالبر ، وكانت أناة الله تنتظر عليهم (١ بط ١٣ : ٢٠) مدة مائة سنة . وكما احتمل الأموريين نحو أربعمائة سنة حتى أكملوا مكيال شرهم (تك ١٥ : ١٦) .

ما أرق قلب الله ! إنه لا يتعجل القضاء والدينونة . لأنها عمله الغريب (إش ٢٨ : ٢١) أى غريب عن طبيعته التى هى « محبة » . فمع أن الرسول يؤيد سلطان الله المطلق ويقول إنه لو صنع إناء للكرامة وآخر للهوان فهذا من حقه وسلطانه وليس للجبلة أن تعترض ، ولكن الله لم يفعل هذا . غير أنه توجد آنية صنعها الله مستقيمة ولكنها هيأت نفسها للهلاك ، ومع ذلك احتملها الله بأناة كثيرة . ولكنه فى النهاية . بالنسبة لعدله وقداسته ، لا بد أن يبيّن فيها قوته ويظهر غضبه ، بعد التمهل وطول الأناة ، فلا عذر للإنسان ، ولا لوم على الله — حاشا .

أما آنية الرحمة فقد سبق الله وأعدها للمجد . أى أنه لا فضل لها لأن الله هو الذى أعدها سابقاً فى مقاصده الأزلية بمقتضى سلطانه أن يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف . وفى آنية الرحمة يبين الله « غنى مجده » كما أنه فى آنية الغضب يبين « قوته » . ولا فضل للأولى « لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه » . ولا عذر للثانية لأنه احتملها بأناة كثيرة وهيأ لها كل

الفرص[١] . ونلاحظ أنه لايقول آنية كرامة ، بل آنية رحمة ، لأن الكرامة أتت إليها من مجرد رحمة الله .

التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً (ع ٢٤)

أي أنه بعد أن فقد اليهودى امتيازاته بسبب رفضه للمسيح أصبحت المسألة الآن متوقفة على رحمة الله ، فدعا آنية رحمة ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً . وكأن الرسول يقول لليهودى : هل تريد أن تقصر رحمة الله عليك أنت وحدك ؟ إن الله يرحم من يشاء . عندما كان بولس فى أنطاكية بيسيدية كلم الجمهور فى المجمع بكلام كثير . فلما قاومه اليهود مناقضين ومجدفين قال لهم ، إذ دفعتم كلمة الله عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه للأمم لأن هكذا أوصانا الرب ، (أع ١٣ : ٤٦و٤٧) فأثاروا ضده اضطهاداً شديداً وأخرجوه من تخومهم لأنهم لم يطيقوا أن رحمة الله تصل إلى الأمم .

لقد هرب يونان من وجه الله . لماذا ؟ لأنه خاف لئلا يندم الله على الشر ويرحم نينوى لأنه علم أن الله رحوم . وما الذى يضيره فى أن يكون الله رحيماً ؟ وكأن الله يقول له : إنى أريد أن تكون أنت السبب فى توصيل الرحمة إليهم . ولكنه رفض لأنه يهودى ولا يريد أن يقوم بهذه المهمة لرحمة الأمم . وبناء عليه هرب من وجه الله . فالرسول هنا يثبت أن الله دعا من

---

(١) غير المؤمنين يعترضون دائماً على أعمال الله ، فلو كان الله قد ترك الجميع فى خطاياهم وعاقبهم إلى الأبد لاعترضوا عليه بأنه ليست فيه محبة ولما لم يفعل هكذا بل دعا الجميع إلى التوبة ليخلصهم مجاناً لم يرد أحد منهم أن يأتى . ولما شاء أن يختار البعض بحسب مشيئته وسلطانه ويأتى بهم إلى الخلاص يتهمه الآخرون بالظلم مع أنهم هم المسئولون لأنهم لا يريدون الخلاص وترك الخطية .

اليهود والأمم على قدم المساواة ليكونوا أوانى لرحمته . وفى الأصحاحات ٩ ، ١٠ ، ١١ يأتى بثلاثين اقتباساً من العهد القديم لكى يقنعهم أن اختيار الأمم مكتوب فى الناموس والمزامير والانبياء . فموسى نفسه الذى أتى بالناموس ، وإشعيا نبيهم العظيم ، وهوشع وكل أنبياء العهد القديم تكلموا فى صلب العهد القديم عن دعوة الله للأمم .

كما يقول فى هوشع أيضاً سأدعو الذى ليس شعبى شعبى والتى ليست محبوبة محبوبة (ع ٢٥)

هذا الاقتباس من هو ٢ : ٢٣ . وهو وكل الاقتباسات هنا تنطبق مبدئياً على الشعب القديم لكن الروح القدس يطبقها على الأمم تطبيقاً عجيباً . فالروح القدس الذى كتبها هو الذى يفسرها تفسيراً منطقياً جميلا .

من هم الذين قال لهم « لستم شعبى ؟ » هم شعبه القديم الذين رفضهم ، وقال لهم أدعوكم « لوعمى لأنكم لستم شعبى » (هو ١ : ٩) كلمة « لو » معناها لا وكلمة « عمى » معناها شعبى « لوعمى » لستم شعبى . ودعاهم أيضاً « لو رحامة » أى لا أعود أرحمكم .

فلا رحمة لهم لأن الله رفضهم . ولكنه يعود فى الأصحاح الثانى من هوشع ويبين أنه سيأتى وقت فى المستقبل « فى ذلك اليوم ... ارحم لورحامة وأقول للوعمى أنت شعبى » (هو ٢ : ٢١ و ٢٣) وذلك فى الدهر الآتى بعد أن يسكب عليهم روح النعمة والتضرعات ، وبعد أن يعطيهم قلباً جديداً ، كما يقول يوئيل « إنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ... قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف » (يو ٢ : ٢٨ — ٣١) وكما يقول إرميا « هذا هو العهد الذى أقطعه (معهم) بعد تلك الأيام ... أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم لأنى أصفح

عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد (إر ٣١ : ٣٣ و ٣٤) وذلك فى المستقبل ، بعد أن يجيزهم فى الضيقة العظيمة ثم يرجع ويرحمهم .
والرسول هنا يطبق ذلك على الأمم الذين لم يكونوا شعبه من الأصل . وكأنه يقول إذا كان الشعب الذى أعلن الله رفضه له سيعود ويرحمه فإنه سيرحم الأمم أيضاً الذين لم يكونوا من الأصل شعبه .

ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحى (ع ٢٦)

والرسول بطرس أيضاً يقتبس هو ١ : ١٠ إذ يقول للمؤمنين من اليهود الذين كتب الرسالة إليهم « الذين قبلا لم تكونوا شعباً ، وأما الآن فأنتم شعب الله » (١ بط ٢ : ١٥) . هذه هى بركات العهد الجديد التى صارت الآن بالإنجيل للمؤمنين من اليهود والأمم على السواء ، مع أنه موعود بها فى الأصل للشعب الذى كان له العهد القديم كقول الرسول « هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمل معهم عهداً جديداً لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم » (عب ٨ : ٨ و٩) فالذين صنع معهم العهد القديم هم الذين سيصنع معهم العهد الجديد ، ولكن البركات الروحية التى للعهد الجديد أصبحت للمؤمنين بالإنجيل ولكنها ستتم أيضاً فى المستقبل للشعب المرفوض الآن . وقد قال الرب للتلاميذ عندما رسم لهم العشاء « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى » (١ كو ١١ : ٢٥) . ولنلاحظ أننا لسنا طرفاً فى العهد الجديد ، بل المسيح وحده هو ضامن هذا العهد (عب ٧ : ٢٢) .

ولنلاحظ أيضاً أنه قيل لهم « لستم شعبى » ولكن فى العهد الجديد لا يقال « شعبى » فقط بل « ويدعون أبناء الله الحى » وهذه أيضاً يطبقها الرسول هنا على الأمم الذين لم يكونوا من شعبه ولكنهم الآن بالإيمان « أبناء الله » كما فى الأصحاح السابق « أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب » .

وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص (ع ٢٧)

أى ليس الكل ولكن « البقية » حسب اختيار النعمة ، فبركات العهد الجديد هى بحسب اختيار النعمة لبقية من الشعب القديم مع المؤمنين من الأمم على أن الكلام فى سفر إشعياء هو عن البقية المختارة للملك الألفى فى المستقبل بعد اجتيازها فى الضيقة العظيمة .

لأنه متمم أمر وقاض بالبر . لأن الرب يصنع أمراً مقضيا به على الأرض (ع ٢٨)

هذه الأقوال مقتبسة من إش ١٠ : ٢٢ و ٢٣ وهى خاصة بالدينونة على الأرض التى سيجريها الرب يسوع عند ظهوره بالمجد ، وقبل إقامة الملك الألفى السعيد على الأرض ، فإنه سيظهر ليتمم الأمر المقضى به بالبر أى بالعدل ، ولكن ستخلص بقية فقط على أساس النعمة . ولكى نفهم هذا بأكثر وضوح لنرجع إلى إش ٤ : ٢ — ٤ حيث نقرأ « فى ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاءً ومجداً ... ويكون أن الذى يبقى (البقية الناجية من الضيقة العظيمة) يسمى قدوساً ... إذا غسل السيد قذر بنات صهيون — بروح القضاء وبروح الإحراق » هذا ما سيتممه الله فى الأرض . ثم يأتى الرسول باقتباس آخر .

وكما سبق إشعياء فقال « لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة (ع ٢٩)

هذا الاقتباس مأخوذ من إش ١ : ٩ — ماذا حدث فى سدوم وعمورة ؟ نزلت نار من السماء وأبادت سكان الدائرة كلها . وهكذا يقول لهم الرب هنا : أنتم مثلهم : مستحقون القضاء ويسميهم « قضاة سدوم وشعب عمورة »

(إش ١ : ١٠) ولكن الرب أبقى لهم « بقية صغيرة » ستزرع فى الأرض بعد الدينونة « وأزرعها لنفسى فى الأرض » (هو ٢ : ٢٣) . سيحدث هذا فى مدة الضيقة العظيمة ، إذ يبقى الرب بقية مثل البذار التى ستزرع فى الأرض فى مدة الألف السنة . وهذا هو ما يقول عنه فى هوشع « لأن يوم يزرعيل عظيم » (هو ١ : ١١) وكلمة « يزرعيل » معناها « الله يزرع » . فبعد أن يمحو الأشرار من وجه الأرض كسدوم وعمورة يبقى بذاراً ستزرع وتأتى بثمر ، لأن الذين يدخلون ملك الألف السنة هم البقية من الشعب القديم مع الذين يؤمنون من الأمم أيضاً .

سيزرعون ويثمرون فى مدة الألف السنة ولا يكون هناك موت إلا للشرير المتمرد من الذين سيولدون أثناء الملك ولا يتجددون .

فماذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر البر أدركوا البر ، البر الذى بالإيمان (ع ٣٠)

مع أن اليهود لا يقبلون هذا ، لأن الأمم كانوا غارقين فى الوثنية والشر ، ولكن رحمة الله أدركتهم . لقد «أسلمهم الله فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة» (ص ١ : ٢٤) ولم يسعوا فى أثر البر ، لأنه ليس أحد يفهم أو يطلب الله ، لكنهم أدركوا البر بالإيمان بالمسيح .

ولكن إسرائيل وهو يسعى فى أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر (ع ٣١)

امتاز الشعب القديم عن الأمم بأنه كان يسعى فى أثر البر ، وكان لهم الناموس ، وكانوا يسعون للوصول إلى البر عن طريق الناموس ، ولكن « ليس البر بالناموس » و « بأعمال الناموس لا يتبرر كل ذى جسد أمامه » ولذلك كان سعيهم فاشلا ولم يدركوا ناموس البر .

لماذا ؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس . فانهم اصطدموا بحجر الصدمة (ع ٣٢)

من هو حجر الصدمة ؟ هو الرب يسوع المسيح له المجد . لقد جاء متواضعاً ومتنازلا فاصطدموا به . إن الحجر الذى يصطدم به الإنسان ويعثر وهو سائر فى الطريق ليس هو الحجر العالى بل المنخفض على الأرض فيعثر به من لا يراه ويسقط . وهكذا المسيح فى تواضعه كان صدمة لغير المؤمنين فلم يصدقوا أنه المسيا ، ولم يروا فيه صورة ولا جمالا ملكياً فقالوا « أليس هذا هو النجار ابن مريم ؟ » لقد صار بالنسبة لهم « حجر صدمة » . لقد كانوا يتمسكون ببر أنفسهم ولكنه كشف لهم أن برهم زائف قائلا لهم « ويل لكم أيها المراؤون » وأظهر لهم خفيات قلوبهم . لقد فشلوا فى الوصول إلى البر « لماذا ؟ لأنهم فعلوا ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس » .

« فاصطدموا بحجر الصدمة » وهكذا كل من ينحو نحوهم ويسعى إلى البر كأنه بأعمال الناموس ، لأن هذا الطريق لا يوصل إلى البر .

كما هو مكتوب ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة . وكل من يؤمن به لا يخزى (ع ٣٣)

مع أن المسيح حجر مختار وكريم كما هو مكتوب فى مزمور ١١٨ : ٢٢ ، وفى ١ بط ٢ : ٦ و ٧ ، ولكنه صار لغير المؤمنين حجر صدمة وصخرة عثرة كما يقول إشعيا « ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبنى إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم » (إش ٨ : ١٤) .

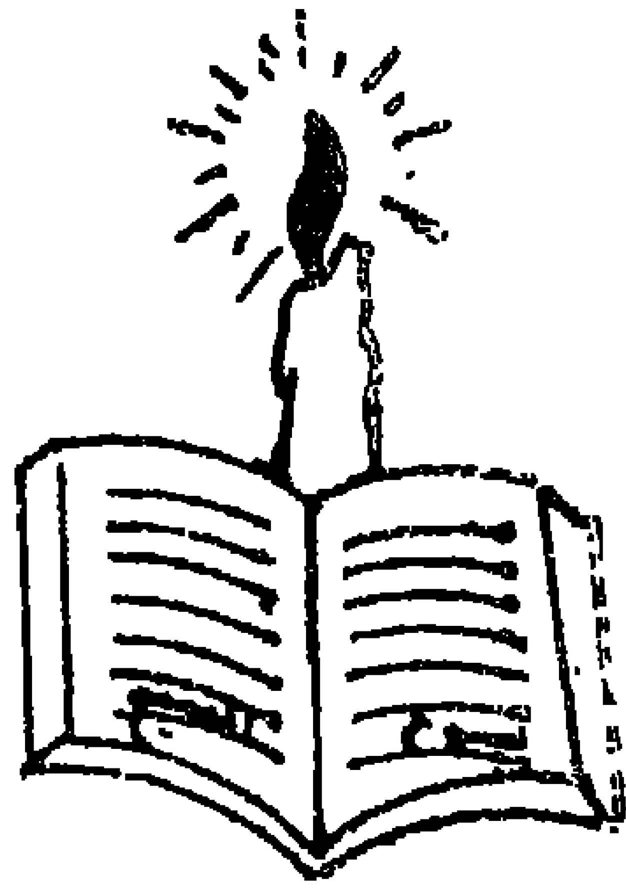
ثم يقول الرسول « وكل من يؤمن به لا يخزى » .

وعبارة « كل من » عبارة جميلة تزيل الفوارق بين الأمم واليهود

وقد كررها الرسول فى ص ١٠ : ١١ . وترد أيضاً فى ص ١٠ : ٤ حيث يقول الرسول « لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » .

فالآن زالت كل الفواصل والفوارق ، ويقول الرسول أيضاً « لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به » (رو ١٠ : ١٢) . وفى ع ١٣ يقول « وكل من يدعو باسم الرب يخلص » . فالجميع على قدم المساواة .

« هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) .



الأصحاح العاشر

أيها الاخوة إن مسرة قلبي وطلبتي الى الله لأجل اسرائيل هي للخلاص لأني أشهد أنه لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة (ع ١، ٢)

يعود الرسول فى هذا الأصحاح ويعقد مقابلة بين الناموس والإنجيل . وبين الأعمال والأيمان . ويبدأ بنفس الرغبة الحبية التى أبداها فى مستهل الأصحاح السابق حيث قال : « لأن لى حزناً عظيما ووجعاً فى قلبى لا ينقطع لأجل إخوتى وأنسبائى حسب الجسد » . ولكنه فى مستهل هذا الأصحاح يبلورهذه الرغبة إلى صلاة لأجل إسرائيل للخلاص . كم كان الرسول يصلى ! وما أوسع دائرة صلواته ! لأجل كل المؤمنين ، وكل الكنائس ، وكل نواحى عمل الرب . ليتنا نتمثل به فى هذا .

« لأنى أشهد أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة » هذه الغيرة كانت « لله » ، ولكنها لم تكن « حسب المعرفة » ، ولذلك قادتهم لاضطهاد المسيحيين ، كما فعل هو شخصياً قبل الإيمان إذ كان يسوق المسيحيين رجالا ونساء موثقين إلى أورشليم للمحاكمة والقتل . والغيرة التى كانت عند اليهود قادتهم أن يرجموا استفانوس الشهيد الأول . ماأردأ التدين البشرى المتعصب! وسبق أن قال الرب لتلاميذه « تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو ١٦ : ٢) ، وقال الحكيم « توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت » (أم ١٤ : ١٢) . وهذا ما حدث فى العصور المظلمة لأن هذه الغيرة الجسدية هى التى أشعلت نيران الاضطهاد والحروب ضد قديسى الله الذين كانوا يسمونهم « الهراطقة » ، كما نقرأ فى تاريخ الكنيسة. ومن غيرة اليهود التى ليست حسب المعرفة أنهم كانوا يطوفون البحر والبر

ليكسبوا دخيلا واحداً ولكن الرب كشف رياءهم إذ يقول لهم « ومتى حصل تصنعونه إبناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً » (مت ٢٣ : ١٥)

لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله (ع ٣) .

نجد هنا شرين عظيمين : الأول ، جهل بر الله . والثانى طلب تثبيت بر أنفسهم . والشر الثانى مبنى على الأول ، لأنهم لو عرفوا بر الله على حقيقته لاحتقروا بر أنفسهم بل لحسبوه نجاسة وقذارة كما هو بالحقيقة « صرنا كلنا كنجس . وكثوب عدة كل أعمال برنا » (إش ٦٤ : ٦) ، ولصرخوا مع إشعياء عندما رأى مجد الرب « ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين » (إش ٦ : ٥) . وهكذا كثيرون من المسيحيين للآن إذ يجهلون بر الله يظنون أنه يمكنهم إنتاج بر ذاتى ، فتكون النتيجة أنهم لا يخضعون لبر الله . إن بر الله لا يحتاج إلا إلى الخضوع .

إخضع لبر الله تأخذه ، لأن بر الله « قريب » (إش ٥١ : ٥) إنه هبة مجانية مقدمة للجميع « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح » . ولكنه يتطلب الخضوع ، لأنه لا يقبله كهبة مجانية إلا الإنسان الخاضع المنكسر الذى اقتنع أنه ليس له بر فى ذاته[1] أما من يريد أن يثبت بر نفسه فلا يخضع لبر الله .

فى رسالة غلاطية يقول الرسول « إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال

---

(١) كان الرسول نفسه قبل أن يرى الرب يتمسك ببره الذاتى إذ يقول « من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم » ولكن بعد أن رأى الرب فى مجده خضع لبر الله ولم يكن معانداً للرؤيا السماوية ، ولذلك يقول « وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح ، البر الذى من الله بالإيمان » (فى ٣ : ٦ — ٩)

الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس » (غلا ٢ : ١٦) أى أننا آمنا بموت المسيح الكفارى لتبرير نا أمام الله ، وبذلك هدمنا بر أنفسنا لنثبت بر الإيمان بالمسيح. ثم يقول « إن كنت أبني أيضاً هذا الذى قد هدمته (أى بر نفسى) . فإنى أظهر نفسى (أنى عندما هدمته كنت) متعدياً » (ع ١٨) . إذن طريق الحصول على البر هو إحناء الرأس خضوعاً لبر الله واعترافاً بأنه ليس لى بر بأعمالى .

لأنه غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن (ع ٤)

إن الغاية التى قصدها الله من إعطاء الناموس ، أو الهدف الذى كان الله يرمى إليه بواسطة الناموس ، هو أن يقودنا للمسيح لنتبرر بالإيمان . هل الناموس يوصل للمسيح ؟ نعم . بأى طريق ؟ بأن يقنع الإنسان بأنه خاطىء هالك وأنه عاجز تمام العجز عن إنتاج بر لله ، ثم يوصله إلى المسيح . فلم يرسل الله الناموس لكى يبرر الإنسان بل لكى يدينه « لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيى لكان بالحقيقة البر بالناموس » (غلا ٣ : ٢١) ولكن لا يمكن لأحد أن يتبرر بالناموس . بل كان للناموس غاية يهدف إليها وهى « المسيح للبر لكل من يؤمن » . وفى هذا الاتجاه عينه يقول الرسول « فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى قد وعد له » (غلا ٣ : ١٩) . بدون الناموس لم أعرف الخطية ، ولا تحسب الخطايا أنها تعديات . ولكن الناموس يثبت أن الخطايا التى يفعلها الإنسان هى تعديات على وصايا الله ويدينها ، ثم يقودنى للمسيح لأتبرر بالإيمان . ثم إذا كان المسيح هو غاية الناموس فهو نهايته ، أى أنى بعد أن وصلت للمسيح انتهيت من الناموس لأنه قد أدى مهمته وأتم غرضه ، كما يقول الرسول « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئاً » (عب ٧ : ١٨ ، ١٩)

وكما أوضح الرسول فى الأصحاح السابع . إن المؤمن ليس تحت الناموس للتبرير ولا كقاعدة للسلوك لأنه انفصل عنه كالمرأة التى فصل الموت بينها وبين زوجها القديم .

لأن موسى يكتب فى البر الذى بالناموس إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها (ع ٥)

هذا الاقتباس من لاويين ١٨ : ٥ . والمقصود بعبارة « يحيا بها » ليس الحياة الأبدية بل الحياة فى الأرض التى أعطاها لهم الرب ، لأنه لم يعط ناموس قادر أن يحيي . كما أن المقصود بكلمة « يفعلها » أن يفعلها كلها لأن من عثر فى واحدة صار مجرماً فى الكل . والنتيجة أنه ولا واحد استطاع أن يفعلها ويحيا بها .

فى هذا القسم الثانى التدبيرى الذى يبدأ من الأصحاح التاسع يتكلم الرسول عن التبرير ولكن تدبيرياً لا فردياً . فى القسم الأول يتكلم عن التبرير الشخصى الذى يناله الإنسان بالإيمان . ونجد هنا نفس الموضوع ولكن فى قالب جماعى إذ يتكلم الرسول عن الشعب الذى كان يسعى فى أثر ناموس البر فلم يدرك البر لأنه كان يفعل ذلك كأنه بأعمال الناموس ولكن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر الناموس لأنهم كانوا غارقين فى آثامهم وشرورهم خضعوا لبر الله الذى بالإيمان فنالوا البر . وهذا ما يذكره الرسول فى الأصحاح التاسع . ثم يقتبس من نبوة إشعياء القول « ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبنى اسرائيل » (إش ٨ : ١٤) وأيضاً « هأنذا أؤسس فى صهيون حجراً . حجر امتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً من آمن لا يهرب » (إش ٢٨ : ١٦) وأيضاً من مزمور ١١٨ : ٢٢ . والرسول بطرس فى ١ بط ٢ : ٦ — ٨ يقتبس ثلاثة فصول معاً « هأنذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذى يؤمن به لا يخزى »

(إش ٢٨ : ١٦) وأيضاً « الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية » (مز ١١٨ : ٢٢) وأيضاً « حجر صدمة وصخرة عثرة » (إش ٨ : ١٤) . والرب يسوع له المجد فى أيام جسده أضاف إلى هذه الفصول شيئاً آخر إذ قال « كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض . ومن سقط هو عليه يسحقه » (لو ٢٠ : ١٨) فالذين يرفضون هـــذا الحجر الكريم بإصرار وعناد ، فضلا عن أنهم يعثرون ويترضضون ، لابد أن يسقط هذا الحجر عليهم فى الدينونة فيسحقهم .

« وأما البر الذى بالإيمان فيقول هكذا . لا تقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى ليحدر المسيح أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الأموات . لكن ماذا يقول . الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك أى كلمة الإيمان التى نكرز بها (ع ٦ — ٨)

هذه الكلمات وردت أصلا فى سفر التثنية والرسول هنا يستخرج منها معنى جميلا بعيداً عن أفكار الإنسان ، ولكن الروح القدس الذى كتب هذه الكلمات فى سفر التثنية هو الذى يفسرها فى رسالة رومية ، وهو صاحب الحق فى التفسير .

الأصل فى سفر التثنية هكذا « إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك ليست هى فى السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . ولا هى فى عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها بل الكلمة قريبة منك جداً فى فمك وفى قلبك لتعمل بها » (تث ٣٠ : ١١-١٤)

هذا الكلام عن الناموس إذ نقرأ فى أول هذا الاصحاح « ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنة اللتان جعلتهما قدامك فإن رددت فى

قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك ، يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك . إن يكن قد بددك إلى أقصاء السموات فمن هناك يجمعك الرب إلهك ومن هناك يأخذك » . وهذا الكلام يقال للشعب الذى كسر الناموس ، ثم أتت عليهم اللعنة ووقعت عليهم التأديبات المذكورة فى الناموس ، إذ بددهم الله بين الأمم . لكن أليس هناك من مخرج ؟ بلى . يوجد مخرج ، ولكن ليس فى الناموس بل فى الرحمة « يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك » . الناموس قضى عليهم باللعنة والتبديد لكن الرد بعمل إلهى فى القلب هو على أساس الرحمة . ثم يقول « لا تقل فى قلبك (أى وأنت فى البلد البعيدة) من يصعد إلى السموات لكى يحدر الكلمة . لقد صعد موسى إلى الجبل ، وكأنه صعد إلى السماء وأتى بالكلمة — كلمة الناموس ولكن الإنسان كسره فمن يصعد مرة ثانية إلى السماء ؟ من يأتى بالكلمة مرة أخرى ؟ أو من يهبط إلى الهاوية ؟ أو يعبر إلى أقصى البحر حيث تبددوا إلى أقاصى الأرض ؟ ولكن الرب يقول لهم : لا تقل فى قلبك هكذا . لا لزوم لهذا . لأن الكلمة الأولى لم تنفع . ولكن توجد كلمة ثانية وهى « كلمة الإيمان » فالكلام فى سفر التثنية عن « كلمة الناموس » ولكن الرسول يطبقه هنا على كلمة الإيمان التى أتى بها المسيح — كلمة الله الحى — الذى جاء إلينا متنازلا من السماء من مجرد محبته ونعمته . لقد كسروا الناموس فوقعت عليهم اللعنة ، فملجؤهم بعد ذلك ليس فى الناموس بعد بل فى الإيمان « يعود الرب ويرحمك » وهذه نبوة عن آخر الأيام « اقطع معهم عهداً جديداً ... واكتب نواميسى فى قلوبهم » أى لا تكون الكلمة بعيدة عنهم بل فى قلوبهم . ولا يقول الواحد لصاحبه اعرف الرب لأن معرفة الرب ستغطى الأرض كما تغطى المياه البحر .

فما جاء فى تثنية ٣٠ عن الناموس يطبقه الرسول هنا على البر الذى

بالإيمان . فلاتقل فى قلبك من يصعد إلى السماء (وهنا يفسرها تفسيراً جديداً) أى ليحدر المسيح ، لأنه بعد أن وقع الإنسان تحت اللعنة يحتاج إلى من يرفع عنه هذه اللعنة . ومن الذى يستطيع أن يرفع اللعنة ؟ المسيح وحده الذى « افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا » (غلا ٣ : ١٣) .

وإذا جاء المسيح ومات على الصليب ودفن فى القبر، فمن يهبط إلى الهاوية لكى يقيمه ؟ هل كان يدور حتى فى خيال البشر ما فعله الله لأجلنا؟ لانحتاج أن نصعد إلى السماء لنحدر المسيح لأن المسيح جاء إلينا طوعاً واختياراً . الله أرسل ابنه ، والابن جاء بمحض اختياره . وبعد أن أكمل العمل بموته على الصليب لأجلنا أقامه الله من الأموات . فليس الأمر متوقفاً على مايقوله الإنسان فى قلبه ولا على مايعمله ، لأن الأمر فوق مقدور الانسان وفوق متناول يده ، وقد فعله الله بالتمام . ثم يقول الرسول « الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك أى كلمة الإيمان التى نكرز بها » فلا تحتاج أن تبحث عنها هنا وهناك .

إن اعترفت بفمك[1] بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت (ع ٩)

يتساءل الإنسان أسئلة كثيرة وينتحل أعذاراً جديدة . ولكن الله قد جعل موضوع الخلاص سهلا وميسوراً للغاية . إن محبة الله أرسلت المسيح من السماء ، الذى مات على الصليب وأكمل العمل ، وقام من الأموات ، وأرسل الكلمة وجعلها قريبة منا جداً « فى الفم وفى القلب » بنفس اللغة التى نتكلم بها .

(١) جميع المسيحيين معترفون بالرب يسوع لكن يلزم لامتلاك الخلاص والحياة الأبدية الإيمان بالقلب ، لأن الاعتراف بالفم فقط لا يكفى كما قال الرب « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين ... فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الأثم » (مت ٧ : ٢٢ و٢٣)

لقد كتب البشر كتباً كثيرة عن طريق الخلاص وصوروه طريقاً طويلا يستدعى جهاداً مريراً ثم فى النهاية قد يفوز الإنسان بالخلاص أو لا يفوز لكن الله يقول هنا « الكلمة قريبة منك » وإنك لا تحتاج إلا إلى الإيمان بالقلب والاعتراف بالفم ، وفى الحال تنال الخلاص . صحيح أنه بعد نوال الخلاص هناك « جهاد الايمان الحسن » ولكن ليس لنوال الخلاص ولا لحفظ الخلاص لأن المسيح هو معطى الخلاص بموته على الصليب وهو ضامنه بحياته عن يمين الله . ولكن الجهاد فى طريق خدمة الرب بعد نوال الخلاص له أجرته كما يقول الرسول « قد جاهدت الجهاد الحسن ... وأخيراً وضع لى إكليل البر » (٢ تى ٤ : ٧ و ٨) . أما الانسان الخاطئ المسكين الميت بالذنوب والخطايا فأى جهاد يستطيعه وأى عمل يمكن أن يخلص به نفسه ؟ لقد جعل الله بره قريباً وخلاصه لا يبعد . الكلمة فى فمك ، كما يصور الناس سهولة الشيء باللقمة التى وصلت إلى الفم وما على الإنسان إلا أن يأكلها ويتغذى بها .

يعترض البعض بالقول . هل طريق الخلاص سهل بهذا المقدار ؟ نعم إنه سهل جداً لأن الله من محبته للبشر احتمل كل التكلفة وجعل الخلاص بسيطاً وميسراً لأنه يشتاق لخلاص الخطاة ولا يشاء أن يهلك أحد .

فى العهد القديم عين الله للشعب «مدن ملجأ » لكى يلجأ إليها قاتل النفس سهواً . وأمر الرب أن يكون الطريق إلى تلك المدن ممهداً خالياً من العقبات حتى يجد اللاجئ إليها الطريق سهلا أمامه .

هكذا الطريق إلى المسيح ، طريق الهروب من الغضب الآتى ، طريق سهل وبسيط جداً . وفى قوله « الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك » يأتى الفم أولا ثم القلب ، لأنه من فضلة القلب يتكلم الفم فلا يمكن أن يعترف الانسان بفمه اعترافاً صادقاً إلا إذا آمن بقلبه . والاعتراف ضرورى كالايمان .

كان الاعتراف بالمسيح فى بدء المسيحية يكلف الإنسان حياته ، لكنه الآن يكلف المؤمن أن يخرج إليه خارج المحلة حاملا عاره . ما أشرف وأعظم الاعتراف بالمسيح ! «كل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات» (مت ١٠ : ٣٢) . وكلمة «خلصت» تعنى فى الحال ، بمجرد الإيمان القلبى والاعتراف يحصل المؤمن على الخلاص . ولا نخطىء الفهم . إن مجرد الاعتراف بالشفتين ليس هو المقصود هنا بل الاعتراف الناتج عن الإيمان فى القلب وقبوله مخلصاً ورباً — سيداً على القلب والحياة .

ولا يسعنى الآن إلا أن أقول للقارىء العزيز : تستطيع يا أخى أن تخلص الآن ، فى هذه اللحظة ، إذا سلمت قلبك للمسيح واعترفت به بصدق مخلصاً شخصياً لك ، ورباً على حياتك . لا يحتاج الأمر إلى وقت طويل ، بل تنال الخلاص فى الحال بموجب كلمة الله الصادقة

لأنه القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص (ع ١٠)

إن مهمة القلب هى أن يقبل المسيح بالإيمان . إن كان قلبك مفتوحاً لشهوات العالم فهو لا يؤدى الغرض الذى لأجله أعطاك الله إياه . ولكن إذا آمنت بالمسيح بقلبك فتكون النتيجة الحصول على البر .

وماهى مهمة الفم؟ يقول يعقوب فى رسالته «به نبارك الله الآب» ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا اعترفنا بالمسيح ونلنا الخلاص ، ثم نشهد به للمسيح ونبارك الله . ونلاحظ الترتيب هنا ، فالقلب يأتى أولا للإيمان ، ثم الفم للاعتراف به بهذا الإيمان .

لأنه الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى (ع ١١)

إن الذين يسيرون فى طريق الأعمال لكى يصلوا إلى المجد ، لا بد أن ينالوا خزى الوجوه مثل ذلك الرجل الذى دخل وليس عليه لباس العرس

فخجل أمام الملك ولم يستطع أن يجد جواباً . لقد ظن أن ثيابه تصلح للعرس واتكل عليها فانتابه الخزى ولكن من يؤمن بالمسيح ويتكل على بر الله لا يخزى .

لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به . لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص (ع ١٢ ، ١٣)

أخذ الرسول يتدرج إلى أن هدم الفوارق وجعل اليهود والأمم متساوين أمام الله . لا فرق بين اليهودى والأممى لأن رباً واحداً غنياً لجميع الذين يدعون به . فى الأصحاح الثالث ع ٢٢ قال « لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » فمن جهة الإنسان لا فرق بين اليهودى والأممى لأن الجميع أخطأوا على حد سواء ، ومن جهة الله لا فرق لأن رباً واحداً غنياً لجميع الذين يدعون به سواء من اليهود أو من الأمم ، وهو مستعد أن يبرر الجميع على قدم المساواة . لقد سقطت الامتيازات ، لأن الخطية وضعت الجميع فى مستوى واحد ، والنعمة ترفع كل من يقبلها إلى سمو واحد .

وقد ذكر بطرس الرسول فى بيت كرنيليوس عبارة مماثلة لهذه « هذا هو رب الكل » (أع ١٠ : ٣٦) كل من يقبله بالإيمان من أية أمة « هو مقبول عنده » إذ هو رب الكل . ونلاحظ أن كل أقوال الرسول هنا موضحة بالشواهد العديدة من العهد القديم(١) لكى يبين أن دعوة الله للأمم هى فى صلب أسفار الكتاب ، فيستشهد بما جاء فى يوئيل ٢ : ٣٢ « ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو » ويقتبس الرسول بطرس هذا النص فى سفر

---

(١) مذكور فى هذا الأصحاح ثمانية اقتباسات من العهد القديم وفى الأصحاحات الثلاثة ٩ — ١١ حوالى ثلاثين اقتباساً .

الأعمال ٢ : ٢١ علماً بأن نبوة يوئيل هذه هى عن الأيام الأخيرة أيام الضيقة العظيمة حيث يقول « تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو » . فكل ما هو مذكور عن بركات العهد الجديد للبقية الأمينة فى المستقبل هو للمؤمنين الآن روحياً بالإنجيل .

ونلاحظ كلمة كل من . أى بدون فارق بين اليهودى والأممى . كما قال الرب له المجد « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) وعبارة « يدعو باسم الرب » فى مدة الضيقة العظيمة تعنى إنه يتجه بقلبه إلى الرب ويطلبه ، وهو لا يفعل ذلك إلا إذا كان مؤمناً به طبعاً .

فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به . وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به . وكيف يسمعون بلا كارز . وكيف يكرزون إن لم يرسلوا . كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات (ع ١٤ ، ١٥)

الأمم لم يسمعوا فكيف يؤمنون ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن لم يرسلوا ؟ فكان لا بد من الإرسال من الرب يسوع نفسه وبسلطانه ، وهذا ما فعله بعد قيامته من الأموات إذ قال لتلاميذه « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن » (مر ١٦ : ١٥ و ١٦) وكل كارز يذهب حاملا بشارة الإنجيل يجب أن يكون مرسلا لا من الهيئات الدينية بل من المسيح . يجب أن تكون الدعوة والإرسالية من الرب وليس من إنسان مهما اتخذ لنفسه من صفة . إن الذى يُرسل فعلة إلى حصاده هو « رب الحصاد » كما يقول الرسول « صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا ... وهو أعطى البعض أن

يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين »
(أ ٤ : ٨ — ١١) .

سفر إشعياء يتكلم عن البركات الأرضية فى المستقبل عندما يتمم الله بركات العهد ، الجديد فى الملك الألفى . وعندما يحين ذلك الوقت يكون « ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » (إش ٥٢ : ٧) سيكون موضوع البشارة لأورشليم « أن جهادها قد كمل أن إثمها قد عُفى عنه أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها » (إش ٤٠ : ١ و ٢) فما أجمل على الجبال أقدام المبشرين بهذه الخيرات ! والرسول يطبقها هنا على التبشير بالإنجيل .

لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل . لأن إشعياء يقول يا رب من صدق خبرنا إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله (ع ١٦ ، ١٧)

ما هو الإنجيل ؟ هو بشارة النعمة بالسلام وبالخيرات الروحية . فكيف يرفضها الإنسان ؟ إنها خبر مفرح له . ليس من المعقول أن يأتى لك أحد بخبر سار وترفضه . لكن هكذا قسّى الشيطان قلب الإنسان وطمس بصيرته . « ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل » يا له من أمر مؤسف لأن إشعياء يقول وذلك فى أصحاح ٥٣ « يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب » لما جاء الرب يسوع إلى خاصته من اليهود رفضوه ولم يصدقوا الخبر عنه . إذن الإيمان هو تصديق الخبر عن المسيح « والخبر بكلمة الله » هذا هو طريق الخلاص . الكلمة قريبة منك ، كلمة خبر الإنجيل . تسمعها بأذنيك وتؤمن بقلبك تخلص . لا تحتاج أن تعمل شيئاً بل أن تؤمن « آمن » فقط ، كان كرنيليوس يعمل حسنات وصدقات ويقوم بأصوام وصلوات ، ولكنه كان شاعراً بعدم الراحة فى ضميره فظهر له الملاك وقال له « ارسل استدع سمعان بطرس وهو يكلمك كلاماً به تخلص أنت وكل بيتك » (أع ١١ : ١٤) فالخلاص ليس بالصدقات التى كان يعملها ، بل بتصديق الكلام الذى يقوله

بطرس « الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله » ، الخلاص ليس بأعمال تعمل أو بفرائض تحفظ أو بطقوس تمارس بل بالإيمان بخبر نعمة الله التى أعلنها للبشر « إسمعوا فتحيا أنفسكم » (إش ٥٥ : ٣) . فحتى اليهودى الذى عنده الناموس لايستطيع أن يحصل على البركة إلا عن طريق الخبر المفرح — الإنجيل . ولكن ليس الجميع أطاعوا الإنجيل كما شهد عنهم إشعياء « من صدق خبرنا » والرسول يكثر من الشواهد من العهد القديم ليثبت عليهم العصيان ويبرر خروج الإنجيل إلى الأمم وإذ المسألة مسألة خبر يذاع لكى يسمعه الناس ويؤمنوا به ، فالباب مفتوح ليصل هذا الخبر إلى الأمم الذين لم يكن عندهم الناموس .

لكننى أقول ألعلهم لم يسمعوا . بلى . الى كل الأرض خرج صوتهم والى أقاصى المسكونة أقوالهم (ع ١٨)

هذا الكلام عن الأمم الذين يقول عنهم « وكل من يدعو باسم الرب يخلص » ثم يأتى بشاهد آخر عجيب مقتبس من مز ١٩ . فهو يقتبس فصولا من العهد القديم ويطبقها فى هذا الأصحاح تطبيقاً عجيباً جداً . ولو لم يطبق الروح القدس هذا التطبيق ما كان أحد يجسر أن يطبقه هكذا . الكلام فى مز ١٩ عن شهادة الخليقة لخالقها « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه . يوم إلى يوم يذيع كلاماً ، وليل إلى ليل يبدى علماً ، لاقول ولا كلام لا يسمع صوتهم . فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم » . إن الخليقة تخبر جميع الناس عن قدرة الله السرمدية ولاهوته . تخبر اليهود كما تخبر الأمم ، حتى أن الرسول يقول فى الأصحاح الأول إن الأمم بلا عذر لأن أمور الله غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته .

ونلاحظ أن هذا المزمور ينقسم إلى قسمين : أعمال الله ، وناموس الله .

وكلاهما يشهدان له ، الشهادة الأولى عامة وظاهرة ، والثانية تتعامل مع من أعطيت لهم ، فالسموات لاتخص أرضاً بذاتها ، ولاالشمس والنجوم تضيء لإسرائيل وحده ، ولكنها لكل إنسان على الأرض يحب، صلاح الله الذى يرسل مطره على الأبرار والظالمين ، ويشرق شمسه على الأشرار والصالحين . وهكذا إذا كانت دائرة شهادة الناموس محدودة ، فإن الإنجيل يذهب بالنعمة بلا حدود . وإذاكان اليهود لايبالون بالأمم فإن الله يشفق عليهم وقد أرسل شهادته إليهم وهم في جهلهم وظلامهم ، كماقال بولس لأهل لسترة « أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة » (أع ١٤ : ١٧) .

فالأخبار السارة إذاً أرسلها الله إلى الجميع على أفواه المبشرين ، بالإنجيل ولاخير للإنسان الخاطيء إلا بالإنجيل الذى أرسله الله فى نعمته لا إلى البعض فقط بل إلى البشر أجمعين . ومزمور ١٩ يشهد بأن الله أرسل شهادة عامة لجميع البشر بواسطة الخليقة دليلا على عنايته بكل الأمم ورغبته فى أن يعرفوه . وهكذا أرسل صوت الإنجيل بنعمته إلى جميع الخطاة بدون تمييز بين يهود وأمم لأن الجميع محتاجون للخلاص إذ الجميع مذنبون وهالكون .

لكنى أقول ألعل إسرائيل لم يعلم . أولا موسى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة . بأمة غبية أغيظكم . ثم إشعياء يتجاسر ويقول وجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى . أما من جهة اسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدى الى شعب معاند ومقاوم (ع ١٩ — ٢١) .

« ألعل إسرائيل لم يعلم » أى هل لم يعلموا أن الله سيدعو الأمم ؟ هل حفظ الله ذلك الأمر سراً وفوجئوا به فى العهد الجديد ؟ كلا . فهذا المبدأ

واضح(١) فى المزامير وباقى الأسفار ، حتى موسى معطى الناموس نفسه قد أعطى شهادة قديمة عن قصد الله أن يغير اليهود بواسطة طرقه مع من لم يكونوا أمة « هم أغارونى بما ليس إلهاً . . فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية (أى غارقة فى عبادة الأوثان ، لأن الغباوة هى عبادة الأوثان) أغيظهم » (تث ٣٢ : ٢١) وفى هذا إشارة واضحة برحمته للأمم حتى بذلك يحرك الغيرة فيهم ليردهم إلى صوابهم .

وأوضح من هذا أن إشعياء أعظم أنبياءهم يتجاسر ويقول بصراحة أمراً ما كانوا يطيقون أن يسمعوه ، أن الله سيوجد من الذين لم يطلبوه وأنه بسط يديه طول النهار إلى إسرائيل وهو شعب معاند ومقاوم . ونجد هذا فى إش ٦٥ : ١ ، ٢ حيث نقرأ « أصغيت إلى الذين لم يسألوا . وجدت من الذين لم يطلبونى . قلت هأنذا هأنذا لأمة لم تسم باسمى . بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره » وفى هذا نبوة واضحة عن دعوة الله للأمم سيما وأن بها اشارة إلى عناد إسرائيل ومقاومته .

واليهودى لا يمكنه أن ينكر الناموس والمزامير والأنبياء ولا أن يناقش فى تفسير هذه الأقوال الواضحة التى كان الروح القدس يصرح بها عندما يتنبأ لهم عما سيأتى عليهم من خراب نتيجة لعصيانهم . ثم نستطيع أن نجد فى هذا مبدأ عاماً من مبادىء معاملات الله ، فبعد بسط اليدين بالنعمة وطول الأناة

(١) هذا لا يتعارض مع كلام الرسول فى أف ٣ : ٣ — ٦ « أنه باعلان عرفنى بالسر . الذى فى أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالانجيل » . فقد أعلن الله فى العهد القديم قبول الأمم وخلاصهم . لكن اتحاد المؤمنين معاً من اليهود والأمم بجسد واحد متحد بالمسيح الرأس الممجد ، فهذا كان سراً لم يعلن إلا فى العهد الجديد .

لابد أن تأتى الدينونة الساحقة «لأنى دعوت فأبيتم ومددت يدى وليس من يبالى بل رفضتم كل مشورتى . . . فأنا أيضاً أضحك عند بليتكم أشمت عند مجىء خوفكم . . . حينئذ يدعوننى فلا أستجيب يبكرون إلىَّ فلا يجدوننى . . . لأن ارتداد الحمقى يقتلهم وراحة الجهال تبيدهم» (أم ١ : ٢٤ — ٣٢) وفى هذا إنذار خطير للمسيحيين بالإسم لأنهم إذا استهانوا بالنعمة واستمروا فى إهمال الدعوة واستمراء العيشة فى الخطية فسيلاقيهم نفس مصير ذلك الشعب المعاند المقاوم . «هوذا الآن وقت مقبول . هوذا الآن يوم خلاص» (٢ كو ٦ : ٢) «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (عب ٣ : ١٥) .



الأصحاح الحادى عشر

أوضح الرسول فى الأصحاح التاسع أن مبدأ الرحمة هو الذى يقوم عليه مركز المؤمنين سواء من الشعب القديم أو من الأمم وأن الذين قال لهم الله « لستم شعبى » سيدعوهم شعبى . وعلى هذا الأساس نفسه قبل الله الأمم الذين لم يكونوا شعبه من قبل . ثم يقول إن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر البر أدركوا البر الذى فى المسيح بالإيمان . ولكن إسرائيل وهو يسعى لكى يحصل على البر بالأعمال لم يدرك ناموس البر لماذا ؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس .

وفى الأصحاح العاشر يسير الرسول فى ذات الاتجاه قائلا : « إن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » . أى أن الناموس يؤدبنا ويقودنا إلى المسيح لكى نحصل على البر كل من يؤمن — ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً . وبعد ذلك أتى الرسول بعدة اقتباسات من العهد القديم لكى يؤيد ذلك . ففى سفر يوئيل (٢ : ٣٢) « كل من يدعو باسم الرب يخلص » . وفى إش ٢٨ « كل من يدعو به لا يخزى »

وفى سفر التثنية يقول « أنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم » . وإشعياء يقول « وُجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى » أما من جهة إسرائيل فيقول « طول النهار بسطت يدى إلى شـــعب معاند ومقاوم » .

وفى هذا الاصحاح يتساءل الرسول :

فأقول ألعل الله رفض شعبه . حاشا . لأنى أنا أيضاً إسرائيلى من نسل إبرهيم من سبط بنيامين . لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه . أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا كيف يتوسل إلى الله ضد

إسرائيل قائلا. يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى . لكن ماذا يقول له الوحى . أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل . فكذلك فى الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة (ع ١ — ٥)

يؤيد الرسول كلامه بثلاثة أدلة . الدليل الأول: سبق أن ذكره فى نهاية الأصحاح السابق وهو أن الله قصد أن يحركهم للغيرة بقبول الأمم . فلو كان قد رفضهم لما قصد أن يثير فيهم الغيرة ليرجعوا هم أيضاً إليه . والدليل الثانى : أنه بقيت بقية حسب اختيار النعمة . ففى الوقت الحاضر ، الباب مفتوح للجميع — لليهود وللأمم ، للإيمان بالمسيح ، لأن الكنيسة تتكون من اليهود والأمم .فالآن فى عصر النعمة ليس يهودى وأممى بل الجميع واحد فى المسيح الذى نقض حائط السياج المتوسط أى العداوة وصالح الإثنين معاً فى جسد واحد بالصليب قاتلا العداوة به . وصار بالمسيح لنا كلينا — اليهود والأمم — قدوم فى روح واحد إلى الآب . ويأتى الرسول بمثالين على وجود بقية لله .

المثال الأول : الرسول نفسه . لأنه لو كان الله رفض شعبه نهائياً ما كان للرسول شخصياً قبول لأنه إسرائيلى وكان مجدفاً ومفترياً ومعانداً أكثر من جميع الشعب ، ولكن النعمة خلصته فهو إذاً مثال حى على أن الله يقبل التائبين إليه « لأنى أنا أيضاً إسرائيلى من نسل إبرهيم » أى أنه أصيل لا دخيل . ويقول الرسول « شعبه الذى سبق فعرفه » ، عرفه زمنياً لا أزلياً كشعب أرضى « بين الشعوب لا يحسب » (عدد ٢٣ : ٩) . وهذا بخلاف « الذين سبق فعرفهم » منذ الأزل وعينهم للتبنى بالرب يسوع المسيح (رو ٨:٢٩) . ويقول الرب عن معرفته للشعب الأرضى « إياكم فقط عرفت من جميع قبائل

الأرض » (عا ٣ : ٢) وطالما أنه عرفهم فهباته ودعوته هى بلا ندامة .

والمثال الثانى على وجود بقية حسب اختيار النعمة ، أنه فى أيام إيليا تحول كل الشعب تقريباً إلى عبادة الأوثان وجرفهم تيار عبادة البعل ، فكان أنبياء السوارى أربعمائة وأنبياء البعل أربعمائة وخمسين ولم يكن نبى للرب إلا إيليا ، وكان إيليا يشتكى للرب ضد الشعب . ولكن ماذا يقول له الرب ؟ أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف جميع الذين لم يحنوا ركبة لبعل . حقاً إنه لا يترك نفسه بلا شاهد . فلو كان الله يريد أن لا يبقى لهم بقية لرفضهم فى زمان آخاب وإيزابل ، ولكن فى ذلك الزمن المظلم أبقى الله لنفسه سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل ، وهذا دليل على وجود بقية حسب اختيار النعمة (أنظر أيضاً إش ٦ : ١٣) . وهو الدليل الثالث الذى يذكره الرسول ليثبت أن الله لم يرفض شعبه .

فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال . وإلا فليست النعمة بعد نعمة . وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة . وإلا فالعمل لا يكون بعد عملا

(ع ٦)

فى هذه المناسبة يعود الرسول فيدخل فى موضوع الأعمال والايمان . على أن الكلام هنا ليس فردياً بل عن الشعب كأمة . فالله فى جميع الأحوال يرفض مبدأ الأعمال . « وإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فلبست النعمة بعد نعمة » .

يقول البعض إن الخلاص ليس بالأعمال كلية ولكن بالإيمان والأعمال ، وهذا مستحيل لأن هذين المبدأين لا يتفقان معاً ، فإما بالنعمة فقط ، وإما بالأعمال فقط ، إذ كيف يكون بالنعمة وفى الوقت نفسه بالأعمال ؟ يقول الرسول : « إن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد

نعمة ، لأن النعمة هى هبة مجانية لغير المستحقين ، أما مبدأ الأعمال فهو مبدأ الاستحقاق ، وإذا دخل الاستحقاق فقدت النعمة معناها .

« وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة وإلا فالعمل لا يكون بعد عملا » . مبدأ الأعمال مبدأ أجرة أو دين على الله ، فكيف يكون « بعد نعمة » إن مبدأ الأعمال والنعمة متناقضان تماماً ولا يتفقان معاً . فإذا قيل بالأعمال وبالنعمة فقدت الأعمال قيمتها « فالعمل لا يكون بعد عملا » .

فماذا ؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله . ولكن المختارون نالوه . وأما الباقون فتقسوا . كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيوناً حتى لا يبصروا وآذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم (ع ٧ ، ٨)

لماذا لم ينل إسرائيل ما يطلبه ؟ لأنهم طلبوه على مبدأ الأعمال . ولكن المختارون (البقية حسب اختيار النعمة) نالوه (أى البر) وأما الباقون فتقسوا . كما هو مكتوب « أعطاهم الله روح سبات » . وهنا نجد أمرين : أولا أنهم تقسّوا أى قسّوا قلوبهم . ثانياً أن الله تبعاً لذلك أعطاهم روح سبات . وهذا ما نقرأه فى مت ١٣ : ١٥ « لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » فواضح أنهم هم الذين أغمضوا عيونهم وهم الذين تقسوا . لكن بعد ذلك قضى عليهم الله فأعطاهم روح سبات . وهذا نجده فى إشعياء ٢٩ : ١٠ « لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم » . وسبق أن رأينا مثل هذه المعاملة القضائية مع فرعون ، كما أشرنا إلى أن الله سيعامل المرتدين على نفس هذا المبدأ « لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم » (٢تس٢:١٠-١٢) .

وداود يقول لتصر مائدتهم فخاً وقنصا وعثرة ومجازاة لهم . لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ولتحن ظهورهم في كل حين (ع ٩ ، ١٠)

نجد هذه الأقوال في مزمور ٦٩ : ١١ أي في المزمور الذي يتحدث عن آلام المسيح على الصليب الذي فيه يقول الرب « انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد » . والشعب الذي جال بينه يصنع خيراً لم يظهروا له رقة ، لذلك يقول داود « لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم » أي أنه يطلب من الله أن يوقع عليهم هذا التأديب كأمة . وهذا قد تم للأكثرية . وقوله « مائدتهم » أي المائدة المرتبة لهم من الله . ففي الفصح مثلا أعطاهم الله الخروف المشوي ليأكلوه . وذبائح السلامة كانت تقدم أجزاء منها لله ، وأجزاء أخرى كانوا يأكلونها . وفي الأعياد يقول لهم الرب : تأكلون وتفرحون أمام الرب إلهكم . هذه امتيازات عظيمة أن يأكلوا من المائدة التي رتبها لهم الله ، كأن هناك شركة بينه وبينهم في شخص المسيح وذبيحته ولكنهم لم يقدّروا هذه الامتيازات ورفضوا المسيح فصارت مائدتهم فخاً وقنصاً لهم . وهذا ما نراه في يهوذا الاسخريوطي الذي يمثل المرتدين من إسرائيل . ماذا فعل يهوذا ؟ لقد غمس الرب اللقمة وأعطاها له وبعد اللقمة دخله الشيطان ، فخرج ليسلم الرب يسوع ، وتمت فيه النبوة « آكل خبزي رفع عليّ عقبه » . وهكذا شعب إسرائيل ، رتب لهم الرب مائدة ولكن صارت مائدتهم فخاً وقنصاً وشركاً لهم . ولذلك أظلمت عيونهم لكي لا يبصروا . وذلك إلى أن يُرفع البرقع (٢ كو ٣ : ١٦) عند رجوعهم إلى الرب .

وهكذا نرى أن الرسول يقتبس من موسى (الناموس) وإشعياء (الأنبياء) وداود (المزامير) .

فأقول ألعلهم عثروا حتى يسقطوا . حاشا . بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم (ع ١١)

يأتى الرسول هنا بالدليل الثالث على أن الله لم يرفض شعبه . وهو رجوع إلى الدليل الأول المذكور فى نهاية الأصحاح العاشر فيقول إنهم لم يعثروا (بواسطة المسيح كحجر الصدمة وصخرة العثرة) لكى يسقطوا نهائياً بل لكى يصير الخلاص للأمم بزلتهم ، أى أن زلتهم فتحت باب الخلاص للأمم ، وبذلك تتحرك فيهم الغيرة ليحصلوا هم أيضاً على الخلاص . فلو أن الله رفض قبولهم للإيمان لما اهتم بإغارتهم بواسطة خلاص الأمم حتى يرجعوا إليه بالتوبة والإيمان .

فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحرى ملؤهم (ع ١٢)

لقد جاء المسيح إلى خاصته وخاصته لم تقبله بل رفضوه وصلبوه ، فنحّاهم جانباً وفتح الباب للأمم . كما ذكر الرب فى المثل الذى قاله عن العشاء فى لو ١٤ . كان هناك مدعوون أى أناس اختصهم صاحب العشاء وأرسل لهم بطاقات الدعوة . لم يرسلها إلى كل الناس بل إلى المدعوين فقط . ولكنهم رفضوا واعتذروا . لقد زلوا وفوّتوا الفرصة على نفوسهم . فقال صاحب العشاء لعبده « أخرج عاجلا إلى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمى ... حتى يمتلىء بيتى » لقد صارت زلتهم غنى للعالم . مساكين وجدع وعرج وعمى من كل مكان دخلوا وتمتعوا بالعشاء : أولئك الذين كانوا يلتمسون الفتات صار لهم خبز البنين .

عندما أرسل الرب التلاميذ أولا قال لهم : فى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا لكن « اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » . ولكن بعد قيامته من الأموات قال لهم « اذهبوا إلى العالم أجمع

واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » . لقد كانت زلتهم غنى للعالم فى الوقت الحاضر ، ونقصانهم غنى الأمم فكم بالحرى ملؤهم[1] ؟- إذن سيأتى بعد النقصان ملء فى المستقبل ، وذلك فى نهاية الدهر بعد قيامة المؤمنين عند ظهور المسيح على سحاب السماء بالقوة والمجد ، وحينئذ يكون هذا الملء بركة عظيمة تعم العالم . الآن الغنى الروحى مقدم للعالم ولكن هل كل العالم يقبله ؟ كلا . ولكن فى المستقبل ستشمل البركة العالم كله عند ظهور المسيح وإقامة ملكوته الألفى السعيد . ونلاحظ أن البركة فى الماضى كانت مقصورة على الشعب القديم لأن الأمم كانوا يعبدون الأوثان ، ومع ذلك كان هناك أفراد من الأمم ينالون البركة. ولكن على شرط أن يؤمنوا بالله ويعبدوه كدخلاء ويأتوا إلى أورشليم ليسجدوا فى الأعياد كما قال لهم الله . « أنت والغريب الذى فى أبوابك » أى أن الأممى لم يكن يبارك مستقلا بل بالاتصال بشعب الله كدخيل ونوال البركة عن طريقهم . ونجد مثالا لذلك فى الخصى الحبشى الذى كان أممياً متهوداً . قد قبل الإيمان بالله إله إسرائيل ، وكان عليه أن يقطع هذه المسافة الطويلة من بلاده إلى أورشليم ليعبد هناك . أما فى عصر النعمة الحاضر فقد صار الأمر مختلفاً كما قال الرب للمرأة السامرية « تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب » (يو ٤ : ٢١) أى فى كل

(١) فى مت ١٦ : ٤ قال الرب للفريسيين « جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى . ثم تركهم ومضى » .

هنا نرى أن يونان علاوة على أنه رمز للمسيح الذى مات وقام (مت ١٢ : ٣٩-٤١) فهو رمز للأمة أيضاً ، إذ فى طرحه فى البحر صار الخلاص للذين فى السفينة الذين ذبحوا ذبيحة للرب (يون ١ : ١٦) وهذا رمز للذين يخلصون من الأمم فى الوقت الحاضر . بينما بعد خروجه من البحر ومناداته مكتوب « فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم » (يون ٣ : ٥) وهذا ماسيكون مستقبلا لأمم العالم .

مكان حيثما يجتمع المؤمنون باسم الرب . لكن فى المستقبل فى نهاية الزمن عندما ترجع الأمم للرب سيُباركون مع شعبه « والمدينة العظيمة أورشليم المقدسة ستنزل من السماء من عند الله . . . وتمشى شعوب المخلصين بنورها « وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها » (رؤ ٢١ : ١٠ و ٢٤) وجميع الأمم تتعبد للرب وتقدم له هداياها . كما هو مكتوب « لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب » (إش ٥٦ : ٧) .

هذه الحقائق هامة جداً يجب أن نفهمها جيداً لأنه بدونها نرتبك ولا نستطيع أن نفصّل كلمة الحق بالاستقامة . وقد وقع كثيرون من المسيحيين فى الخطأ والخلط بين الأرضيات والسماويات بسبب عدم فهم هذه المبادىء الفهم الصحيح . فهناك إسرائيل الشعب الأرضى ، وهنا الأمم (بقية شعوب الأرض الوثنيين) ، وهناك كنيسة الله[1] الشعب السماوى المؤسسة الجديدة التى بناها الرب ابتداء من يوم الخمسين وهى التى قال عنها ... « أبنى كنيستى » ، وحقق هذا القول عند نزول الروح القدس فى يوم الخمسين حيث كان الرب يضم إلى « الكنيسة » كل يوم الذين يخلصون . ويشار إليها رمزياً فى العهد القديم بالتقدمة الجديدة التى كانت تقدم فى عيد الخمسين (عيد الأسابيع) من رغيفين يخبزان خميراً (وخبزهما فى النار يوقف فعل الخمير فيهما) . وهما رغيفان رمزا لليهود والأمم ولكنهما تقدمة واحدة فالكنيسة ليس فيها جنسيات « لا يهودى ولا أممى ولا بربرى ولا سكيثى ، بل المسيح الكل فى الكل » .

---

(١) لكى نتبين بوضوح التمييز بين اليهود ، والأمم ، والكنيسة ، لنرجع إلى الفصول الكتابية الآتية :

اليهود - يو ٤ : ٢٢ ، رو ٣ : ١ و ٢ ، رو ٩ : ٤ و ٥ .

الأمم - مر ٧ : ٢٧ و ٢٨ ، أف ٢ : ١١ و ١٢ ، أف ٤ : ١٧ و ١٨ .

الكنيسة - أف ١ : ٢٢ و ٢٣ ، أف ٥ : ٩ - ٣٣ ، ١ بط ٢ : ٩ .

والشعب القديم يبقى الشعب القديم كما هو . ولا يمكن أن يُستبدل الشعب الأرضى بشعب سماوى يحل محله . والأمم هى الأمم لها تاريخها ولها أزمنتها « أزمنة الأمم » فى السيادة على العالم . ولها طريقة معاملات الله معها فى الماضى وفى الحاضر كما نرى فى هذا الأصحاح حيث فتح لها باب الغنى بزلة اليهود « إلى أن يدخل ملء الأمم » . والكنيسة هى الكنيسة شيء جديد بدأ فى يوم الخمسين وينتهى تاريخها الأرضى باختطافها إلى السماء عند مجيء المسيح ليأخذها إليه « لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن » (أف ٥ : ٢٧) . ولم يرد لها ذكر فى نبوات العهد القديم لأنها كانت سراً ، « فى أجيال أخر لم يعرّف به بنو البشر . كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه (فى العهد الجديد) بالروح » (أف ٣ : ٥) ويقول الرسول إنه قد أعطيت له هذه النعمة أن ينير « الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح » (أف ٣ : ٩) . فالأممى الآن عندما يؤمن بالمسيح لا يسمى بعد أممياً كما يقول الرسول للمؤمنين فى أفسس « أنتم الأمم قبلاً » (أف ٢ : ١١) ويقول للمؤمنين فى كورنثوس « إنكم كنتم أمماً » (١ كو ١٢ : ٢) ، بل يصير عضواً فى جسد المسيح وفى كنيسة الله . ولكن بعد اختطاف الكنيسة سيعود مرة ثانية تعامل الله كما فى القديم مع اليهود والأمم كما نرى فى سفر الرؤيا (اقرأ رؤ ٧) . وفى الملك الألفى ستكون البركة شاملة للعالم فتأتى الأمم ويتباركون مع شعبه .

إن الذين لم يتثبتوا من هذه المبادىء الواضحة فى كلا العهدين القديم والجديد أتوا بتعبيرات غريبة عن كلمة الله فقالوا « كنيسة العهد القديم » و « كنيسة العهد الجديد » مع أنه فى العهد القديم لا يوجد اسم الكنيسة ولا ذكرها مطلقاً كما أوضحنا[١] . ومن كلام الرب مع بطرس وعلى هذه الصخرة (أى

(١) وردت كلمة « الكنيسة » فى خطاب استفانوس فى أع ٧ : ٣٨ « هذا هو (موسى) الذى كان فى الكنيسة فى البرية » ولكنها تعنى الشعب أو الجماعة .

الاعتراف بالمسيح ابن الله الحى) « أبنى كنيستى » يتضح أنه لم يكن لها وجود حينئذ .

ثم يقولون إن كنيسة العهد الجديد قد حلت محل كنيسة العهد القديم فالشعب القديم قد ألغى الآن وجاءت الكنيسة فى العهد الجديد فى مكانه ويعتبرون أن بركات الكنيسة هى نفس البركات التى كانت للشعب القديم وكل نبوات العهد القديم الحرفية عن الملك الألفى يحولونها إلى أمور روحية تأتى نتيجة لانتشار الإنجيل حتى تعم معرفة الرب الأرض كما تغطى المياه البحر . ولم يفرّقوا بين روح العهد القديم فى طلب النقمة الأعداء وروح العهد الجديد روح التسامح بل احتمال العار والاضطهاد لأجل الرب . وكلمة « أعدائك » أو « مبغضيك » التى ترد كثيراً فى المزامير أطلقوا عليها اسم « أعداء الكنيسة » غير ملتفتين إلى قول الرب « أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (مت ٥ : ٤٤) . فما أبعد الفرق بين إسرائيل والكنيسة من كل وجه — فى دعوتها ، ومقامها ، وبركاتها ، وروحها ، ورجائها ، وكل شىء . ونتج عن تطبيق بركات الشعب القديم على الكنيسة سوء فهم كبير لنبوات العهد القديم وسوء فهم كبير أيضاً لنبوات العهد الجديد ، فخسروا امتياز التمتع بانتظار مجىء الرب يسوع المسيح لأخذ قديسيه إليه ، وأصبحوا بكل أسف ينتظرون الموت بدلا من رجوع الرب الذى هو رجاء الكنيسة فى كل العصور ، والذى أصبح على وشك التحقيق . كما خسروا معرفة ظهور الرب بالمجد والقوة لينقى ملكوته من جميع المعاثر وفعلة الإثم ثم يقيم ملكه المبارك المجيد على الأرض كلها حيث لا بد أن « تجثو له كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب » .

ومن الجدول الآتى تتبين شيئاً من المقارنة بين الشعب الأرضى والكنيسة

الشعب الأرضى	الكنيسة
(١) دعوته أرضية ... وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ... إلى الأرض التى أريك » (تك١٢: ١) « لأن الرب إلهك آت بك إلى أرض جيدة ... أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان . أرض زيتون زيت وعسل » (تث ٨ : ٧ و ٨)	(١) دعوتها سماوية مقدسة عليا . « من ثم أيها الأخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية » (عب٣: ١) . « أسعى . . لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع .. فإن سيرتنا نحن هى فى السموات » (فى٣: ١٤ و٢٠).
(٢) بركاته أرضية مادية «والرب قد بارك مولاى جداً . . وأعطاه غنماً وبقراً وفضة وذهباً وعبيداً وإماءً » (تك ٢٤ : ٣٤ و٣٥) «وتأتى عليك جميع هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب إلهك . مباركاً تكون فى المدينة ومباركاً تكون فى الحقل ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك . . مباركة تكون سلتك ومعجنك» (تث ٢٨ : ٢ — ٥) .	(٢) بركاتها روحية سماوية . أما فى العالم فتكتفى بالقوت والكسوة. « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح يسوع » (أف١: ٣) « ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم » (١بط١: ٣ و٤) « اسمعوا يا إخوتى الأحباء . أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان وورثة الملكوت الذى وعد به الذين يحبونه » (يع ٢ : ٥) . « إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا إقامة » (١ كو ٤ : ١١) .

الشعب الأرضى

(٣) يحارب أعداءه وينتقم من مبغضيه ، ويعامل الآخرين «عيناً بعين وسناً بسن» (خر ٢١ : ٢٤) «خاصم يارب مخاصمى قاتل مقاتلى امسك مجناً وترساً وانهض إلى معونتى واشرع رمحاً وصد تلقاء مطاردى (مز ٣٥ : ١ — ٣)

(٤) عبادته طقسية جسدية ورمزية ، فى مكان معين وعلى بعد من الله لأن حضور الله بينهم كان مختفياً وراء الحجاب ، ولا يمكن الاقتراب إليه إلا بواسطة كاهن وسيط من الناس «ثم العهد الأول كان له أيضاً فرائض خدمة والقدس العالمى ووراء الحجاب . . قدس الأقداس — وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح» (عب ٩ : ١ — ١٠)

الكنيسة

(٣) يحب المؤمن أعداءه ويحسن إلى مبغضيه ويقابل االشر بالخير .

«لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً» (مت ٥ : ٣٩ و ٤٠) «انظروا أن لا يجازى أحد أحداً عن شر بشر بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع» (٢تس ٥ : ١٥) «لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢ : ٢١) .

(٤) عبادتها روحية فى حضرة الله مباشرة «تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يو ٤ : ٢٣ و ٢٤) .

«لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم» (مت ١٨ : ٢٠) .

الشعب الأرضى

(٥) رجاؤه الملك الأرضى

« ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك . . إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٢ و ٣٣)

« ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقاً وعدلا فى الأرض » (إر ٢٣ : ٥) « ويخرج قضيب من جذع يسى . . . يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، . . ويكون البر منطقة متنيه . . . فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى - ويلعب الرضيع على سرب الصل . . . لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر » (إش ١١ : ١ — ٩)،

الكنيسة

« فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع . طريقا كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده وكاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان » (عب ١٠ : ١٣ — ٢٢) .

(٥) يعيش المؤمن كغريب ونزيل فى الأرض ، ورجاؤه مجىء المسيح من السماء ليأخذه إليه « وقبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين فى أنفسكم أن لكم مالا أفضل فى السموات وباقياً » . « لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطىء » (عب ١٠ : ٢٤ و ٣٧) « أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (عب ١٣ : ١٣ و ١٤) .

« فى بيت أبى منازل كثيرة ... وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلى حتى حيث

الكنيسة	الشعب الأرضي
أكون أنا تكونون أنتم أيضاً » (يو ١٤ : ٢ و ٣). «السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (في ٣ : ٢٠ و ٢١).	

هذا هو الطابع المميز لإسرائيل كشعب، ولكن المؤمنون منهم في العهد القديم كأفراد كانوا مولودين من الله ومقبولين لديه بالإيمان ودخلت أرواحهم إلى الفردوس « في حضن إبراهيم » (على قدر الإعلان المعطى لهم). ولهم نصيب في القيامة الأولى، وبعضهم سما إيمانهم فوق الدعوة الأرضية فكانوا « يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً ».

لقد أعلن الله لدانيال تاريخ « شعبه » أي إسرائيل بالقول « سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة » (دا ٩ : ٢٤) ويتضح من درس هذه الأسابيع[1] أنه قد مضى منها ٦٩ أسبوعاً (أي ٤٨٣ سنة) لغاية صلب المسيح « يقطع المسيح وليس له » (أي ليس له الملك) ثم انقطعت هذه الأسابيع لأنه توقف تاريخ ذلك الشعب. والأسبوع الأخير الباقي سيبدأ بعد مجيء المسيح الثاني وأخذ قديسيه إليه. وينقسم الأسبوع الأخير إلى قسمين إذ يقال « في وسط الأسبوع »، ويذكر كل قسم منهما في سفر

---

(١) أنظر « سفر الرؤيا مفصلا آية آية » صفحة ١٥٧ ، ١٥٨

الرؤيا بأنه زمان وزمانان ونصف زمان أو ٤٢ شهراً أو ١٢٦٠ يوماً . ومدة الأسبوع الأخير هي مدة الضيقة العظيمة (بما فيها مبتـــدأ الأوجاع) التي فيها يصهر الرب ذلك الشعب في أتون الضيق الذي لم يكن مثله منذ ابتداء العالم ولن يكون . وتخرج من الضيقة بقية تتوب وترجع للرب وتؤمن بالمسيح وتتمتع بملكه الألفي المستقبل وهذا ما يشير إليه الرسول هنا بالقول « اقتبالهم حياة من الأموات » .

فإني أقول لكم أيها الأمم . بما إني أنا رسول الأمم أمجد خدمتي . لعلي أغير أنسبائي وأخلص أناساً منهم . لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات (ع ١٣ — ١٥)

لم يكن غرض الرسول من تمجيد خدمته تمجيد نفسه بل لكي يحرك الغيرة في أنسبائه ويخلص أناساً منهم وهذا يتفق مع فكر الرب نفسه كما هو واضح في الأصحاح العاشر . وقوله « أناساً منهم » يفيد أن الذين يخلصون منهم هم أقلية .

« لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم » . لقد رفضوا الرب وهو بالتالي رفضهم . وفي وقت رفضهم فتح الباب لمصالحة العالم لأن « الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ... إذاً نسعى كسفراء عن المسيح ... نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ١٩ و ٢٠) .

« فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات » سيكون هذا « الاقتبال » بعد رجوعهم للرب بالنوح والبكاء والتوبة ، وإيمانهم بالمسيح بعد اجتيازهم في الضيقة العظيمة ، وحينئذ ستعم البركة على العالم وتملأ معرفة الرب الأرض (إش ١١ : ٩) وهكذا ستكون حياة من الأموات .

وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين . وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان (ع ١٦)

الباكورة هنا هى باكورة المواعيد . وباكورة المواعيد هو إبرهيم لأن الله دعاه من بين عبدة الأوثان وأخرجه وأعطاه مواعيد ثمينة . والمقصود بكلمة « مقدسة » أى مفرزة ومخصصة لله . والعجين هو نسله الذى كان يجب أن يسلك بالانفصال عن الشر شاهداً لله فى العالم ولكنه لم يفعل .

« وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان » . فى التشبيه الأول نجد باكورة وعجيناً ، وهنا نجد أصلا وأغصان أى شجرة وهذه الشجرة زيتونة[1] ، أصلها إبرهيم مستودع المواعيد . والبركة هى فى نسله أى المسيح ، بركة للعالم كله كما قيل « فى نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض » .

هذا الكلام لا علاقة له بالكنيسة إطلاقاً ، لأن المقصود هنا هو الشركة

(١) إن مثل الزيتونة لا يتضمن البركات الخاصة المميزة للكنيسة ، ولا يصور نعمة الله فى ملئها بل كل الأمثال المتخذة من الأشجار إنما تشير إلى المسئولية . هكذا كان تشبيه الكرمة فى إش ٥ وفى يو ١٥ . ففى الفصل الأول رُفضت الكرمة كلها وديست بالأقدام ، وفى الفصل الثانى نزعت الأغصان الجافة المنتسبة إلى الكرمة انتساباً إسمياً .

وهكذا مثل التينة التى زرعها إنسان فى كرمه فإنها تشير إلى البقية الراجعة من سبى بابل فى أيام عزرا ونحميا والتى انتظر منها الله ثمراً مدة طويلة ولم يجد حتى جاء الرب يسوع نفسه وقدم لها كل وسائل الخدمة والعناية ولكنها لم تأت بثمر ، فصدر الحكم بقطعها ولكن بشفاعة الرب نفسه تمهل الله عليها حتى جاء الروح القدس فى يوم الخمسين وحتى تمتعت بكرازة الرسل ولكنها لم تثمر أيضاً فحق عليها القضاء . هكذا أيضاً الزيتونة . قطعت منها معظم الأغصان الطبيعية بسبب « عدم الإيمان » .

فى بركة المواعيد — أصلها مقدس الذى هو إبرهيم الذى أفرزه الله لنفسه ، ودسمها هو بركات المواعيد التى أعطيت لإبرهيم ليتمتع بها نسله كأغصان فى زيتونتهم الخاصة .

فإن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها (ع ١٧)

قطعت بعض الأغصان ، وهى فى الواقع الأكثرية . وقطعت لسبب عدم الإيمان . لم يكن الانتساب لإبرهيم أصل الزيتونة كافياً كما كانوا يظنون ويفاخرون بأنهم نسل إبرهيم ، بل كان يجب أن يكون لهم إيمان إبرهيم لكى يتمتعوا بالبركة — بدسم الزيتونة . ولكنهم إذ عصوا وتمردوا ورفضوا المسيح قُطعوا وحُرموا من البركة . ويجعل الرسول من هذا إنذاراً للأمم فيخاطبهم ممثلين فى فرد مع أنه يتكلم إلى المجموع قائلا « وأنت » « يا أممى » زيتونة برية طعمت فيها « فصرت شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها » أى صرت معتبراً من أولاد إبرهيم روحياً وصرت شريكاً فى بركة المواعيد لأن « الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبرهيم المؤمن » مع أنهم فى الأصل « زيتونة برية » لا حق لهم إطلاقاً فى « خبز البنين » كما يقول الرسول للأفسسيين « اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا ... إنكم كنتم ... بدون مسيح ، أجنبيين ... وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم » (أف ٢ : ١١و١٢) . ونجد نفس هذا الفكر فى رسالة غلاطية فنقرأ فى (غلا ٣ : ٧) « اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبرهيم » وفى غلا٣ : ٨ « والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشر إبرهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم » . وفى غلا ٣ : ١٤ « لتصير بركة إبرهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح » .

فلا تفتخر على الأغصان . وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل . فستقول قطعت الأغصان لأطعم أنا . حسناً . من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان ثبت . لا تستكبر بل خف . لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً (ع ١٨ — ٢١)

ما أردأ الكبرياء في نظر الله ! إن عنده عطايا جزيلة ليمنحها للإنسان ولكنه لا يمنحها إلا للمتضعين والمنسحق القلوب أمامه . لذلك يقول للأممي « لا تستكبر بل خف » ولكنه للأسف وقع في نفس الشيء الذي حذره الله منه كما نقرأ في خطاب الروح القدس لكنيسة اللاودكيين « لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء » (رؤ٣:١٧) . يا له من غرور باطل وتفاخر جسدي ! وهذا هو أساس الخراب . ما أردأ الإنسان ! يقدم له الله امتيازات ثمينة ولكنه يستخف بها ويسيء استعمالها ، فالأمم ساروا في نفس طريق عدم الإيمان الذي سار فيه إسرائيل إذ اعتمدوا على ما هو طقسي وتقليدي أو على أعمال الناموس . لقد وثقوا في الجسد وتفاخروا به وسينتهي بهم الأمر إلى القطع كما انتهى بإسرائيل . إن الأغصان الطبيعية من الشعب القديم يمكن اتهامها بشرور كثيرة ولكن كان قطعها بسبب شيء واحد وهو « عدم الإيمان » ولم ينفعهم شيء مما توارثوه من تقاليد وفرائض وطقوس مع أنها كانت مرتبة من الله . فكم بالحري الأمم الذين ليس لهم حق في مثل هذه الأمور الجسدية . إنهم « بالإيمان » فقط يثبتون . ولكنهم إذا فعلوا مثل الشعب القديم الذي قيل عنه « هذا الشعب يكرمني بشفتيه أما قلبه فمبتعد عني بعيداً » فسيقطعون . وهذا ما سيتم فعلا عندما يأتي المسيح لأخذ قديسيه إليه . وحينئذ ينتهي زمان النعمة ويغلق باب القبول أمام الإسميين (العذارى الجاهلات) . وهكذا يتم قول الرب « أنا مزمع أن أتقيأك من فمي » .

ونلاحظ أن قطع الأمم أشر من قطع الشعب القديم لأن هؤلاء لهم رجاء بالتطعيم فى زيتونتهم الخاصة أما الأمم فلا رجاء لهم بعد غلق الباب ، ولا إعادة تطعيم لهم . كما يجب أن نلاحظ جيداً أن الكلام هنا كله تدبيرى عن الأمم كمجموع أى عموم المسيحيين بما فيهم الأسميون الذين وضعهم الله فى مركز الشهادة لأسمه بعد فشل الشعب القديم . ولا يمكن تطبيق هذه الأقوال على المؤمن كفرد الذى هو غير معرض للقطع إذ له ضمانات إلهية كعضو فى جسد المسيح وكخروف من خرافه الخاصة التى لن تهلك إلى الأبد ولا يقدر أحد أن يخطفها من يده (يو ١٠ : ٢٨) .

قد يظن البعض أن أصل الزيتونة هو المسيح ولكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً لأنه هل فى المسيح أغصان طبيعية ؟ كلا لأنه قال بفمه الكريم « إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها » (يو١٢: ٢٤) ليس المسيح هو أصل الزيتونة بل إبرهيم الذى أعطيت له المواعيد ، أما المسيح فهو « الكرمة الحقيقية » وإبرهيم له أغصان طبيعية وهم نسله الطبيعى بالمقابلة مع الأمم الذين هم « زيتونة برية » .

فهوذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . وأما اللطف فلك إنه ثبت فى اللطف وإلا فأنت أيضاً ستقطع (ع ٢٢)

اللطف هو الصفة الأولى ، أما الصرامة فهى عمل الله الغريب الذى يقدم عليه بسبب قساوة الإنسان ورفضه النعمة . وقد أظهر الله لطفه نحو الإنسان فى المسيح « ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا » (تى ٣ : ٤ و ٥) وسيظهر « فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » (أف ٢ : ٧) . أما إذا إستهان الإنسان « بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتاده إلى التوبة » (رو ٢ : ٤) فليس أمامه إلا

الصرامة « أما الصرامة فعلى الذين سقطوا » ويذكر الصرامة أولا لأنه يتكلم أولا عن الأغصان التى قطعت ثم عن الاغصان التى طعمت . ونكرر القول ونشدد عليه أن الكلام تدبيرى عن اليهود والأمم . أما المؤمن الفرد فلا قطع له على الإطلاق .

وكما أن لطف الله ما أعظمه ، هكذا صرامته ما أشدها ! ونجد مثالا لهذه الصرامة فى « الذين سقطوا » ماذا أصابهم ؟ لقد تأنى الله عليهم كثيراً كما رأينا فى مثل التينة التى لم تنتج ثمراً ، وعلملهم باللطف الفائق حتى أن المسيح له المجد نظر إلى أورشليم نظرة كلها عطف وإشفاق وبكى عليها قائلا « إنك لو علمت . . . حتى فى يومك هذا ماهو لسلامك . ولكن الآن أخفى عن عينيك فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة . ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » (لو ١٩ : ٤١ — ٤٤) وإذا رجعنا إلى التاريخ البشرى (تاريخ يوسيفوس مثلا) نجد وصف الأهوال الشديدة التى أصابتهم « أما الصرامة فعلى الذين سقطوا » ولا تزال أمامهم أهوال أشد فى الضيق العظيم الذى « لم يكن مثله منذ إبتداء العالم إلى الآن ولن يكون » (مت ٢٤ : ٢١)

« وأما اللطف فلك إن ثبت فى اللطف وإلا فأنت أيضاً ستقطع » هل نتجاسر ونقول أن الأمم ثبتوا فى لطف الله ؟ ألا نرى حولنا وفى أيامنا هذه مئات الضلالات وعديد من مظاهر الارتداد وانكار حقائق الإيمان الأساسية ؟ ألا نلمس علامات الأيام الأخيرة الموصوفة فى ٢ تى ورسالتى يهوذا وبطرس الثانية ؟ إن المسيحية الاسمية من الامم لم تثبت فى لطف الله ولا بد أن تقطع . لا بد أن يلفظها الرب ويتقيأها من فمه . قريبا جداً سيأتى المسيح ويأخذ قديسيه إليه ، كنيسته التى اقتناها بدمه . وحينئذ يتم القول « إن كان أحد لا يثبت فىّ يطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق » (يو ١٥ : ٦) . عندما تستنير البقية الثابتة بعد اختطاف الكنيسة،

ويشرق عليها نور الرب ومجده تكون «الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم» (إش ٦٠ :١و٢) . ما اردأ الإنسان فى كل أدوار تاريخه ! وما أعظم فشله فى ذاته،سواء من اليهود أومن الأمم،سواء تحت الناموس أو تحت لطف الله ونعمته ! ليتنا ندرك طبيعة الأيام التى نعيش فيها فلا نخدع بغرور باطل ونتنبأ لأنفسنا بالناعمات ونحلم بالسلام والتقدم ، ولا سلام ولا تقدم إلا إلى اردأ (٢ تى ٣ : ١٣) وإلى «أكثر فجور» (٢ تى ٢ : ١٦) . ليتنا نتقدس للرب ونعيش بانفصال له عن كل خمير أدبى وتعليمى مما سيجلب الدينونة على المرتدين .

وهم إن لم يثبتوا فى عدم الإيمان سيطعمون . لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً ع ٢٣.

كما أن قطع الشعب القديم بسبب عدم الإيمان فتح باب الرحمة للأمم ، هكذا قطع الأمم سيفتح الباب لرحمة الله لتطعيم البقية الأمينة التائبة . إن رحمة الله تجد طريقها دائماً ، والله قادر على كل شىء وهو يحيى العظام اليابسة. ولكن هل يمكن أن يتم ذلك فى الوقت الحاضر ؟ وهل يمكن أن يتم بدون توبة وإيمان ؟ كلا . إنهم «إن لم يثبتوا فى عدم الايمان سيطعمون» . فأساس التطعيم هو ترك عدم الايمان وهذا سيفعله الله فى آخر الأيام بعد قيامة الابرار إذ تعطى التوبة للبقية وتحول قلوبهم لقبول المسيا. إن الانتصار على الخطية هو عمل الله وحده ، حتى يكون الانسان مدينا دائما لرحمة الله وحدها .

والنبوات تحدثنا عن ذلك كثيراً فنقرأ فى نبوة زكريا مثلا «وأفيض على بيت داود . . روح النعمة والتضرعات فينظرون إلى الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره» (زك ١٢ : ١٠) ونلاحظ إنهم «ينظرون ويؤمنون» ثم فى

الأصحاح التالى نرى أن هذه البقية ستتوب بعد اجتيازها فى أتون الضيقة وصهرها هناك ، ويكون فى كل الأرض يقول الرب أن ثلثين منها يقطعان ويموتان ، والثلث يبقى فيها . وأدخل الثلث فى النار وأمحصهم كمحص الفضة وأمتحنهم امتحان الذهب » (ز ك ١٣ : ٨ ، ٩) .

ويقول متى البشير فى الإنجيل ، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان(١) فى السماء (وهى لمعان مجده الباهر عند ظهوره حيث ستراه كل عين ، وقد عبر الرب عن ذلك فى الحديث نفسه بالبرق الذى يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب مت ٢٤ : ٢٧) . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض . ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » (مت ٢٤ : ٣٠) هذا هو وقت تطعيم الأغصان التى لم تثبت فى عدم الإيمان .

لأنه إن كنت أنت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة فى زيتونة جيدة فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة فى زيتونتهم الخاصة (ع ٢٤)

النظام الطبيعى للتطعيم هو إنتقاء أغصان جيدة مثمرة من شجرة مرغوبة وتطعيمها فى شجرة أقل درجة ، وحينئذ تأتى الأغصان المطعمة بأثمارها الأصلية وليس بأثمار الشجرة الأقل — هذه هى الطبيعة . ولكن ما فعله الله هو بخلاف الطبيعة تماما إذ أتى بالأمم الذين هم زيتونة برية بحسب الطبيعة وطعمهم فى زيتونة المواعيد الجيدة ليكونوا بخلاف الطبيعة شركاء فى أصل الزيتونة ودسمها . إننا بحسب الطبيعة كنا نثمر للإثم ، ولكننا الآن بخلاف الطبيعة (بحسب قانون الحياة الجديدة) « نثمر لله » .

(١) يرى بعض المفسرين أن علامة ابن الانسان هى الجروح التى فى يديه ورجليه باعتبارها العلامة المميزة له التى يراها الذين طعنوه وتنوح عليه جميع قبائل الارض .

اعترض بعض النقاد على تشبيه الزيتونة هنا بدعوى إن هذا التشبيه يتناقض قوانين علم النبات وفاتهم أن دقة الروح القدس قد سدت عليهم سبيل الاعتراض إذ سجلت ذلك بوضوح أن هذا التطعيم هو « بخلاف الطبيعة »، ومرة أخرى نقول أن الكلام فى الأصحاحات ٩ — ١١ تدبيرى ولا يتناول الحق الخاص بالكنيسة من جهة طبيعتها ودعوتها وامتيازاتها وسلوكها ومصيرها — الكنيسة التى هى بيت الله على الأرض فى الوقت الحاضر وجسد المسيح وعروسه السماوية التى سيأخذها لنفسه عندما يأتى من السماء . لأن الرسول فى هذه الاصحاحات يتكلم عن اليهود والأمم، وكنيسة المسيح ليس فيها يهودى وأممى

فإنى لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا هذا السر . لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم (ع ٢٥)

الإخوة الذين يخاطبهم الرسول هنا هم المؤمنون من الأمم . وهو يطلب منهم أن لا يجهلوا هذا السر أى ماسبق وأوضحه فى الأعداد السابقة لأن الذين يجهلون هذا السر يصيرون حكماء عند أنفسهم وبالتالى يفتخرون بينما سبق وحذرهم من ذلك بالقول «فلا تفتخر» (ع١٨) وأيضاً «لاتستكبر بل خف» (ع ٢٠) وهذا مانراه الآن حادثاً من المسيحيين بالإسم من الأمم . كان عند الله أسراراً كثيرة لم يخبر بها بنى البشر فى الأجيال السابقة ولكنه سُر أن يعلنها الآن فى عصر النعمة وهو لا يريدنا أن نجهل هذه الأسرار بل أن نعرفها جيداً لتعزيتنا وبركتنا (انظر أيضاً ١ كو ١٥ : ٥٠) وأف ٣ : ٩ ، أف ٥ : ٣٢ ، ١ تى ٣ : ١٦).

« ملؤ الأمم » يعنى كمال عدد المختارين من الأمم وعندما يتم هذا يأتى المسيح من السماء لأخذ قديسيه إليه .

وهكذا سيخلص جميع إسرائيل . كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم (ع ٢٦، ٢٧)

« وهكذا » أى بعد ذلك يخلص جميع إسرائيل أى البقية الأمينة فى المستقبل بعد اجتيازها فى الضيقة العظيمة وبعد إبادة المرتدين منهم الذين يسجدون للوحش . أما قوله « جميع إسرائيل » فلا يقصد به « إسرائيل حسب الجسد » بل المؤمنون الحقيقيون الذين يعتبرون « جيلا جديداً آتياً سوف يخلق » (مز ٢٢ : ٣٠ ، ١٠٢ : ١٨) .

« كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب » هذا الشاهد مقتبس من إش ٥٩ : ٢٠ و ٢١ وقد استشهد به يعقوب فى كلامه فى مجمع أورشليم فى أعمال ١٥ . ونلاحظ أن الأساس هو التوبة ، فالعبارة ترد فى إشعياء هكذا « يأتى الفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب » وهنا « رد الفجور » و « نزع الخطايا » لا يمكن أن يكون هناك أساس غير هذا (انظر إش ٢٢ و ٣٥ ، أر ٣١ ، مز ٨٩) .

من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم . وأما من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء . لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة (ع ٢٨، ٢٩)

لقد رحبوا بالناموس الذى أدانهم وقضى عليهم ، أما إنجيل نعمة الله فقد ناصبوه العداء ، رفضوه لأنفسهم وقاوموا وصوله للأمم . وقد وصفهم الرسول وصفاً دقيقاً فى ١تس ٢ : ١٥ — ١٧ قائلا «الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن . وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين . ولكن

قد أدركهم الغضب إلى النهاية ، من جهة الإنجيل هم أعداء لاسيما من أجل دخول الأمم ،

« وأمامن جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » . الإنسان متغير ولكن الله ثابت لا يتغير . الإنسان يثبت دائماً عدم أمانته . ولكن الله « يبقى أميناً لايقدر أن ينكر نفسه » ولا بد أن يتمم كل ما نطق به « ليس الله إنساناً فيكذب ولا إبن إنسان فيندم . هل يقول ولايفعل أو يتكلم ولايفى » (عد ٢٣ : ١٩ ، ١ صم ١٥ : ٢٩) .

ويتكلم الرسول هنا عن اختيار الله وهباته ودعوته (وهذه سبق شرحها بالتفصيل فى الأصحاح التاسع . ويقول إنها بلاندامة ، فإن كان الإنسان لا يثبت فى لطف الله ولكن لطف الله ثابت وإن كانت الأغصان تقطع ولكن زيتونة البركات باقية . وإعادة التنظيم فيها ليس على أساس موسى والناموس بل على أساس الآباء ومواعيد الله لهم .

فإنه كما كنتم أنتم مرة لاتطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضاً برحمتكم لأن الله أغلق على الجميع معاً فى العصيان لكى يرحم الجميع (٣٠—٣٢)

تتكرر كلمة « رحمة » فى هذه الأعداد أربع مرات . فالرحمة هى الأساس الوحيد دائماً .لقد سقط استحقاق الإنسان وثبت فشله . يهودياً كان أوأممياً. ففى خط سير الطبيعة لايوجد نفع فى الإنسان بالمرة ولكن ملجؤه الوحيد هو الرحمة . إن مبدأ الاستحقاق والعمل مستبعد ومرفوض دائماً .

« لأن الله أغلق على الجميع معاً فى العصيان لكى يرحم الجميع » وذلك لكى يتمجد الله وحده ولكى يظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح . أما فى الوقت الحاضر فمبدأ الرحمة يحرك مشاعر

المؤمنين بالسجود والتعبد كما هو واضح فى التسبيحة التالية . كما يحفذهم إلى حياة التكريس والخدمة التى أساسها «رأفات الله»، كما هو واضح فى الأصحاح الثانى عشر .

يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأنه من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً . أو من سبق فأعطاه فيكافأ . لأن منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد آمين (ع ٣٣ — ٣٦)

بعد كل هذه التأملات التى تجمعت خلاصتها فى رحمة الله يفيض قلب الرسول هنا بالعمق والأبعاد كأنه يقول أنه لاحدود لغنى الله وحكمته وعلمه وأحكامه وطرقه ، ولكن نشكر الله لأنه وإن كنا لانستطيع أن نستقصيها ولكنه أعلنها لنا فى كلمته .

وما أعجب الكلمات «من سبق فأعطاه فيكافأ» إنها تنفى مبدأ العمل والاستحقاق نهائياً ، فليس لأحد دين على الله حتى يوفيه له . وليس لأحد فخر لدى الله .

«لأن منه» أى أنه هو المصدر الوحيد ، «وبه» أى هو الموصل الوحيد للبركة ، «وله» أى هو الغاية والغرض فهو الأول وهو الآخر ، منه كل شىء ولاشىء من الإنسان على الإطلاق . منه النعمة والرحمة ، منه التبرير والتقديس ، ومنه ضمان الحفظ حتى الوصول للمجد تبارك اسمه إلى الأبد.

وهذه الأعداد مقتبسة من إش ٤٠ : ١٣ و ١٤ وهكذا نجد اقتباسات عديدة من العهد القديم فى هذه الأصحاحات الثلاثة ، ومن سفر إشعياء وحده حوالى عشرة اقتباسات .

وما أحلى التسبيحة التى بها يختتم الرسول هذه الأصحاحات التدبيرية « يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ... لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين »

ألا يليق بنا أن نشترك مع الرسول بقلوبنا فى هذه التسبيحة العجيبة التى هى من أحلى تسابيح العهد الجديد حيث يستعرض الروح القدس بطريقة جذابة أمام عيون إيماننا غنى الله وحكمته وعلمه وأحكامه وطرقه وأنه هو المصدر والمجرى والغاية لكل الانعامات التى وصلت إلينا .

حسب قصدفى الدهور حـــكمة تنوعت
يا لنعمـــة تجلت يا لحـــكمة سمت
مستحق كل شكر وسجـــود وثناء
وعبـــادة وحمد للدهـــور ربنا

الأصحاح الثاني عشر

انتهى الرسول فى الأصحاح السابق إلى أن كل ما يحصل عليه الإنسان من الله هو على أساس الرحمة . وعلى هذا المبدأ ذاته يبدأ الرسول هذا الأصحاح بالقول .

فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أنه تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية (ع ١)

عبارة « أطلب إليكم » معناها ألتمس منكم ، بخلاف عبارة « أطلب منكم » ياللعجب ! يوجه الرسول هذه العبارة الرقيقة للإخوة بالوحي . إن لله كل الحق أن يطالب الإنسان بعد أن أغدق عليه رحمته الغنية .

« برأفة الله » أو رأفات الله بصيغة الجمع . نعم إنها سلسلة رأفات لاحد لها . هذا هو أساس الطلب[1] . كان الناموس يطالب الإنسان بمطاليب كثيرة ولكن النعمة والرحمة لا تطلب طلبات مثل الناموس : أفعل هذا ولا تفعل ذاك ، بل تطلب تقديم الكيان كله لله ، تكريس الكل لله ، فتكون النتيجة أن المؤمن لا يحتاج إلى أوامر أو وصايا محددة متذكراً دائماً أن المسيح قدم نفسه ذبيحة على الصليب لأجلنا (أنظر عب ٧ : ٢٧ و ٩ : ٢٥ و ٢٨) لنأخذ مثلا نعمة العطاء . عندما تكلم الرسول عن ذلك للكورنثيين يقول لهم إن الفيلبيين أعطوا فوق الطاقة من تلقاء أنفسهم ولكن أساس ذلك أنهم

---

(١) نلاحظ أن المبدأ الالهى الدائم هو أنه يقدم لنا كل شيء أولا ، وبذلك نستطيع نحن أن نقدم له . فنحن ننال الحياة الروحية لكى نعمل ، لا أننا نعمل لكى ننال الحياة كما يظن الكثيرون . ونجد هذا المبدأ واضحاً حتى فى ترتيب الأسفار الالهية . فسفر التكوين هو سفر الحياة . ويأتى بعده الخروج وهو سفر الفداء . ثم اللاويين وهو سفر الاقتراب إلى الله . وبعد ذلك يأتى سفر العدد وهو سفر السلوك العملى .

أعطوا أنفسهم أولا للرب . فمن أعطى نفسه للرب يمكنه أن يقدم بكل سهولة كل شيء ، ولكن من لا يعتبر أنه بجملته لله يفعل مثل نابال (١) عندما قال لرجال داود : هل آخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجازىّ وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟ أما المؤمن الذى عرف أنه مشترى بدم المسيح ومدين بأن يمجد الله فى جسده وروحه اللذين هما لله ، فيكون مستعدا دائماً أن يقدم كيانه كله لله .

« ذبيحة » الذبيحة نأخذها من بين الغنم لنذبحها وهى لا تعارض أو تقاوم. وهكذا يجب على المؤمن أن يخضع إرادته لارادة الله فلا تكون له إرادة خاصة .

ولكنها « ذبيحة حية » من ناحية الله . فهى ميتة عن الجسد وعن الذات ولكنها حية لله . كما يقول الرسول « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » .

« مقدسة » أى مخصصة لله(٢) ، وذلك بتقديس الروح القدس (١ بط ١ : ٢) . كان رئيس الكهنة فى القديم يلبس على جبهته صفيحة من ذهب مكتوب عليها « قدس للرب » أى أنه يعترف علنا بأنه ليس لنفسه بل للرب. فكيان المؤمن وممتلكاته وقدراته ومواهبه كلها للرب .

« مرضية عند الله » يعمل الناس أعمالا خيرية كثيرة ويقومون بمجهودات

---

(١) وإن كان نابال غير مؤمن لكن حتى المؤمن يحمل بين جنبيه طبيعة ساقطة كطبيعة نابال ، فما لم يكرس حياته للرب ويمتلكه الروح القدس فهو معرض للسقوط فى هذا الشرك إذ يحسب كل شيء ملكه الخاص .

(٢) نجد رمزاً جميلا لذلك فى الأصحاح الثامن من سفر العدد حيث يأمر الرب موسى أن يأخذ اللاويين من بين الشعب ويقدمهم أمام الرب . ويضع الشعب أيديهم على اللاويين ، كما يفعلون بالذبيحة ، ويرددهم هرون ترديداً أمام الرب فيكونون للرب موهوبين له من بين الشعب . فكأنهم ذبيحة حية مقدسة لله (عد ٨ : ٥ - ١٦)

كبيرة لكن هل كلها مرضية عند الله ؟ قد تنال المدح والثناء من الآخرين ولكن لا يرضى الله إلا تكريس القلب والكيان كله له .

نلاحظ أن هناك إشارة سابقة عن تقديم الجسد في الأصحاح السادس حيث يقول الرسول « كما قدمتم أعضاءكم (عندما كنتم عائشين فى الخطية ومستعبدين لها — قدمتموها) آلات إثم للخطية ، هكذا الآن (بعد أن تحررتم من الخطية وصرتم عبيداً للبر) قدموا أعضاءكم للقداسة » فالأعضاء التى كان يستخدمها الشيطان لشهوات الجسد تقدم الآن طواعية لتخدم الله فى القداسة خدمة مرضية لديه .

« عبادتكم العقلية » كانت العبادة التى يقدمونها فى العهد القديم عبادة طقسية أو جسدية كما يقول الرسول فى الرسالة إلى العبرانيين « فرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح . وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة » قد رسمها الله كرموز وظلال للأمور الروحية (عب٩ : ١٠) فكل ذبيحة كانت لها شريعة خاصة . هذه يوضع عليها لبان ، وهذه يُسكب عليها سكيب وكلها مرتبة بحكمة إلهية ولكنها لم تكن عبادة عقلية لأن الذين كانوا يقدمونها لم يكونوا يفهمونها . لكن الآن عبادتنا عقلية ، بالروح وبالذهن ، وبعمل الروح القدس ، وعلى أساس الحق الإلهى كما قال الرب للمرأة السامرية « تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق » (يو ٤ : ٢٣) . على أن العبادة العقلية هنا لا يقصد بها السجود فقط بل كل خدمة تقدم لله وتكون مرضية عنده على أساس تكريس القلب والكيان بجملته لله .

ولا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (ع ٢)

« ولا تشاكلوا هذا الدهر » أى لا يكون شكلكم كشكل هذا الدهر .

إن الروح التي تسود هذا الدهر هي روح التعظم ، فكل واحد يريد أن يأخذ المكان الأول ويسعى لأن يشق طريقه ولو على أنقاض الآخرين أما المؤمن فيعيش بإرادة مخضعة لله ، ولا يهتم بالأمور العالية بل ينقاد إلى المتضعين ، فروح المؤمن المكرس لله تختلف كل الاختلاف عن روح العالم . والقول « لا تشاكلوا هذا الدهر » ينطبق على كل شيء : على المظهر الخارجي وعلى جميع التصرفات والعادات فالمؤمنون ليسوا من العالم (يو ١٧ : ١٤ و١٦) بل هم مدعوون للانفصال عنه أدبياً . كانوا قبل الإيمان يسلكون « حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء » (أف ٢ : ٢) فالشيطان هو رئيس هذا العالم (يو ١٢ : ٣١) المسيطر عليه والقائد والموجّه لأهله لأن « العالم كله قد وضع في الشرير » (١ يو ٥ : ١٩) .

والشيطان أيضاً هو إله هذا الدهر كما هو مكتوب « الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين » (٢ كو ٤ : ٤) ولكن المؤمنين قد أنقذهم الآب من سلطان إبليس . سلطان الظلمة . وقد حررهم الإبن فصاروا أحراراً ليعيشوا لله ويمجدوه في كل شيء متمثلين بالرب يسوع المثال الكامل . وعندما نقرأ هذا الأصحاح من أوله إلى آخره نجد أمامنا شخص الرب يسوع المسيح الذي انطبقت عليه بغاية الكمال كل الصفات المطلوبة هنا ، فهو الذي قال « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) . « ومع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به » (عب ٥ : ٨) .

« بل تغيروا عن شكلكم » (أي شكلكم القديم قبل الإيمان) كما يقول الرسول بطرس « لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم » (١ بط ١ : ١٤)

« بتجديد أذهانكم[1] » فعندما يتغير الذهن يتغير الشكل لأن الذهن هو

---

(١) تجديد الذهن ليس هو الولادة الجديدة ، بل العمل الروحي الذي يليها إذ يطهر الروح القدس أفكارنا وعواطف قلوبنا ويكرسنا عملياً لله وذلك بمشغولية أذهاننا بالمسيح ، وامتلائنا به .

الذى يوجه الإنسان فى كل أعماله وتصرفاته . فذهنى الجديد مقتنع بأنى لست من هذا العالم وأنى مت عن العالم . «قد صلب العالم لى وأنا للعالم» . وعلى هذا الأساس يكون سلوكى . وتجديد الذهن عملية مستمرة بالروح القدس . لقد أخذنا طبيعة جديدة وحياة جديدة ، لكن الرسول يقول إن الانسان الجديد الذى أخذناه «يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣ : ١٠) ، فالإنسان الجديد يجدد حياتنا العملية كما يقول الرسول فى رسالته إلى أفسس «وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» (أف ٤ : ٢٣) فما حصلنا عليه مقاما نطبقه عمليا فى حياتنا وتصرفاتنا .

فى رسالة تيطس يأتى الرسول «بالميلاد الثانى» و «تجديد الروح القدس» معاً حيث يقول «بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس» (تى ٣ : ٥) ، فالمؤمن لا يحصل على الميلاد الثانى فقط بل على عطية الروح القدس لإجل التجديد المستمر .

وقد وردت كلمة «ذهن» فى هذه الرسالة عدة مرات . ففى الأصحاح الأول نقرأ أن الأمم الذين عبدوا الأوثان «أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض» وفى الأصحاح السابع يقول الرسول «ناموس الخطية الكائن فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى» ولكننا نجد هنا أن الروح القدس يعمل على تجديد أذهان المؤمنين ، فيتغير شكلهم إلى ما يوافق إرادة الله . وكلمة «تغيروا» هنا هى نفس الكلمة المستخدمة فى حادثة التجلى «تغيرت هيئته قدامهم» ونجد نفس الكلمة فى ٢ كو ٣ : ١٨ «نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» فالذى يغيرنا هو الروح القدس نتيجة للنظر المستمر إلى مجد الرب .

«لتختبروا ما هى إرادة الله» تأتى هذه النتيجة بعد الخطوات السابقة : تكريس الكيان كله للرب ، الموت عن الإرادة الذاتية ، عدم التشبه

بهذا الدهر ، والتغير عن كلنا بتجديد أذهاننا . حينئذ تكون إرادة الله واضحة لنا . أحياناً كثيرة لا نستطيع أن نتبين إرادة الله . لماذا ؟ لأن فينا كثيرا من الجسد وإرادته ، من الأميال والرغائب الذاتية ، بل أحيانا نعرف أن الرب لا يريد هذا الأمر ولكن لشدة رغبتنا فيه نعود ونتساءل عما إذا كانت هناك وصية واضحة بخصوصه . ولكن متى كنا مكرسين للرب تماما وخاضعين له تماماً نستطيع أن نتبين ارادة الله . وإرادته دائماً صالحة ومرضية وكاملة ، وذلك بالمقابلة مع الإرادة البشرية الذاتية المشوبة بالنقص . نختبر هذه الإرادة ، وعندما نختبرها نتممها ، نتخلى عن ارادتنا ونسعى بإخلاص أن نتمم إرادة الله فى حياتنا .

بعد أن أوضح الرسول الأساس ، يبدأ فى ذكر التفصيلات .

فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم أنه لا يرتئى فوق ما ينبغى أنه يرتئى بل يرتئى إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان . (ع ٣)

يقصد الرسول بالنعمة هنا الموهبة الرسولية المعطاة له من الله ، كما فى الأصحاح الأول حيث يقول « قبلنا نعمة ورسالة » بهذه النعمة أو الموهبة يقول لكل من هو بينهم (أى لكل من أخذ موهبة) أن لا يرتئى فوق ما ينبغى ، أى لا يفتكر فى نفسه أكثر من اللازم ولا يطلب مركزاً فوق ما قسم الله له كما يفعل أهل العالم . أما المؤمن فيكتفى بالخدمة فى المجال المعين له من الله . يعرف ارادة الله من جهة خدمته ويتممها . وفى ١ كو ١٢ يقول الرسول إنه ليس لكل الأعضاء عمل واحد ، فليس كل الجسد عينا وليس كل الجسد يدا لكن الله وضع فى الجسد أعضاء صغيرة وأعضاء كبيرة ، ويجب على كل عضو أن يقوم بعمله المعين له من الله .

« بل يرتئى إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » كما

يقول الرسول فى ١ كو ١٢ : ١١ عن الروح القدس « قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء » . ويربط الرسول الموهبة هنا « بالإيمان » فالله يعطى للمؤمن مقداراً من الإيمان به يستطيع أن يمارس الموهبة فلا يصح للمؤمن أن يمارس خدمة لم تعط له من الله لأن ممارستها يستدعى إيمانا لم ينله . وإن كان الله قد قسم لكل واحد مقداراً من الإيمان فهل هناك مجال للأفتخار ؟ كلا . وهذا ما يقوله الرسول للمؤمنين فى كورنثوس « إن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟ » فما على المؤمن إلا أن يمارس ما أخذه من موهبة فى روح الاتضاع .

فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضا لبعض كل واحد للآخر (ع ٤ : ٥) .

كون المؤمنين جسد المسيح حقيقة أعلنت للرسول بولس . وقد كتب عن هذه الحقيقة فى رسائله إلى رومية وكورنثوس وأفسس وكولوسى ولكن هناك فرق ، ففى رسالتى رومية وكورنثوس الأولى منظور إلى الجسد من ناحية مسئولية الأعضاء فى ممارسة الخدمة هنا فى هذا العالم . لكن فى رسالتى أفسس وكولوسى منظور إلى حقيقة كون الكنيسة فى مجموعها جسد المسيح . وأول نور من جهة هذا الحق أخذه الرسول عندما ظهر له الرب فى الطريق وقال له « شاول شاول لماذا تضطهدنى » ؟ أى أن أولئك الذين يضطهدهم متحدون به كجسده وهو الرأس الذى يشعر بشعورهم . ولكنه يعلن هذا الحق الكامل فى رسالة أفسس حيث يقول « وإياه جعل رأسا فوق كل شىء للكنيسة التى هى جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل » (أف ١ : ٢٢ و ٢٣)

كل المؤمنين الحقيقيين الذين سكن فيهم الروح القدس إبتداء من يوم

الخمسين يكونون جسد المسيح ، وعندما يُضاف آخر عضو قبل الاختطاف يكمل الجسد ويأتى المسيح ليأخذ كنيسته « ويحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لادنس فيها . . . بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أ ف ٥ : ٢٧) . هذا هو الحق المعلن فى رسالتى أفسس وكولوسى ، ولكن الرسول يتكلم هنا عن الأعضاء العاملين حالياً . فعندما يقول مثلا « إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه » ، هل يمكن أن يطبق هذا على المؤمنين الذين رقدوا الذين هم من الجسد ؟ كلا . ولكنه ينطبق على الأعضاء الموجودين على الأرض ويمثلون جسد المسيح . فجسد المسيح الكامل يشمل جميع المؤمنين من يوم الخمسين إلى آخر مؤمن قبل الاختطاف ، ولكن الكلام هنا وفى رسالة كورنثوس الأولى هو عن أعضاء الجسد فى كل جماعة محلية كعاملة ومسئولة ، لان كل كنيسة محلية تمثل الجسد الواحد كله

« هكذا نحن الكثيرون جسد واحد فى المسيح » هذه حقيقة وليست تشبيهاً . فى ١ كو ١٢ : ١٢ يقول الرسول « هكذا المسيح » ، لا يقول هكذا جسد المسيح بل «هكذا المسيح» لان الرأس والجسد هم واحد ، إنسان واحد « المسيح » .

« وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر » فنحن أعضاء فى جسد المسيح وأيضاً أعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر . نحن للمسيح ونحن أيضاً لبعضنا البعض ليكون كل عضو بركة ومعونة للآخر . لا يقوم كل عضو بأداء عمله بمفرده بالانفصال عن باقى الأعضاء بل كل الأعضاء تعمل متعاونة معاً . وما أجمل قول الرسول فى أف ٤ : ٣١ «الرأس المسيح الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بموازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة » . ويزيد الأمر إيضاحاً فى كو ٢ : ١٩ حيث يقول « الرأس الذى منه كل الجسد بمفاصل وربط (أعصاب) متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله » . فلا يمكن

يا أخي أن تستغنى عن أخيك الذى هو عضو معك فى الجسد الواحد « لأننا بعضنا أعضاء البعض » (أف ٤ : ٢٥) موهوبين من الله لبعضنا البعض .

ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا . أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان (ع ٦)

« مواهب مختلفة » كما قال الرسول سابقاً « كما قسم الله لكل واحد » . وهذه المواهب معطاة لنا « بحسب النعمة » . وهذة النعمة متنوعة كما يقول الرسول بطرس « كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة » (١ بط ٤ : ١٠) . فعطايا المسيح للكنيسة متنوعة ، وهى بحسب نعمته الغنية .

ثم يتكلم الرسول عن بعض هذه المواهب فيقول « أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان » . هذه أول موهبة يذكرها الرسول هنا . ونفهم من ١ كو ١٤ : ٣ أن « من يتنبأ يكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية » ، وهذه موهبة دائمة لأنها لبنيان الكنيسة . كانت هناك نبوات تتعلق بإعلانات مستقبلة وهذه انتهت بإكمال تسجيل الوحى فى الكتاب . وفى رسالة أفسس يتكلم الرسول عن الرسل والأنبياء كمؤسسين « على أساس الرسل والأنبياء » أى الأساس الذى وضعوه ، وهو المسيح . لأنه « لايستطيع أحد أن يضع أساساً آخر » . وقد انتهى دور الأساس ويجرى الآن البنيان بالمواهب الدائمة لتكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . وترتبط النبوة بنسبة الإيمان الممنوح من الله لممارستها « كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » . وتذكر النبوة أولا لأن بها يتكلم الله إلينا ، وهذا هو الأهم .

أم الخدمة ففى الخدمة ، أم المعلم ففى التعليم (٧)

« الخدمة على إطلاقها ، ومجالاتها فسيحة ومتنوعة . فى أع ٦ عندماحدث تذمر من أرامل اليونانيين أنه يغفل عنهن فى الخدمة اليومية ، قال الرسل

« انتخبوا سبعة رجال فنقيمهم على هذه الحاجة » أو الخدمة ، وهذه هى خدمة الشمامسه . وكلمة «شماس» معناها « خادم » . فهناك خدمة مادية وهناك خدمة روحية ، وكلتاهما للرب ولها أجرة متى كان أداؤهما بأمانة . فى ١ كو ١٦ يتكلم الرسول عن بيت استفاناس أنهم « رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين » أى أن البيت كان مفتوحاً لخدمة احتياجات القديسين ولاسيما خدام الرب والغرباء .

« أم المعلم ففى التعليم » المعلم هو الذى أخذ موهبة من الرب لتوضيح الحق الإلهى بدقة ، وتفصيل كلمة الحق بالاستقامة . ونجد مثالا لخدمة المعلم فى أكيلا . فقد كان أبلوس رجلا غيوراً وفصيحاً مقتدراً فى الكلام ولكنه لم يكن يفهم الحق الإلهى بالتدقيق فأخذه أكيلا إلى بيته وشرح له طريق الرب بأكثر تدقيق ،

أم الواعظ ففى الوعظ • المعطى فبسخاء المدبر فباجتهاد الراحم فبسرور (ع ٨)

. الواعظ هو الذى يتكلم كلاماً تحريضياً لينهض المؤمنين لتطبيق الحق الإلهى فى الحياة العملية . ونجد مثالا لذلك فى برنابا الذى لما أتى إلى أنطاكية « ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب » (أع ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - ٢٢) ويشجع الرسول المؤمنين على القيام بهذه الخدمة قائلا « ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة » (عب ١٠ : ٢٤) والرسول نفسه يقول للمؤمنين فى تسالونيكى « كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالآب لأولاد ، ونشجعكم ونشهدكم لكى تسلكوا كما يحق لله » (١تس ٢ : ١١) ويجب أن يكون الواعظ قدوة لمن يعظهم فى السلوك العملى . «المعطى فبسخاء » ليس هذا شاقاً على من أعطى نفسه أولا للرب . ومن قدم جسده ذبيحة حية مقدسة لله وليس السخاء

مقصوراً على الأغنياء، فقد كان أهل فيلبي فقراء ولكن يقول عنهم الرسول « إنه فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم » (٢ كو ٨ : ٢) . والرب يكافىء السخاء « النفس السخية تسمن » (أم ١١ : ٢٥) . وضد السخاء البخل أو الشح « هذا وإن من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد » (٢ كو ٩ : ٦) ويجب أن يكون السخاء مقترناً بالفرح والسرور « لأن المعطى المسرور يحبه الله » .

« المدبر فباجتهاد » وخدمة التدبير فى وسط المؤمنين خدمة هامة . وهى متعددة النواحى كما يقول الرسول « تدابير » (١ كو ١٢ : ٢٨) وهى خدمة محلية غالباً ما يقوم بها الشيوخ ، كما يقول عنهم الرسول « الشيوخ المدبرون حسناً » (١ تى ٥ : ١٧) . وهؤلاء الشيوخ يجب أن تتوافر فيهم صفات خاصة حتى تكون خدمتهم مقبولة ونافعة[1] (انظر ١ تى ٣ : ١ - ٧ ، تى ١ : ٦ - ٩) . وهم يدعون أيضاً قسوس أو أساقفة . إن كلمة « شيخ » أو « قسيس » هى بالنسبة إلى السن . أما كلمة أسقف فهى بالنسبة إلى نوع العمل وهو المناظرة أو الرعاية ، لأن كلمة « أسقف » مأخوذة من كلمة يونانية معناها « ناظر » كما جاء فى (١ بط ٥ : ٣) . « ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً » فالشيخ أو القسيس أو الأسقف أو المدبر يلاحظ المؤمنين من حيث حالتهم الروحية ، وظروفهم المختلفة التى يجتازون فيها بسماح الله، من ضيق أو مرض أو حزن . ويهتم بتشجيعهم وتسنيدهم وتفهم مشاكلهم وتدبيرهم بحسب مايعطيه الرب من نعمة وحكمة، صائراً لهم قدوة فى كل شيء ومدبراً

(١) لاتوجد الآن إقامة رسمية للشيوخ لأن هذا كان عن طريق سلطان رسل المسيح أو من أنابوهم عنهم مثل تيموثاوس فى أفسس وتيطس فى كريت . ولكن عمل الشيوخ موجود ، وعلى المؤمنين أن يعرفوهم ويعتبروهم فى المحبة لأجل عملهم (١ تس ٥ : ١٢ و ١٣) ويطيعوهم (عب ١٣ : ١٧)

بيته حسناً لأنه إذا لم يستطع أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله ؟ . وينبر الوحى هنا على القيام بهذه الخدمة « باجتهاد » .

« الراحم فبسرور » أعمال الرحمة كثيرة ومتنوعة ويمكن أن تدخل ضمنها الخدمتان السابقتان : العطاء والتدبير ، فمن أعمال الرحمة افتقاد اليتامى والأرامل والمحتاجين والمتضايقين وزيارة المرضى والحزانى وصغار النفوس . ونجد مثالا جميلا لذلك فى مثل « السامرى الصالح » الذى صنع الرحمة مع من وقع بين اللصوص. والرب قال «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون» وأيضاً « فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم » (لو ٦ : ٣٦) والراحم يتذكر أنه هو أولا قد رحم فيظهر عملياً كم صنع به الرب ورحمه ويقوم بهذه الخدمة بلا أنين أو تذمر بل بسرور . وهذه هى الحكمة التى من فوق « مملوءة رحمة وأثماراً صالحة » (يع ٣ : ١٧) إلى هنا تكلم الرسول عن المواهب والخدمات التى أعطاها الرب لبعض المؤمنين ليمارسوها فى وسط جماعة الله ، الأعضاء الذين أخذوا نعمة خاصة لخدمة الجسد ، وذلك بروح التكريس والاتضاع ، وبحسب إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة .

وإبتداء من عدد ٩ يتكلم الرسول عن واجبات وصفات عامة لكل المؤمنين.

المحبة فلتكن بلا رياء . كونوا كارهين الشر . ملتصقين بالخير (ع ٩)

المحبة هى أول الصفات المسيحية التى تنبع منها كل الواجبات . فلا فائدة من عمل أى شىء بدون المحبة . وهذا ما تكلم عنه الرسول فى (١ كو ١٣) ، فقبل أن يتكلم عن المواهب الروحية فى الأصحاح الرابع عشر يقول « أريكم طريقاً أفضل » (١ كو ١٢ : ٣١) وهو طريق المحبة . فالمحبة أولا « ولكن قبل كل شىء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة » (١ بط ٤ : ٨) . وبدون المحبة يكون الكلام « نحاساً يطن أو صنجاً يرن » ولا ينتفع الإنسان شيئاً . قد يوجد شىء من المحبة عند أهل العالم ولكنها محبة نفعية يخالطها الرياء .

أما المحبة الحقيقية فهى طبيعة الله ، وتوجد فى أولاد الله ، بل هى علامة الولادة من فوق « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة » (١ يو ٣ : ١٤) وهذه المحبة يجب ألا يخالطها الرياء « كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير » .

إن المحبة تكره الشر « ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق » (١كو١٣:٦). إن الطبيعة الجديدة فى المؤمن هى طبيعة البر ، وتنفر من الشر . إننا لا نمتنع عن الشر مكرهين بل كارهين إياه كما يقول المرنم « يا محبى الرب ابغضوا الشر » (مز ٩٧ : ١٠) . ويقول الحكيم « مخافة الرب بغض الشر » (أم ٨ : ١٣) ولكن الناحية السلبية لا تكفى بل يجب أن نكون « ملتصقين بالخير » ، وهى كلمة قوية تعنى تعلق القلب بالخير وملازمته باستمرار . وهو أمر لا يمكن أن ينتج إلا من الطبيعة الجديدة فى المؤمن . وفى سفر عاموس نجد عبارة مماثلة « ابغضوا الشر وأحبوا الخير » (عا ٥ : ١٥).

وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة (ع ١٠)

بعد أن تكلم الرسول بطرس فى رسالته الأولى عن بركة الولادة الثانية يتكلم عن المحبة الأخوية فيقول « طهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة » (١ بط ١ : ٢٢) . وفى رسالته الثانية يربط المودة بالتقوى والمحبة قائلا « وفى التقوى مودة أخوية وفى المودة الأخوية محبة » (٢ بط ١ : ٧) والمودة هى المظهر العملى للمحبة « مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة » ويقول الرسول فى رسالته إلى المؤمنين فى فيلبى « حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » عندما أحسب أخى أفضل منى فحينئذ أقدمه عنى فى الكرامة . لا يوجد شىء مثل هذا فى العالم ولكن هذا هو مثال المسيح وتعليمه ، فقد أخذ المكان

الأخير وعلمنا قائلا « اذهب واتكىء فى الموضع الأخير ... لأن من يضع نفسه يرتفع » (لو ١٤ : ١٠ و ١١) .

غير متكاسلين فى الاجتهاد . حارين فى الروح عابدين الرب (ع ١١)

الكلام هنا عن الاجتهاد الروحى طبعاً وليس الاجتهاد فى الأمور الزمنية . لقد تكلم سليمان الحكيم عن الاجتهاد فى الأعمال الزمنية « إذهب إلى النحلة أيها الكسلان تأمل طرقها وكن حكيماً » (أم ٦ : ٦) ويمكن تطبيق هذا على الاجتهاد الروحى أيضاً ، لأننا فى الواقع لا نحتاج كثيراً إلى التحريض على الإجتهاد فى الأعمال الزمنية ولكن نحتاج إلى التحريض على الإجتهاد الروحى كما يقول بطرس الرسول « وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى أيمانكم فضيلة ... لذلك بالأكثر اجتهدوا ... أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين » (٢ بط ١ : ٥ و١٠) . إنه « وقت عمل للرب » فلنكن « مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » (أف ٥ : ١٦) ولننتهز كل فرصة لنخدم الرب بنشاط « مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

« حارين فى الروح عابدين الرب » وهذه حلقات ثلاث مرتبطة معاً ، فعدم التكاسل فى الاجتهاد يسبق الحرارة الروحية وعبادة الرب . إن الرب لا يحب الفتور والتراخى فى العبادة والخدمة . مكتوب عن أبولس أنه كان « وهو حار بالروح يتكلم ويعلّم بتدقيق » (أع ١٨ : ٢٥) ليتنا نكون هكذا .

فرحين فى الرجاء . صابرين فى الضيق . مواظبين على الصلاة (ع ١٢)

هذه أيضاً ثلاث حلقات جميلة مرتبطة معاً . أولها الفرح فى الرجاء .

فى هذا العالم توجد أمور كثيرة محزنة ومكدرة ، ولكن أمامنا رجاء يجعلنا ننتصر على الحزن والألم عالمين « أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا (رو ٨ : ١٨) وهذا الرجاء مبارك ورأينا فى ص ٥ : ٥ أنه « لا يُخزى » . ونستطيع أن نكون « فرحين فى الرجاء » . لأنه قريب التحقيق . فلنفكر فى الأمور السماوية وفى المجد العتيد أن يستعلن فينا فنكون دائماً فرحين ، عالمين أن مصدر الفرح هو الرب « افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا » . وفرح الرب هو قوتنا لنكون « صابرين فى الضيق » وهكذا يتحقق أن « الضيق ينشىء صبراً » (ص ٥ : ٣) وبهذا المعنى كتب الرسول للعبرانيين « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطىء » (عب١٠: ٣٦، ٣٧) .

« مواظبين على الصلاة » ، هذا هو سر نوال القوة للفرح فى الرجاء والصبر فى الضيق . إنى من ذاتى لا أستطيع شيئاً ولكنى بالصلاة أستمد ما أحتاج إليه من نعمة وعون . وفى رسالة يعقوب نجد القول « أعلى أحد بينكم مشقات فليصل » (يع ٥ : ١٣) ومن جهة الصبر يقول « وأما الصبر فليكن له عمل تام لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » ثم يقول بعد ذلك مباشرة « وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له » (يع ٥ : ١) وهذه الحكمة هى اللازمة لنتعلم الصبر .

مشتركين فى احتياجات القديسين . عاكفين على إضافة الغرباء (ع ١٣)

ما دمنا أعضاء فى الجسد الواحد فلا بد أن نشعر بأعواز المحتاجين من المؤمنين ونشترك معهم فيها . لقد شعر المؤمنون فى فيلبى باحتياجات الرسول فى خدمة الإنجيل فأرسلوا له مرة ومرتين لحاجته ثم يقول « فيملأ إلهى كل احتياجكم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع » (فى ٤ : ١٦ ، ١٩)

فهم اشتركوا فى احتياجاته ، والرب يملأ احتياجهم والرسول يوحنا رسول المحبة يقول « من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه . يا أولادى لا نحب بالكلام واللسان بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٧ ، ١٨) . والأصحاحان الثامن والتاسع من رسالة كورنثوس الثانية مليئان بالتحريضات على سد أعواز القديسين وسخاء التوزيع لهم .

« عاكفين على إضافة الغرباء » كلمة « عاكفين » معناها مقبلين بمواظبة ونشاط . وتوجد أشياء كثيرة حسنة يحرضنا الكتاب على أن نعكف عليها ففى الاصحاح الرابع عشر من هذه الرسالة يقول الرسول « فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان » .

ويقول الرسول لابنه تيموثاوس « أعكف على القراءة والوعظ والتعليم » (١ تى ٤ : ١٣) . وأيضاً « إكرز بالكلمة » . « أعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب » (٢ تى ٤ : ١٣) ونجد مثالا جميلا على الاهتمام بإضافة الغرباء فى الاخ غايس الذى يقول له الرسول يوحنا فى رسالته الثالثة « أيها الحبيب أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنعه إلى الأخوة وإلى الغرباء الذين شهدوا بمحبتك أمام الكنيسة » . ويقول الرسول فى آخر هذه الرسالة « يسلم عليكم غايس مضيفى ومضيف الكنيسة كلها » (رو ١٤ : ٢٣) وهذه الخدمة تنبع من المحبة كما يقول الرسول للعبرانيين « لتثبت المحبة الأخوية . لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون » (عب ١٣ : ١ و ٢) ، مشيراً بذلك إلى إبرهيم الذى أعطاه الله مكافأة ثمينة فى تلك المناسبة لأن الرب لا يكون مديوناً لأحد .

باركوا على الذين يضطهدونكم . باركوا ولا تلعنوا (ع ١٤)

من هذا العدد تأتى ناحية أخرى وهى دائرة غير المؤمنين وليس دائرة

المؤمنين فقط « باركوا على الذين يضطهدونكم » . وهناك تشابه كبير بين هذه التحريضات والموعظة على الجبل . فهناك يقول الرب « طوبى للرحماء » وهنا يقول الرسول « الراحم فبسرور » ويقول الرب له المجد « احسنوا إلى مبغضيكم » ويقول هنا باركوا على الذين يضطهدونكم . « باركوا ولا تلعنوا » أي البركة مستمرة ، الذي يباركنا نباركه والذى يلعنا نباركه أيضاً . وهذا ما يقوله يعقوب فى رسالته « من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة . ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر » (يع ٣ : ١٠ ، ١١) . فالبركة يجب أن تكون فى فم المؤمن باستمرار . ونرى المثال الأكمل فى هذا ، الرب له المجد .

فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين (ع ١٥)

وذلك لأننا أعضاء فى الجسد الواحد . ونلاحظ الارتباط بين هذه الوصية وما سبقها فعندما نكون مضطهدين لا ننحصر فى ظروفنا بل أيضاً نشارك الآخرين وهذا ما نراه أيضاً فى عب ١٠ : ٣٣ من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات ، ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصرف فيهم هكذا . فيكون المؤمنون متألمين ولكنهم أيضاً مشتركين بعواطفهم مع الذين يجتازون فى مثل هذه الظروف . المثال فى ذلك أيضاً الرب يسوع له المجد ، فعندما دُعى إلى عرس قانا الجليل ذهب إلى هناك ، وعندما دعته مرثا ومريم فى محنتهما ذهب إليهما ، وهناك عند القبر « بكى يسوع » فكان فرحاً مع الفرحين وباكياً مع الباكين .

مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين لا تكونوا حكماء عند أنفسكم (ع ١٦)

هذا التحريض أيضاً ينبع من كوننا جسداً واحداً « فالمحبة لا تطلب

ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) بل « ما هو للآخرين أيضاً » (فى ٢ : ٤) والمسيح هو المثال الكامل فى هذا أيضاً .

« غير مهتمين بالأمور العالية » الاهتمام بالأمور العالية هو فكر العالم .

« بل منقادين إلى المتضعين » هذا هو فكر المسيح . كما يقول الرسول للمؤمنين فى فيلبى « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد » (فى ٢ : ٥ — ٧) . والرب له المجد عندما كان هنا فى الأرض كان دائماً منقاداً إلى المتضعين ، وكان العشارون والخطاة يدنون منه وهو يقبلهم . وهذه هى دعوة المؤمنين أنه « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد . ليس كثيرون أقوياء . ليس كثيرون شرفاء » (١ كو ١ : ٢٦) وأيضاً « أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان وورثة الملكوت » (يع ٢ : ٥) .

« لا تكونوا حكماء عند أنفسكم » سبق أن قال الرسول فى الأصحاح السابق « لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء » . وهذا الأمر موجود فى طبيعتنا الساقطة فيظن الإنسان أن رأيه أفضل الآراء وتفكيره أحسن تفكير ، وهذا أيضاً من عدم المحبة وعدم الإتضاع . وفى سفر الأمثال يقول الحكيم « أرأيت رجلا حكيماً فى عينى نفسه الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به » (أم ٢٦ : ١٢) لأن الجاهل متضع ويقبل التوجيه لذلك فيه رجاء .

لا تجازوا أحداً عن شر بشر . معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس (ع ١٧)

الجزء الأول من هذا التحريض موجود بالنص فى ١ تس ٥ : ١٥ « أنظروا أن لا يجازى أحد أحداً عن شر بشر » ومثالنا فى هذا أيضاً كما فى كل شىء الرب . فإذا وضعناه أمامنا كقدوتنا وكرسنا له القلب والحياة

تم كل هذه الأمور بسهولة فى حياتنا . مكتوب عن الرب يسوع « الذى إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل » (١ بط ٢ : ٢٣) . يوجد أناس يظهرون لنا الشر (هذا هو مفهوم الوصية) لكن من يفعل بى شراً ماذا أرد له ؟ لا أجازيه عن شره بشر وذلك لأنى أعرف أن هذا الشخص ما كان ممكناً أن يفعل بى شراً لولا أن الله سمح بذلك ، فأنا أتعامل مع الله وأقبل كل شىء من يد الله وأقول له « هذا الشخص فعل بى شراً ولكن لا بد أن هذا بسماح منك » . وهذا ما فعله داود عندما شتمه شمعى بن جيرا وصار يرشقه بالحجارة ، إذ قال لأحد تابعيه « اتركه لأن الرب قال له سب داود » . فعندما يكون الأمر بينى وبين الرب لا يكون هناك مجال للحقد على الآخرين أو بغضهم والسعى للانتقام منهم .

« معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس » . المقصود بالأمور الحسنة أن لا يكون فى حياتنا عثرة للآخرين ، فنحرص على أن يكون سلوكنا بالتدقيق فى كل شىء ، لأن الناس عيونهم مفتوحة لملاحظة سلوك المؤمنين . ومع أنهم منغمسون فى شرورهم إلا أنهم يلاحظون أقل شىء ليعترضوا به على المؤمنين . لذلك يقول الرب له المجد « لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس (ع ١٨)

« حسب طاقتكم » إن طاقتنا للمسالمة تنتهى عندما يكون الاستمرار فيها ماساً بحق الله . ولكن طالما أن المسالمة لا تمس مجد الرب ، ولو كان فيها إساءة شخصية لنا ، فيجب أن تكون ممكنة وتتسع لها طاقتنا . فالطاقة هى على قدر ما يسمح به الحق الإلهى . الإنسان الطبيعى لا يحب المسالمة كما يقول المرنم « طال على نفسى سكنها مع مبغض السلام . أنا سلام وحينما أتكلم فهم للحرب » (مز ١٢٠ : ٦ ، ٧) . وبالرغم من ذلك فالمؤمن يجب أن يكون دائماً فى جانب السلام مع جميع الناس . وهذا يتفق مع كلام الرب فى الموعظة

على الجبل « طوبى لصانعى السلام » . ونقرأ فى رسالة يعقوب أن « ثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام » (يع ٣ : ١٨) .

لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب . لأنه مكتوب لى النقمة أنا أجازى يقول الرب (ع ١٩)

الانتقام للنفس أو طلب نقمة الله على من يسىء إلينا لا يتفق مع روح العهد الجديد كأقوال الرب الواضحة الجميلة فى مت ٥ . وإذا حاولنا أن ننتقم لأنفسنا نكون قد تعدينا على اختصاص الرب لأنه يقول « لى النقمة » وليست لنا . فيجب أن نتنحى جانباً ونترك الأمر لصاحب الاختصاص . ليس المعنى أننا نطلب النقمة للآخرين أو نرغب فيها ، ولكن الله له غضب وله تعامل مع كل شر يبدو من الناس . فلنفسح له المجال ليتصرف بموجب سلطانه وحكمته فى الوقت المناسب . لنترك له الأمر كله . هذا هو المفهوم الواضح من العبارة « لا تنتقموا ... بل أعطوا مكاناً للغضب » (أى لغضب الله) .

وهناك فكر آخر وهو أنى لا أقف أمام غضب الآخرين بل أحيد عنه لكى يمر ويعبر بعيداً عنى : لأن الغضب فى مواجهة الغضب له نتائج سيئة للغاية . هذا فكر جميل ولكن ربما كان الفكر الأول أقرب إلى معنى النص .

« لأنه مكتوب لى النقمة أنا أجازى يقول الرب » . هذا الاقتباس من تث ٣٢ : ٣٥ . ويقتبسه الرسول أيضاً فى عب ١٠ : ٣٠ . ونقرأ فى ٢ تس ١ : ٧ ، ٨ أن الرب يسوع سيُستعلن « من السماء مع ملائكة قوته فى نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح » .

فإن جاع عدوك فأطعمه . وإن عطش فاسقه . لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه (ع ٢٠)

ليس مطلوباً من المؤمن أن لا ينتقم لنفسه فقط بل من الناحية الإيجابية

يجب أن يعمل الخير مع من يسيء إليه فيطعم عدوه إذا جاع ويسقيه إذا عطش . وقد وردت هذه الأقوال أيضاً فى أم ٢٥ : ٢١ و ٢٢ هكذا : « إن جاع عدوك فأطعمه خبزاً وإن عطش فاسقه ماء . فإنك تجمع جمراً على رأسه والرب يجازيك » .

وعبارة « جمر نار على رأسه » يمكن أن نفهمها بطريقتين ، وكلاهما صحيحتان . الطريقة الأولى أن فعل الإحسان مع المسيء يؤنب ضميره بشدة كفعل النار . كما قال أحدهم لمن قابل إساءته بالإحسان : لو كنت طعنتنى بالسيف لما تألمت بهذا المقدار .

والطريقة الثانية أن مقابلتك للإساءة بالإحسان تزيد من غضب الله على رأس المسيء . وهذا المعنى مستفاد بوضوح من العبارة كما وردت فى سفر الأمثال « فإنك تجمع جمراً على رأسه » هذه مجازاة الرب للمسيء « والرب يجازيك » هذه مكافأة الرب للمحسن . والنار فى أغلب الأحيان ترمز فى الكتاب إلى دينونة الله .

لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير (ع ٢١)

متى يغلبك الشر ؟ إذا قابلته بالشر . ومتى تغلب أنت الشر ؟ إذا قابلته بالخير . إننا لا نستطيع أن نقف أمام الشر ، وإذا حاولنا ذلك سننهزم حتماً . ولكن الطريق للانتصار على الشر الذى فى الآخرين هو الانتصار على الشر الذى فى داخلى ، وذلك بفعل الخير ، لأن الخير يغلب دائماً . وتجد توضيحاً جميلا لذلك(١) فى حادثة بولس وسيلا فى سجن فيلبى . لقد كان السجان قاسى القلب فوضع عليهما ضربات كثيرة ، وطرحهما فى السجن الداخلى ، ووضع أرجلهما فى المقطرة . ولكنهما لم يحقدا عليه وإلا لما استطاعا أن يصليا

---

(١) راجع بعض الأمثلة للذين غلبوا الشر بالخير مثل داود مع شاول (١ صم ٢٤ : ١٧ و ٢٦ : ١١) واليشع مع جيش الأعداء (٢ مل ٦ : ٢٢) .

ويسبحا الله . بل أكثر من ذلك قابلا إساءته بالإحسان . فلما أراد أن يقتل نفسه ناداه بولس بصوت عظيم قائلا : « لا تفعل بنفسك شيئاً ردياً » (أع ١٦ : ٢٨) . وكان لهذه الكلمات وقع شديد فى أعماق قلبه فصرخ قائلا « يا سيدىَّ ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص » . وفعلا قد نال الخلاص فى نفس تلك الليلة .

إن خلاصة كل التحريضات الواردة فى هذا الأصحاح نجدها فى العددين الأولين منه . فمتى كرسنا القلب والحياة لله ، وتخلينا عن إرادتنا الذاتية ، واختبرنا إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة ، أمكننا بسهولة أن نقوم بكل الواجبات المبينة بالتفصيل فى هذا الأصحاح .

دعنى أعيش فى رضاك   واستمر فى الجهاد
عينى إليك لا سواك   حتى أفوز بالمراد



الأصحاح الثالث عشر

لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة . لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله (ع ١) .

رأينا فى الأصحاح السابق ، وهو بدء القسم العملى من الرسالة ، الواجبات المترتبة على علاقة المؤمن مع الله ، ثم مع المؤمنين بصفتهم أعضاء فى الجسد الواحد ، ثم مع جميع الناس ، ثم مع الأعداء .

وفى هذا الأصحاح يتكلم الرسول عن علاقة المؤمن مع السلطات الكائنة . فى آخر الأصحاح السابق يقول « لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء » . ثم يقول أن النقمة للرب . وهنا يبين أن الحكام مفوضون من الله للانتقام من فاعل الشر . المؤمن ليس من هذا العالم كما قال الرب له المجد . ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم » . فالمؤمن غريب ، ونزيل وسائح ، وعليه واجبات وخدمات يؤديها للرب فى العالم . ففى المكان الذى يوجد فيه يكون مواطناً صالحاً . إن وطنه الحقيقى هو فى السماء ، ودائرة اهتمامه ووجوده الروحى هى السماويات . « فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله » (كو ٣ : ١) . فمصالحنا الحقيقية ودائرة اهتمامنا هى فوق . فالمؤمن لا يهتم كثيراً بالتغيرات والتقلبات السياسية ، لكنه يخضع للسلطات الكائنة . سيكون لنا شأن مع المسيح فى العالم العتيد ، ولكن العالم الحاضر لا مكان لنا فيه . ويقول الرسول فى عب ٢ أن العالم العتيد لم يخضع للملائكة بل لابن الإنسان الذى سيملك وسنملك نحن معه ، « إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » . وكما يقول الرسول يوحنا « أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره (رؤ ١ : ٩) . فلابد من الضيق والصبر ثم الملك مع المسيح .

ونجد هنا تعليمات بالخضوع للسلطات ، ولكن لا نجد تعليمات لمؤمن يكون من ضمن هذه السلطات ، لإن هذا نادر . قد يكون رئيس حكومة مؤمناً ، لكن هذا استثناء أما القاعدة العامة فهى « أنه ليس كثيرون شرفاء » فى العالم.وإذا فرض أن أحد المؤمنين وُجدَ فى مركز سلطة ، فالروح القدس سيرشده ، وكلمة الله هى دستوره فى كل أعماله .

فى الناموس نجد شريعة الملك ، مع العلم أنه فى وقت الشريعة لم يكن هناك ملك بالمرة . ولكن جاء وقت فى أيام صموئيل فيه طلب الشعب لأنفسهم ملكاً ، فغضب صموئيل ، ولكن الله قال له : إنهم لم يرفضوك بل رفضونى أنا . وتلا صموئيل على الشعب شريعة الملك ، أى أنه لو لم يطلبوا ملكاً لكان الله فى الوقت المعين أعطاهم ملكاً بحسب قلبه ، ولكنهم تعجلوا فى الطلب . ولما جاء الملك وجد كلاماً خاصاً به فى الشريعة : أنه لا يكثر النساء ، ولا يكثر الخيل ، ويحفظ شريعة الرب . . . . إلخ . لكن فى العهد الجديد لا توجد شريعة للملك ، لإنه ليس لنا مُلك الآن فى هذا العالم ، كما يقول الرسول للكورنثيين « ليتكم ملكتم لنملك نحن أيضاً معكم » (١ كو ٤ : ٨) .فالآن ليس وقت المُلك بل وقت الخضوع .

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة » المقصود بالسلاطين هنا ليس أناساً بل « سلطات » ، ولذلك يقول « الفائقة » وليس الفائقين . الخضوع للسلطات هو المبدأ الألهى ، أما روح هذا العصر أو طابعه فهوالتحرر من كل القيود ، وعدم الخضوع لأية سلطة . فالمرأة لاتقبل الأمرالإلهى بأن تخضع لرجلها . والأولاد لا يقبلون الوصية الإلهية بأن يطيعوا والديهم . وهذه من علامة الأيام الأخيرة التى يتكلم عنها الرسول فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٢ تى ٣ : ٢) أما المؤمن فيرجع إلى كلمة الله ويخضع لها،ولا يشاكل أهل العالم الذين يريدون أن ينفضوا عنهم كل سلطة — فى العمل ، وفى كل العلاقات الإجتماعية . وقوله « كل نفس » يفيد أن هذا الأمر عام وليس

للمؤمنين فقط ، فترتيب الله هو أن كل نفس تخضع للسلطات الفائقة كيفما كان شكلها . والمثال الكامل هو الرب يسوع المسيح . لما أتوا إليه وسألوه فى موضوع الجزية لكى يجربوه ، فقال لهم : إيتونى بدينار ، وسأل : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا : لقيصر . فقال لهم « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، « وعندما وقف ليُحاكم ،قال له بيلاطس أما تكلمنى ؟ ألست تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك ؟ أجاب يسوع : لم يكن لك علىّ سلطان البتة . لو لم تكن قد أعطيت من فوق » (يو ١٩ : ١١) . أى أن الرب اعترف أن لبيلاطس سلطاناً قد أعطى له من فوق — من الله — لقد كان حاكما ظالماً ، وحكم على المسيح ظلماً ، لكن كان له سلطان. وخضع المسيح لهذا السلطان . لقد أتهموه بأنه يقاوم قيصر ، ولكنها تهمة باطلة لأنه عندما سأله بيلاطس : « أأنت ملك ؟ قال له يسوع : مملكتى ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا » (يو ١٨ : ٣٦) .

« لأنه ليس سلطان إلا من الله » . يكتب الرسول هذا الكلام الجميل للمؤمنين فى روما ، فى الوقت الذى كان فيه نيرون الظالم القاسى القلب امبراطوراً وحاكما متسلطاً ، وهو الذى إضطهد المسيحيين أشد إضطهاد ، وحرق روما ونسب الحريق للمسيحيين . فهل كتب لهم الرسول ليقاوموا ويحتجوا ويعتصموا ؟ لا. بل يقول لهم «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة» وهو نفسه كان خاضعاً . وفى محاكمته لم يحضر أحد معه ولكن الرب وقف معه وقواه ويقول : « فأنقذت من فم الأسد » (٢ تى ٤ : ١٧) . وفى سفر دانيال نجد امبراطوريات الأمم العالمية مصورة بأربعة وحوش طالعة من البحر ، الواحد وراء الآخر . ومع أن هذه صفاتها إلا أن المؤمن عليه الخضوع لها .

توجد أنواع كثيرة من الحكم : ملكى وجمهورى — ديمقراطى ودكتاتورى ... إلخ . ولكن المؤمن عليه أن يخضع للنظام القائم . وإذا

حدث تغيير فى نظام الحكم ، يخضع المؤمن للنظام الذى يقوم ، لإن « السلاطين الكائنة » هى مرتبة من الله ويد الله هى التى تعمل من وراء الستار . « بى تملك الملوك وتقضى العظماء عدلا. بى تترأس الرؤساء والشرفاء كل قضاة الأرض » (أم ٨ : ١٥ و ١٦) فالرب هوالذى يقيم الملوك ويعطيهم السلطان . فهويقول « نبوخذ نصر عبدى » . ولكن عندما ارتفع قلبه ونسب إلى نفسه الاقتدار والجلال ، أخذ الرب منه السلطان ، بل أخذ عقله وجعله كالحيوان يأكل العشب ، وذلك « لكى يعلم أن السماء سلطان » . وعندما علم ذلك أرجع الرب إليه عقله فقال «سبحت وحمدت الحى إلى الأبد الذى سلطانه سلطان أبدى ... وهو يفعل كما يشاء » (دا ٤ : ٣٤) .

متى ترتبت السلطات من الله ؟ . كان إبتداء ذلك بعد الطوفان عندما قال الرب لنوح . « سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه » . إن أول جريمة قتل ارتكبها قايين عندماقام على هابيل أخيه وقتله . ولكن الله وعده أن لا يجعل أحداً يقتله . ولكن بعد الطوفان أعطى الله سلطاناً للإنسان ليحكم على القاتل بالأعدام . ثم جاء الناموس وأيّد هذا السلطان . إذ نقرأ فى سفر العدد « كل من قتل نفساً فعلى فم شهود يُقتل القاتل ... ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت ، بل إنه يُقتل . . لا تدنسوا الأرض التى أنتم فيها ، لإن الدم يدنس الأرض . وعن الأرض لا يُكفر لأجل الدم الذى سُفك فيها إلا بدم سافكه . » (عد ٣٥ : ٣٠ — ٣٣) .

حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة . (ع ٢) :

فى العدد الأول رأينا أن المؤمن يخضع ، وفى هذا العدد نقرأ أنه لا يقاوم . بل يوجد أكثر من ذلك ، إذ نقرأ فى الرسالة إلى تيطس أن المؤمن يجب ألا يطعن فى أحد ولا يخاصم، بل يكون حليماً ومظهراً كل وداعة (تى ٣ : ١ ، ٢).

قد تقع على المؤمن مظالم ، فماذا يفعل ؟ لا يقاوم ، ولا يطعن ، بل يخضع ويصلي . وأيضاً « يحتمل احزاناً متألماً بالظلم » (١ بط ٢ : ١٩) ، « لأن هذا فضل عند الله » . « وهو يمجد الله من هذا القبيل » . والمسيح هو المثال الكامل فى هذا . وأما الحاكم الظالم فلله تعامل معه ، لإنه الأعلى الذى يحاكم .

على أن المؤمن معفى من الخضوع للسلطان فى حالة واحدة وهى : إذا طلب السلطان أمراً مخالفاً لكلمة الله وللضمير الصالح . وفى هذه الحالة « ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس » ، ولتكن النتائج ماتكون . كما قال الفتية الثلاثة لنبوخذ نصر « يا نبوخذ نصر لايلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر . هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا ... وإلا (أى سواء نجانا أم لم ينجنا) فليكن معلوماً لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته » (دا ٣ : ١٦ — ١٩) . وكما فعل بطرس ويوحنا عندما طلب منهما الحكام « أن لاينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع » . فأجاباهم « إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا » (أع ٤ : ١٨ ، ١٩) . فالمؤمن يخضع للسلاطين فى حدود الطاعة لله « فى الرب » . والنتيجة لا بد أن تكون لخير المؤمن ولمجد الله .

فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل الشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان . إفعل الصلاح فيكون لك مدح منه (ع ٣) :

إن غرض الله من إقامة الحكام هو أن يخيف من يفعلون الأعمال الشريرة أما الذين يفعلون الأعمال الصالحة فلا يخافون السلطان ، والمؤمن لايفعل الخير والصلاح خوفاً من الحاكم أو من القانون ، بل بحسب مبدأ الطبيعة الجديدة التى أخذها من الله ، لأنَّ « كل من لا يفعل البر فليس من الله » ، « من يفعل البر فهو بار كما أن ذاكَ بار » (١ يو ٣ : ٧ ، ١٠) .

والمؤمن لا يمتنع عن الشر فقط بل يكرهه ، كما رأينا فى الأصحاح السابق « كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير » .

والحاكم المدرك لحقيقة مركزه الذى وضعه فيه الله ، يمتدح فاعلى الصلاح.

لأنه خادم الله للصلاح . ولكن إن فعلت الشر فخف : لأنه لا يحمل السيف عبثاً : إذ هو خادم الله المنتقم للغضب من الذى يفعل الشر (ع ٤).

السلطان هو حاكم للناس ، ولكنه خادم لله الذى أعطاه السلطان . ويا للشرف ! ونجد عبارة « خادم الله » مرتين فى هذا العدد ومرة ثالثة فى ع ٦ . وسبق أن قال الرب عن نبوخذ نصر : « عبدى » أى منفذ أوامرى مع أنه أممى وثنى . وكذلك قيل عن كورش « راعىّ فكل مسرتى يتمم » (أش ٤٤ : ٢٧) .

والحاكم خادم الله من ناحيتين : للصلاح لمدح فاعل الصلاح من ناحية ، وللانتقام من الذى يفعل الشر من الناحية الأخرى . ولإجراء هذا الانتقام أعطاه الله أن يحمل السيف ، أى سلطة تنفيذ الحكم حتى إلى الأعدام . والمؤمن الذى يخاف الله ويجعل الرب أمامه دائماً لا يحتاج أن يخاف الحاكم أو السيف .

لذلك يلزم أن يخضع له : ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير . (ع ٥)

فضمير المؤمن يبكته ويحكم عليه إذا فعل ما يخالف وصايا الله . وأيضاً إذا لم يخضع المؤمن للحاكم فإن ضميره يلومه . فالمؤمن لا يخاف أبداً بل يخضع — وخضوعه ليس بسبب غضب الحاكم بل بسبب ضميره نحو الله . وعندما يخضع المؤمن يستطيع الله أن يستخرج له من الشر خيراً . وحتى

من الضيق والاضطهاد يأتي بثمرات روحية مباركة . إنه بسبب وجود بولس في السجن في رومية وصل الإنجيل حتى إلى بيت قيصر . ويقول الرسول « إن أموري (وهي أمور الضيق في الجسد) آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل » (في ١ : ١٢) .

فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً . إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه . فأعطوا الجميع حقوقهم . الجزية لمن له الجزية الجباية لمن له الجباية والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام (ع ٦ ، ٧)

« فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً » أي أن هذا أمر متبع ومفروض . المؤمن أول من يطيع القوانين ويؤدي الواجبات المطلوبة منه ولا تصل به الدرجة أن يتهرب من الجزية أو يغالط فيها . « لأجل هذا » أي لأجل الخضوع والضمير « توفون الجزية » . الحكام خدام الله للسهر على الأمن والمحافظة على الأرواح والأموال والمواظبة على ذلك . وما هي مواردهم ؟ الجزية التي تفرضها الحكومة ، وسبق أن عرفنا أن الرب قال « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فاعطوا الجميع حقوقهم « الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية .

عندما أتى الذين يطلبون الدرهمين وطلبوا ضريبة الهيكل من الرب قال لبطرس لئلا نعثرهم « اعطهم عني وعنك » مع أنه هو رب الهيكل وصاحب الهيكل .

فالمسيحي الأمين للرب يجب عليه دفع الضرائب بأمانة وفي مواعيدها وبحسابات مضبوطة . أهل العالم لديهم طرق كثيرة للتهرب ، والغش وإشهار الأفلاس وغير ذلك من الأساليب الملتوية الشريرة أما المؤمن فلا يليق به

بالمرة أن يتشبه بهم فى أى شىء من ذلك بل عليه أن يتكل على الرب وهو بعينه على أن يوفى الجميع حقوقهم .

لا تكونوا مديونين لأحد بشىء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً . لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس (ع ٨)

فى ذات الإتجاه يحرض الروح القدس المؤمنين أن لا يكونوا مديونين لأحد بشىء بصفة عامة . قد يجتاز المؤمن فى ظروف ضيقة تضطره إلى الاستدانة . إذا حدث ذلك بكيفية قهرية ، فعليه أن يوفى الدين فى ميعاده . ولكن التورط فى الديون لأسباب غير قهرية ، أو للعيشة فى مستوى أعلى عما رتبه الله للمؤمن ؛ فيسبب له الارتباك ويفسد حياته الروحية .

« إلا بأن يحب بعضكم بعضاً » . فالمحبة دين . ولكن متى يتم تسديد هذا الدين ؟ إنه دين مستديم ، نستمر فى إيفائه على الدوام ولا ينتهى . « المحبة لا تسقط أبداً » . وهى الصفة المميزة لأولاد الله . لأن الذى يحب الوالد يحب المولود منه . المحبة هى دائماً مركز الدائرة .

لأنه لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك المحبة لا تصنع شراً للقريب . فالمحبة هى تكميل الناموس (ع ٩ ، ١٠)

أقل شىء أن المحبة لا تصنع شراً للقريب ، ولكن لا يقتصر الأمر على ذلك ، بل لا بد أن المحبة تصنع خيراً . والمحبة هى تكميل الناموس . فالمؤمن ، وهو ليس تحت الناموس ، يكمل الناموس بروح الحياة الذى فى المسيح يسوع . فيتم فيه حكم الناموس (مطاليب الناموس) وهو سالك ليس حسب الجسد بل حسب الروح كما رأينا فى الأصحاح الثامن .

بعد ذلك يضع الروح القدس أمامنا حقيقة جميلة لتشجيعنا ، وهى قرب

مجيء الرب. فالمؤمن يخضع للسلطات ، ويؤدى كل ما عليه من واجبات ، ويسلك فى المحبة ، واضعاً نصب عينيه دائماً أن الرب آتٍ سريعاً فيتشجع ويتقوى ، كما يكتب يعقوب للمؤمنين المتألمين قائلا : « تأنوا أيها الأخوة وثبتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب » .

هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم . فان خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا (ع ١١)

المؤمنون هم الذين يعرفون الوقت ، أما غير المؤمنين فيقولون : كل شيء باق كما هو منذ بدء الخليقة . أو كما قال الغنى الغبي : « يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة . استريحى وكلى واشربى وافرحى » (لو ١٢ : ١٩) . أما المؤمن فيقول « الوقت منذ الآن مقصّر » (١ كو ٧ : ٢٩) . أو كما يقول الرسول بطرس « نهاية كل شيء قد اقتربت » (١ بط ٤ : ٧) . إن معرفة الرب فى قلب المؤمن ولذلك له « قلب حكمة » .

« إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم » . أى أنها ساعة يقظة لا ساعة نوم . العذارى فى متى ٢٥ لم يعرفن الوقت ، ولذلك « نعسن جميعهن ونمن » . تلك كانت حالة المسيحيين فى العصور المظلمة ، حين غابت عنهم حقيقة مجيء الرب . ولكن فى أشد ساعات الظلمة — فى نصف الليلة — أقام الرب شهوداً أمناء نادوا قائلين « هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى » .

« فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا » . الخلاص المشار إليه هنا هو خلاصنا النهائى عند مجيء المسيح . لقد حصلنا الآن على خلاص نفوسنا ، ولكننا لا نزال نتوقع التبنى « فداء أجسادنا » . ومن السماء « ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » . هذا هو الخلاص النهائى « المستعد أن يعلن

فى الزمان الأخير » (١ بط ١ : ٥) . وكل يوم يمر يجعل هذا الخلاص أقرب للتحقيق .

قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور (ع ١٢)

الليل هو فترة غياب المسيح عن هذا العالم المظلم . عندما كان هنا ، كان هو « نور العالم » . والآن المؤمنون هم « نور العالم » . فليضىء نوركم هكذا قدام الناس » . وأيضاً « تضيئون بينهم كأنوار فى العالم » . (فى ٢ : ١٥) . فالمؤمن فى هذا العالم « فى ليل » ولكن « ليس من ليل ولا ظلمة » (١ تس٥:٥) ولكنه من « أبناء النور وأبناء النهار » ولذلك لا يليق به أن ينام بل أن يسهر ويصحو .

والعالم فى ليل ، لأنه تحت سيادة الشيطان « سلطان الظلمة » . « رئيس هذا العالم » . ولكن الرسول يبشرنا قائلا « قد تناهى الليل وتقارب النهار » . والنهار سيأتى عندما « تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) . عندما يظهر الرب ليبسط سلطانه وملكه المجيد على الأرض . « فى صباح صحو مضىء غب المطر » (٢ صم ٢٣ : ٤) . ولكن قبل ذلك يأتى المسيح ليأخذ قديسيه إليه ، يأتى ككوكب الصبح المنير الذى يترقبه الساهر المستيقظ « أنا يسوع . . . كوكب الصبح المنير . والروح والعروس يقولان تعال » (رؤ ٢٢ : ١٦ ، ١٧) .

« فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور » . للظلمة أعمال . الذين يناموِن فبالليل ينامون ، والذين يسهرون فبالليل يسهرون . وللنور أعمال وأثمار « لأن ثمر الروح (النور) هو فى كل صلاح وبر وحق » (أف ٥ : ٩) . ولكن ليس للنور أثمار فقط بل له أسلحة أيضاً . لأننا فى مصارعة وحرب مع « أجناد الشر الروحيه » على ظلمة هذا الدهر . ونجد فى أف ٦ تفصيلا

لسلاح الله الكامل — السلاح السباعي الذى به نستطيع أن ننتصر وأن نثبت .

أما أعمال الظلمة فلا يشترك المؤمن فيها ، بل بالحرى يوبخها — يوبخها بالانفصال عنها وبالسلوك فى النور . « لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله » (يو ٣ : ٢٠) . ولذلك لما جاء النور الحقيقى إلى العالم « أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة » .

لنسلك بلياقة[1] كما فى النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد (ع ١٣)

البطر والسكر هما الشغل الشاغل لأهل العالم . ولا سيما عند الرومانيين الذين كتب إليهم الرسول . وهذا هو وصف ولائم العالم من قديم ، كما يقول إشعياء « وصار العود والرباب والدف والناى والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون » (إش ٥ : ١٢) .

وبعد البطر والسكر ماذا يفعل الناس ؟ « المضاجع والعهر » . فتلك مقدمة لهذه . وهذه وتلك من أعمال الليل والظلمة ، ولا يليق أن تسمى بين أبناء النهار « أما الزنى وكل نجاسة أو طمع فلا يسم بينكم كما يليق بقديسين . . لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح » (أف ٥ : ٣ ، ١٢) . ويقول الرسول للعبرانيين « ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس . وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » (عب ١٣ : ٤) .

---

(١) السلوك بلياقة يعنى كما يليق بقديسين ويتفق مع مقامهم كأولاد الله ، ويتفق مع دعوتهم السماوية . وكما يحق لإنجيل المسيح ، ولله الآب ، وللرب السيد الذى هم عبيده .

«لا بالخصام والحسد» . هذه ناحية أخرى . فالإنسان الطبيعى . إما أن ينغمس فى الشهوات والملذات ، أو ينغمس فى المطامع والسعى لجمع الثروة وتكويمها ، أو للحصول على مركز بارز بين الناس . وهذه يستتبعها التنافس والتناحر — الخصام والحسد . أما المؤمن الحقيقى فلا ينغمس فى هذه ولا فى تلك بل يعيش كغريب ونزيل مترفعاً عن كل ما فى العالم من شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة .

بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (ع ١٤)

رأينا فى الأصحاح الثامن أننا نحن «فى المسيح» و «المسيح فينا» . نحن فيه أمام الله ، وهو فينا أمام الناس ، ولكن إذا كان المسيح فينا فى الداخل فلا بد أن تظهر صورته علينا فى الخارج ، وهذا هو معنى القول «البسوا الرب يسوع المسيح» . هناك ملابس جميلة على المؤمن أن يلبسها . «فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة» (كو ٣ : ١٢) . «وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال» (كو ٣ : ١٤) . ولكن إذا لبسنا الرب يسوع المسيح تظهر فينا كل هذه وأكثر منها . إذ يظهر المسيح نفسه فى حياتنا . إذا كان المسيح «يحيا فىّ» ، فلا بد أن تظهر صورته علىّ فى كل تصرفاتى ، إذا كان المسيح «يتصور فىّ» فى الداخل ، فلا بد أن تنطبع صورته علىّ فى الخارج أمام الناس . وما أحلى وأجمل وألمع صورة المسيح ! والسبيل إلى ظهور صورة المسيح علينا هى كثرة التمتع بالشركة معه ، وإطالة التفرس فى أمجاده الأدبية «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢ كو ٣ : ١٨) .

« ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » . هذه نتيجة طبيعية لمن يلبسون الرب يسوع المسيح . تدابير الجسد والشهوات يتفنن فيها الذين هم فى الجسد ، أما المؤمن فليس فى الجسد بل فى الروح . « و الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) .

فى الأصحاح الثانى عشر (بداية القسم العملى) رأينا المسيح فى كل كمالاته وفى هذا الأصحاح رأينا المسيح من أول الأصحاح إلى آخره ، حيث ينتهى بهذه العبارة العظيمة الشاملة « البسوا الرب يسوع المسيح » . ما أجمل هذا !



الأصحاح الرابع عشر

ومن هو ضعيف فى الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار (ع ١)

استمراراً فى الواجبات العملية ، نجد هنا مسئولية المؤمن القوى تجاه المؤمن الضعيف ، ويجب أن نفهم معنى القوى والضعيف هنا . الضعيف هنا ليس هو المتعثر فى خطواته ، بل بالعكس هو صاحب الضمير الحساس ولكنه غير مدرك تماماً للحق المسيحى . هو ضعيف فى الايمان ، ليس إيمان الثقة فى الله بل المعرفة الكاملة للحق المسيحى .

ماهو الحق المسيحى ؟هوأن المؤمن مات مع المسيح وقام وأصبح فى دائرة جديدة . مات عن العالم وعن أركان العالم . عن العبادة الطقسية والفرائض الجسدية التى كانت موضوعة لوقت الإصلاح . لقدتحرر المسيحى من عبودية الناموس ، لأن المسيح بموته « محا الصك الذى علينا (على اليهود) فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب » (كو ٢ : ١٤) .

كانت أغلب الكنائس فى البداءة مكونة من مؤمنين من اليهود ومن الأمم . المؤمنون من اليهود لم يكن من السهل عليهم أن يمتنعوا عن الطقوس والفرائض المنصوص عليها فى الناموس . كانت هناك أشياء تؤكل وأشياء لا تؤكل ، اشياء نجسة واشياء طاهرة . حتى بطرس الرسول نفسه عندمانزلت له الملاءة من السماء وسمع الصوت «قم أذبح وكل »قال« كلا يارب لأنى لم آ كل قط شيئاً دنساً أو نجساً » . فلشدة تمسكه بالعوائد القديمة تجاسر أن يعارض الرب نفسه . هذاهو المقصود بالضعيف فى الإيمان . إنه شخص يحترم كلام الله (١)

(١) بالرجوع إلى سفر اللاويين الأصحاح الحادى عشر ، نجد جدولا أعطاه الرب للشعب قديماً عن الحيوانات والطيور والأسماك التي تؤكل والتي لا تؤكل . لذلك الضعيف =

ولكنه لم يصل بعد إلى الحرية التى له فى المسيح ، التى تعطى له سلطاناً أن لا يتقيد بشيء من أمور الأكل والشرب ، لأنه لم تعد هناك نجاسة طقسية جسدية . فالضعيف فى الواقع هو مدقق أكثر من اللازم ، ليس متساهلا بل بالعكس هو خائف لئلا تكون هذه الأشياء مازالت دنسة ، فعندما يأكلها يتدنس . أما المؤمن القوى الذى عرف حريته فى المسيح ، فلا يجوز له أن يضغط على ضمير الأخ الضعيف ، لأنه لا يستطيع أن يدخل الحق إليه عنوة، بل يجب أن يفسح له المجال لكى ينمو فى المعرفة ويتدرب أمام الله . فالمؤمن القوى لا يستطيع أن يفرض إيمانه على الضعيف حتى يسير الضعيف بحسب إيمان القوى ، لأنه إن كان يأكل ضد ضميره [1] يدان . إن عمل شيئاً وهو متشكك يُدان ، فمع أنه محلل ، لكنه بالنسبة له يكون محرماً . وفى هذه الحالة يكون القوى سبب عثرة للضعيف . لكن يجب على القوى أن يضع الحق أمام الضعيف ويتركه حتى يتدرب أمام الله وينمو إيمانه ، وحينئذ يسير من تلقاء ذاته فى النور المسيحى الكامل .

« ومن هو ضعيف فى الإيمان فاقبلوه » . ليس المعنى أن نقبله فى الكنيسة أو للاشتراك فى مائدة الرب لإنه أخ مؤمن مقبول ، ولكن المقصود

هنا الذى يجب قبوله وعدم محاكمته هو شخص متمسك بالكلمة الإلهية ولم يدرك أنها كانت فرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الاصلاح عب ٩ : ١٠ . وهذا يختلف عن شخص يتمسك بطقوس وفرائض لا يوجد عنها دليل فى كلمة الله ولكنها من تعاليم الناس .

(١) تتكرر كلمة ضمير فى هذا الأصحاح عدة مرات . والضمير الصالح كنز ثمين والرسول نفسه كان يدرب نفسه ليكون له ضمير بلا عثرة قدام الله والناس ويقول لتيموثاوس إن الضمير الصالح « إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الايمان » .

أن نقبله فى عواطفنا ورعايتنا ، لا ننفر منه ولا نحتقره أو ندعه يخجل بل نظهر له كل محبة وعطف .

« إقبلوه لا لمحاكمة الأفكار » . أى لا تحاولوا أن تناقشوه أو تجادلوا معه كأنكم تحاكمونه ، لأن هذه طريقة ناموسية وليست طريقة المحبة . ليس المقصود أن نقبل الجميع بدون تمييز ، بل الأخ الضعيف فى الإيمان . أما الذى يأتى بتعاليم ضد المسيح وضد حقائق الإيمان الأساسية ، فيقول الرسول يوحنا « لا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام لإن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة » (٢ يو ١٠ ، ١١) . وكذلك الذى يحتضن خميراً أدبياً يقول الرسول « إعزلوا الخبيث من بينكم » . أما هنا فيقول عن الأخ التقى المدقق ولكنه ضعيف فى إدراك الحرية المسيحية « اقبلوه لا لمحاكمة الأفكار » .

واحد يؤمن أنه يأكل كل شىء وأما الضعيف فيأكل بقولا (ع ٢)

الذى يؤمن أن يأكل كل شىء هو القوى المدرك . ولنلاحظ أنه فى الجنة جعل الرب الاله طعام الإنسان كل البقول وكل ثمر الأشجار ، وبعد السقوط جعل طعامه عشب الأرض أيضاً . فكان الإنسان نباتياً يأكل البقول والخضروات والفواكه . ولكن بعد الطوفان قال الرب لنوح « كل حيوان يدب على الأرض وكل أسماك البحر يكون لكم طعاماً مثل كل عشب أخضر » . وقال الرب له المجد « ليس شىء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان » (مر ٧ : ١٥) . وبناء على كلام الرب هذا ، صارت المأكوت كلها طاهرة وليس فيها ما يدنس الإنسان . ثم كلام الرب لبطرس الذى سبقت الإشارة إليه « ما طهره الله لا تدنسه أنت » ، وأيضاً يقول الرسول لتيموثاوس « كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة » (١ تى ٤ : ٤ و ٥) وأيضاً « كل شىء طاهر للطاهرين » (تى ١ : ١٥)

« وأما الضعيف فيأكل بقولا » خوفاً من أن يتدنس ، ويريد أن يبقى في الجانب الأكثر أمناً ، لاتضغط على ضميره ، ولكن عليك أن تشجعه وتقويه . وفي ١ كو ٨ يعالج الرسول هذا الموضوع من ناحية الأكل مما ذبح للأوثان فيقول « ليس العلم في الجميع » . ويوجد البعض « إذ ضميرهم ضعيف يتنجس » ولذلك « إن كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخي » (١ كو ٨ : ٧ ، ١٣) .

لايزدر من يأكل بمن لايأكل . ولايدن من لايأكل من يأكل لأن الله قبله . (ع ٣)

من يأكل هو الذي عنده المعرفة وهو قوي في الإيمان ، وأما الذي لايأكل فهو الضعيف الذي يعتبر طفلا في المعرفة . القوي لايحتقر الضعيف ولايزدري به لأن المسيح « قصبة مرضوضة لايقصف وفتيلة مدخنة لايطفيء » . ولكن هناك خطر آخر أن الضعيف ينظر إلى القوي الذي يأكل كل شيء ويدينه ويعتبره مستبيحاً وضميره غير دقيق . فيقدم الرسول النصح لكلا الطرفين . هكذا هي المحبة المسيحية . القوي لايزدري بالضعيف ، والضعيف لايدين القوي ، لأن الله قبله ولايدينه .

من أنت الذي تدين عبد غيرك . هو لمولاه يثبت أو يسقط . ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته . (ع ٤)

السيد هو المسئول أن يؤدب عبيده ، ولايصح أن أحداً يؤدب عبد غيره . فالمؤمن الذي أنت تدينه ، هل هو ملك لك ؟ هو لمولاه ، وأنت أيضاً عبد نظيره لنفس السيد . اترك إذاً السيد ليتعامل معه بموجب سلطانه وحكمته .

« هو لمولاه يثبت أو يسقط » . هذا يقوله الرسول للضعيف الذي يدين

القوى ويظن أنه سيسقط ، ولكن الواقع أنه لن يسقط لأن الله قادر أن يثبته .

واحد يعتبر يوماً دون يوم . وآخر يعتبر كل يوم . فليتيقن كل واحد فى عقله . (ع ٥)

أى يكون مقتنعاً اقتناعاً يقينياً كاملا ، وإذا لم يكن كذلك فلايعتمد على اقتناع الآخرين ، بل ليتيقن فى عقله ثم يسير بحسب اقتناعه .

إذا سار رجل كبير مع طفل صغير هل يستحثه لكى يجعل خطواته سريعة مثل خطواته ؟ كلا . بل يسير الكبير على مهل ولايستكد الصغير لأنه ضعيف وطاقته محدودة ، وسيأتى وقت فيه يكبر ويستطيع أن يسايره . وهنا يأتى سؤال : لماذا يستعمل الرسول هنا لغة رقيقة عن الشخص الضعيف ، بينما فى غلاطية يتكلم كلاماً شديداً وقوياً ضد الذين يتمسكون بالأركان الضعيفة ؟ فيقول « أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين . أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (غلا ٤ : ١٠ ، ١١) . وفى كو ١٦:٢ يقول « لايحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة » . هناك سبب لاختلاف اللهجة وهو أنه فى رومية كانت هناك حالات فردية،لكن فى غلاطية وكولوسى يتكلم الرسول عن مبادىء عامة فى الكنيسة ، لأن الكنيسة هى عمود الحق وقاعدته ، فيجب أن تتمسك بالحق كاملا . والحق كاملا هو أننا متنا مع المسيح عن أركان العالم ، فلاتفرض علينا فرائض جسدية . لكن من جهة الأخ الضعيف : فنحن لانصادق على أفكاره ولكننا نستعمل معه الرفق حتى يصل الحق إلى ضميره وينمو ويتقوى . أما فى حالة بطرس مثلا عندما أفرز نفسه عن الأكل مع الأمم . فهل كان بولس رفيقاً معه ؟ كلا . بل قاومه مواجهة لأنه كان ملوماً ، ويقول إن باقى اليهود قد راؤوا معه حتى أن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم .

وقد استعمل بولس هذه اللهجة الشديدة لأن بطرس بعمله هـذا كان يهدم التعليم الذى سبق أن نادى به .

الذى يهتم باليوم فللرب يهتم . والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله (ع ٦)

الوحى هنا يكشف نية الأخ الضعيف أنه يهتم بهذه الأيام لـكى يرضى الرب . إنه يخاف لئلا يكون الرب لايزال يريد حفظها ، فهو يهتم بها لأجل الرب . والذى لايهتم فلأجل الرب ، لأنه تأكد أن الرب لا يريد الآن أننا نهتم بيوم دون يوم . فـكل منهما يضع الرب أمامه . وهكذا يجب أن كل مؤمن يجعل الرب أمامه فى كل حين .

« والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله » . يقول الرسول فى ٢ تى ٤ : ٣ ، ٥ إن الطعام يتقدس بكلمة الله (أى أن كلمة الله تؤيد أنه مقدس) ، وبالصلاة لأننا نشكر عليه .

« والذى لا يأكل فللرب لا يأكل » . إن غرضه هو تمجيد الرب . وهذا جميل أن نعمل كل شىء للرب ، وهو نفس المبدأ الذى يقرره الوحى بعـد ذلك « لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت . فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن » . وأيضاً « فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شىء لمجـد الله » (١ كو ١٠ : ٣١) . وأيضاً « وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعمـلوا الـكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به » (كو ٣ : ١٧) .

لأنه ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته . لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن (ع ٧ ، ٨) .

الرب مات لأجلنا واشترانا بدمه وأصبحنا ملكه ، فليس لنا حق أن نعيش لأنفسنا « وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله » (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) . « لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت » . ما أكثر عدد المرات التي وردت فيها كلمة « للرب » في هذا الأصحاح . « للرب يهتم » و « للرب لا يهتم » . « للرب يأكل » و « للرب لا يأكل » . « للرب نعيش » و « للرب نموت » . « فللرب نحن » . ما أجمل هذا !

لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات (ع ٩) .

هنا يأتي الرسول بالشيء الذي يمس قلوبنا جميعاً ، المسيح يسود علينا . بماذا يسود ؟ بمحبته « لأن محبة المسيح تحصرنا » . وكيف ظهرت محبة المسيح؟ ظهرت على الصليب ، حيث مات لأجلنا « وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام » (٢ كو ٥ : ١٥) .

« وقام وعاش » . لقد مات لأجلنا ، وهو حي الآن عن يمين الله لأجلنا . لذلك فهو يسود علينا في حياتنا وفي موتنا . ليس للموت سيادة علينا ، ولا لذاك الذي له سلطان الموت . إنما المسيح هو الذي له السيادة[1] علينا في الحياة وفي الموت . فيا للغبطة !

---

(١) لاشك أن للمسيح سيادة عامة على جميع الناس على أساس موته وقيامته ، ولذلك هو عتيد أن يدين الأحياء والأموات .

وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضاً لماذا تزدري بأخيك لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح (ع ١٠).

الذى يدين أخاه هو الضعيف أى المؤمن اليهودى الذى يتمسك بما يؤكل، وما لا يؤكل، وهو الذى يتهم القوى بسبب حريته المسيحية. والذى يزدرى بأخيه هو القوى أى المؤمن الذى تحرر من القيود الطقسية إذ عرف أنها ما كانت إلا رموزاً وظلالا. والأساس الأول الذى يبنى عليه الرسول تحريضه هو أننا كلنا «للرب». والأساس الثانى هو أن كل واحد منا سوف يعطى عن نفسه حساباً لله وليس عن الآخرين، وذلك عندما نقف جميعاً أمام كرسى المسيح. وهذه الحقيقة نجدها فى أماكن أخرى. ففى ٢ كو ٥ نقرأ «لذلك نحترص أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده. لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح». فعندما نضع كرسى المسيح أمامنا نعيش مدققين ومحترصين على أن نكون مرضيين عنده. ولكن ليست هذه وجهة النظر هنا. بل إنه عند كرسى المسيح كل واحد بمفرده سيعطى حساباً عن نفسه. وفى رسالة كورنثوس الأولى يشير الرسول إلى كرسى المسيح بمناسبة حكمهم فى رسوليته فيقول «إن أقل شىء عندى أن يحكم فىَّ منكم أو من يوم بشر ... ولكن الذى يحكم فىَّ هو الرب». ثم يقول «لاتحكموا فى شىء قبل الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب. وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (١ كو ٤ : ٣ — ٥). هذه ثلاثة مواضع يتكلم فيها الرسول عن كرسى المسيح. وهناك موضع آخر يشير فيه الرسول إلى الخدمة قائلا «إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً، فضة، حجارة كريمة، خشبا، عشبا، قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه» (١ كو ٣ : ١٢ و ١٣). واليوم المقصود هنا هو الظهور أمام كرسى المسيح.

لأنه مكتوب أنا حى يقول الرب أنه لى ستجثو كل ركبة وكل لسانه سيحمد الله . فاذاً كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله (ع ١١، ١٢)

تلاحظ التشديد هنا على كلمة « كل » « ستجثو كل ركبة . وكل لسان سيحمد الله : كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله » والله أرحم منا وهو الذى له الحكم . وهذه الأقوال مقتبسة من إش ٤٥ : ٢٣ حيث نقرأ « بذاتى أقسمت ... خرج من فمى الصدق كلمة لا ترجع إنه لى تجثو كل ركبة يحلف كل لسان » .

فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحرى احكموا بهذا أنه لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة (ع ١٣)

طالما أن الله هو الذى سيصدر الحكم على كل واحد فلا مجال لأن يحكم بعضنا على بعض إلا حكماً واحداً تمليه المحبة الأخوية وهو أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة . وهذا أمر خطير يحذرنا منه الكتاب مراراً كثيرة وقد قال الرب نفسه « ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة » (مت ١٨ : ٧) .

إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أنه ليس شىء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس (ع ١٤)

تكلم الرسول عن نفسه أنه متيقن فى الرب يسوع أن ليس شىء نجساً بذاته . وهذا اليقين مبنى على كلام الرب نفسه (أنظر مر ٧ : ١٥) وأقوال أخرى كثيرة سبقت الاشارة إليها .

« إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس » فمع أن هذا الشىء ليس نجساً فى ذاته لكنه يعتبر نجساً بالنسبة للذى يحسبه نجساً . فإن ضغط على ضميره

يخطىء لأن هذا يقوده إلى مخالفة ضميره فى أشياء أخرى و بذلك يسكت صوت الضمير فيه . إذن ليقتنع المؤمن أولا ، و يتيقن فى عقله أن هذا الشىء طاهر ثم يأكله. وكان الرسول نفسه يعمل بموجب هذا المبدأ (أنظر ١ كو ٩ : ٢٠، ١٠ : ٢٣ و ٢٤) إذ كان للضعيف كضعيف وللذين تحت الناموس كأنه تحت الناموس لكى يربح على كل حال قوماً . فكان قدوة للمؤمنين فى التصرف . وفى الأصحاح التالى يقدم لنا المسيح المثال الكامل فى كل شىء إذ يقول « لأن المسيح أيضاً لم يرض نفسه » (رو ١٥ : ٣) .

فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة . لا تهلك بطعامك ذاك الذى مات المسيح لأجله (ع ١٥)

هذا هو الأساس الثالث الذى عليه يبنى الرسول أقواله ، فالأساس الأول إنه هو لمولاه . والأساس الثانى إن كل واحد منا سيعطى حساباً عن نفسه لله . والأساس الثالث هو المحبة التى هى مركز الدائرة دائماً كما رأينا فى الأصحاحين السابقين ، فيجب أن نضع نصب عيوننا دائماً أن « نسلك حسب المحبة » .

« لا تهلك بطعامك ذاك الذى مات المسيح لأجله » نحن نعلم أن المؤمن لا يهلك وهناك أدلة لا حصر لها فى الكتاب تثبت هذه الحقيقة. ولكن الغرض من الكلام هنا أن لا نجعل الأخ يخالف ضميره فيعثر ويضعف . ويمكن أن نقول إن عملنا هذا فى ذاته مؤداه الهلاك لو لا تداخل الرب للحفظ والتثبيت. فالذى يسلك بخلاف المحبة يعمل على أهلاك الضعيف . ولكنه لا يمكن أن يهلك لأن الأمر ليس متوقفاً عليه بل على الراعى العظيم الذى يمسك به ويحفظه فى يده له كل المجد ، فأنت بعدم سلوكك حسب المحبة تعمل على إسقاطه واهلاكه ولكن الرب سيقيمه ويثبته ويحفظه لأنه مات لأجله . فإذا كان المسيح قد ضحى بحياته ألا تقدر أنت أن تضحى بأكل اللحم لأجل

خاطر أخيك الضعيف الذى مات المسيح لأجله . إننا عندما ننظر إلى المسيح دائما نصحح أوضاعنا فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً ».

فلا يفتر على صلاحكم (ع ١٦)

أنت تتصرف بحسب النور وبحسب الإيمان والمعرفة، وهذا صلاح، ولكن أن كنت تزدرى بأخيك الضعيف أو تعثره فإنك تعطى فرصة للآخرين لكى يفتروا على هذا الصلاح .

لأن ليس ملكوت الله أكلا وشرباً . بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس لأن من خدم المسيح فى هذه فهو مرضى عند الله ومزكى عند الناس (ع ١٧ ، ١٨)

ملكوت الله منظور إليه هنا من الوجهة الأدبية ، ملكوت الله هو الدائرة الروحية الموجود فيها المؤمنون . نجد فى الكتاب صفات كثيرة لملكوت الله ونواحى تدبيرية له ، ولكن الكلام هنا ليس عن النواحى التعليمية أو التدبيرية بل عن الناحية الأدبية . فصفاته هى البر والسلام والفرح فى الروح القدس، ولا قيمة فيه للأكل والشرب . والبر المشار إليه هنا هو البر العملى . والسلام هو العيشة فى السلام ، والنتيجة هى الفرح فى الروح القدس .

ولا يمكن ان اتمتع بهذا إن كنت أحزن أخى أو أعثره .

« لأن من خدم المسيح فى هذه » إن العيشة بالبر والسلام تنتج لنا فرحاً وتعتبر فى الوقت نفسه خدمة للمسيح . وبذلك يكون الله راضياً عنى « فهو مرضى عند الله » وهذا هو اثمن شيء « أن نكون مرضيين عنده » وهذه هى طلبة المرنم فى مز ١٩ « لتكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك يارب صخرتى ووليى » .

« ومزكى عند الناس » إن رضى الله هو الهدف الأول لنا والأهم ، ولكن الناس أيضاً يرون أعمالنا الحسنه ويمجدوا أبانا الذى فى السموات إذا سلكنا فى البر والسلام وبحسب المحبة فلا نعطى فرصة للناس لكى يفتروا علينا ، بل نزكى أنفسنا أمامهم بالسلوك المرضى لله .

فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض (ع١٩)

هذه هى الحالة المستمرة التى يجب أن نواظب عليها باجتهاد ومثابرة . « لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة ... ليعرض عن الشر ويصنع الخير . ليطلب السلام ويجد فى أثره » (١ بط٣ : ١٠و١١) فلنجدّ ونعكف على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض .

لا تنقض لأجل الطعام عمل الله . كل الأشياء طاهرة لكن شر للإنسان الذى يأكل بعثرة (ع ٢٠).

النقض هو الهدم وهو عكس البناء . ونحن يجب أن نعمل للبنيان لا للهدم . « عمل الله » أى عمله فى نفس الأخ . إن الله يبنيه فلا تضع أنت له عثره كى تصدمه وتهدمه .

« كل الأشياء طاهرة » هذا هو المبدأ العام ، ولكن « الذى يأكل بعثرة » أى هو غير مقتنع ، فإنه يرتكب شراً .

حسن أن لا تأكل لحما ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف (ع ٢١).

نرى هنا ثلاث درجات : « يصدم ، يعثر ، يضعف » . فأولا يصطدم بسبب عدم مراعاتك لضميره ، ثم يعثر ويسقط ، وبالتبعية فإنه يضعف

روحياً . هذا كله يحدث بسبب عمل كان ممكناً أن تتنازل عنه . يجب أن نفعل ما هو حسن ولو كلفنا ذلك شيئاً من التضحية .

ألك إيمان فليكن لك بنفسك أمام الله طوبى لمن لا يدين نفسه في ما يستحسنه (ع ٢٢)

الإيمان القوى والمعرفة الصحيحة نمارسها أمام الله وما أجمل ان نفعل كل شيء « أمام الله » ونضع الله أمامنا فى كل شيء . عندئذ تحل كل المشاكل .

« طوبى لمن لايدين نفسه فى ما يستحسنه » . يوجد أناس يخطئون فى تفسير هذه الآية ويتخذونها حجة للاستباحة ، لكن معناها الصحيح هو أن الذى عنده إيمان ثابت ونور من الرب يكون متيقناً أن ما يعمله هو حسب فكر الرب وحسب الحق بدون أدنى تشكك . لكن إذا شعر أن ضميره غير مستريح راحة تامة على شيء ما وتجاسر أن يعمله ويخادع نفسه فضميره يدينه . لكن طوبى لمن يفعل ما يصل إليه إيمانه فى نور الحق دون أن يلومه ضميره. طوبى لمن يفعل كل شيء أمام الرب باقتناع كامل « لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء . أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله » (١ يو ٣ : ٢٠ و ٢١) .

وأما الذى يرتاب فإنه أكل يدان لأنه ذلك ليس من الإيمان وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية (ع ٢٣)

رأينا فى العدد السابق أن من لايدين نفسه هو الذى يتصرف بضمير مقتنع ومستريح بحسب الحق الإلهى . وهنا نرى العكس « الذى يرتاب[1] » فهذا يجب

(١) « لا يقصد الرسول بالذى يرتاب الشخص المتمسك بالتقاليد والطقوس التى من تعلم الناس كما رأينا سابقاً . ولا يقصد الرسول أن مثل هذا الشخص يجب أن يمتنع عن الاكل بحسب راحة ضميره لان هذا مخالف للحق الالهى ، لكن الشخص الذى يشير إليه هنا =

أن يمتنع . ولـكن إن تجاسر وخالف ضميره وأكل فإنه يدان أى أن ضميره يدينه ، والرب أيضاً يؤدبه . ولا إشارة هنا طبعاً إلى الدينونة الأبدية لأن المؤمن لا يدان . وإذا اخطأ فإنه يؤدب من الرب لـكى لايدان مع العالم (١ كو ١١ : ٣٢) وما أجمل المبدأ الذى يختتم به هذا الأصحاح «كل ماليس من الإيمان فهو خطية» ، ان الضمير الدقيق مرهف الحس. ونقرأ فى يع٤ :١٧ « فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » . ليت الرب يعطينا أن نعيش ونتصرف دائماً فى نور حضرته فنضمن الراحة لنفوسنا ولاخوتنا.

=متمسك بأقوال الله فى رموز العهد القديم . التى انتهت فى نور العهد الجديد . ولـكنه لايزال يجهل الحق الخاص بجعل كل المأكولات طاهرة ولا يرفض منها شىء إذا أُخذ مع الشكر .

الأصحاح الخامس عشر

فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا. فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان (ع ١ و ٢)

رأينا فى الأصحاح السابق أن المقصود بالأقوياء والضعفاء هو من حيث المعرفة الروحية والتمتع بالحرية المسيحية . فما هو الواجب الذى تمليه المحبة على الأقوياء ؟ هو أن يحتملوا أضعاف الضعفاء « المحبة تحتمل كل شىء » . ومن أول علامات القوة الروحية احتمال الضعفاء ، ليس العلم الذى ينفخ بل المحبة التى تبنى « من هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة » (يع ٣ : ١٣) .

« ولا نرضى أنفسنا » أى لا نكون أنانيين نهتم بأنفسنا فقط « لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً » (فى٢:٤) « فليرض كل واحد منا قريبه للخير (أى خيره) لأجل البنيان (بنيانه) » ليس المقصود إرضاء الآخرين على حساب الحق أو على حساب مجد الله . حاشا بل فى الحق وفى حدود مجد الله قبل كل شىء . أما الإهتمام بإرضاء الناس كيفما كان الأمر فيقول عنه الرسول « فإن كنت بعد ارضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » (غلا ١ : ١٠) . فالمؤمن يضع كل شىء فى مكانه الصحيح.

لأن المسيح أيضاً لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت على (ع٣) .

الرب له المجد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، وعاش فى هذا العالم لا يطلب شيئاً لنفسه ولا يعمل شيئاً لنفسه بل لمجد الله ولخير الآخرين . « لم آت لافعل

مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » . عندما أتوا ليطلبوا منه الدرهمين قال لبطرس إن البنين أحرار من ضريبة الهيكل لأنه صاحب الهيكل ولكن « لئلا نعثرهم ... ادفع عنى وعنك » . فلم يرض نفسه أو يتمسك بحقوقه وذلك لئلا يعثر الآخرين .

« بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت علىَّ » . كان المسيح فى هذا العالم « صورة الله » هو « الله ظهر فى الجسد » . ويقول لفيلبس « الذى رآنى فقد رأى الآب » . وكل كلمة تعيير على الله وقعت على المسيح . لذلك عندما كان فى الهيكل ورأى الذين يبيعون ويشترون قال «غيرة بيتك أكلتنى» ، لأن بيت الله هو بيته ، لأنه هو والآب واحد ، وكل عداء لله وتعيير عليه وقع على الرب يسوع . وإذا رجعنا إلى مزمور ٦٩ الذى إقتبس منه الرسول هذه الأقوال نجد كلمة « العار » مذكورة عدة مرات . فرب المجد إحتمل العار ، ويقول لله « لأنى من أجلك احتملت العار . غطى الخجل وجهى » وأيضاً « أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى ... العار قد كسر قلبى فمرضت . إنتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد » . والرسول يضع المسيح أمامنا هنا كمن لم يرض نفسه . كان هو المعلن للآب ، ونحن هنا فى هذا العالم نعلن المسيح ونسير فى نفس الخطوات التى سار فيها . فكما تألم المسيح فى سبيل الشهادة لله ، هكذا نتألم نحن أيضاً . « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه » . هذا هو طريق المسيح « لم يرض نفسه » وهذا شرف عظيم أن نسير فى إثر خطواته .

لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء (ع ٤)

المقصود بالكتب أسفار العهد القديم ، التى نجد فيها أقوالا تعلمنا الصبر وتعطينا التعزية فرجال الله الأتقياء فى العهد القديم « كانت لهم تجارب وتعييرات وضيقات ، لكن الله كان معهم ونجاهم . ويقول داود « كثيرة هى

بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب » (مز ٣٤ : ١٩) . ويقول يعقوب فى رسالته « خذوا يا إخوتى مثالا لاحتمال المشقات والأناة ، الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب » (يع ٥ : ١٠) . فيوسف وضع فى السجن ، وإرميا الذى تكلم باسم الرب طرحوه فى الوحل فى الجب ، وكل رجال الله تألموا ، ولكن الله كان معهم . وقد كتبت هذه فى الكتب لتعزيتنا ولنتعلم الصبر .

« ها نحن نطوب الصابرين . قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) .

ليعطيكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع (ع ٥)

فى هذا الأصحاح نجد لله ألقاباً كثيرة : « إله الصبر والتعزية » (ع ٥) « إله الرجاء » (ع ١٣) . « إله السلام » (ع ٣٣) . فنجد فى الله كل الكفاية لتسديد احتياجاتنا فى كل ظرف بالذات . إذا كنا فى حاجة للصبر نجده « إله الصبر » . وإذا كنا فى حاجة للتعزية نجده « إله التعزية » « أبو الرأفة وإله كل تعزية » . ففى إلهنا نجد كل ما نحتاج إليه . نحن نتألم فى هذا العالم ولا نُرضى أنفسنا ، لكن لنا فيه كل موارد التعزية .

« بحسب المسيح يسوع » أى على مثاله الكامل .

لكى تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد (ع ٦)

هذا هو الهدف الأسمى — تمجيد الله . وهو لا يتحقق فى حالة وجود خلافات أو منازعات بين القوى والضعيف ، بل بالاجتهاد فى حفظ « وحدانية الروح برباط السلام » . هكذا كانت الكنيسة فى الأيام الأولى . « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة » (أ ع ٤ : ٣٢) ولذلك كانت كلمة الله تنتشر واسم الرب يتمجد .

« وفم واحد » . أى أن نقول جميعاً قولا واحداً كما كتب الرسول للكورنثيين « أطلب إليكم أيها الأحباء باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولا واحداً ولا يكون بينكم انشقاقات بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد » (١ كو ١ : ١٠) .

لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله (ع ٧)

فى مستهل الأصحاح السابق يحرضهم الرسول على قبول من هو ضعيف فى الإيمان . وهنا يقول « اقبلوا بعضكم بعضاً » لأن الضعيف أيضاً يجب أن يقبل القوى ولا يدينه ومن ثم نرى أن التعليم الرسولى هنا هو أن القوى يقبل الضعيف والضعيف يقبل القوى . ويضع الرسول أمامهم المسيح المثال الكامل فى كل شىء . فنحن نحب بعضنا بعضاً كما أحبنا المسيح ، ونقبل بعضنا بعضاً كما قبلنا المسيح أيضاً لمجد الله .

وأقول أن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء. وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك فى الأمم وأرتل لاسمك (ع ٨ و ٩)

سبق أن أعطى الله مواعيد لابرهيم والآباء ، والله صادق فى هذه المواعيد وكان لابد أن يتممها . وقد جاء المسيح وقدم نفسه لليهود أولا وذلك لكى يثبت مواعيد الله الصادقة للآباء . أما الأمم فلم تكن لهم مواعيد ، لكن كانت لهم رحمة [1]. وهذه الرحمة كان مُشاراً إليها فى صلب العهد القديم.

(١) من أجل ذلك . فاليهودى الذى يؤمن بالرب يسوع يمجد الله من أجل صدق مواعيده للآباء إذ يرى فى المسيح « النعم والامين » . أما الأممى الذى يؤمن فيمجد الله من أجل البركات التى حصل عليها لا على أساس وعد سابق من الله بل على أساس نعمة ورحمة خالصة منه .

ويأتى الرسول بأربعة اقتباسات من العهد القديم — من أقسامه الثلاثة — من موسى والمزامير والأنبياء — تدل على أن هناك رحمة للأمم . الاقتباس الأول من مزمور ١٨ : ٤٩ « سأحمدك فى الأمم وأرتل لاسمك » . المتكلم هنا هو الرب يسوع له المجد . كما فى مزمور ٢٢ — مزمور الصليب ، حيث يقول « أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الجماعة أسبحك » ويرد هذا القول فى عب ٢ « فى وسط الكنيسة أسبحك » . والكنيسة مكونة من اليهود والأمم . والمسيح يسبح فى وسطها .

ويقول أيضاً تهللوا أيها الأمم مع شعبه (ع ١٠)

هذا الاقتباس الثانى من تثنية ٣٢ : ٤٣ « تهللوا أيها الأمم شعبه » . ففى المستقبل سترتل الأمم مع شعبه فى مدة الألف السنة ، حيث ستتبارك جميع قبائل الأمم أيضاً . ومن العجيب أن تكون هذه الأقوال فى صلب الناموس فى سفر التثنية .

وأيضاً سبحوا الرب ياجميع الأمم وامدحوه ياجميع الشعوب (ع ١١) .

هذا الاقتباس الثالث من مزمور ١١٧ : ١ « سبحوا الرب يا كل الأمم حمدوه يا كل الشعوب » . ما أعظم رحمة الله التى سيسبح بها كل الأمم وكل الشعوب فى كل الأرض .

وأيضاً يقول إشعياء سيكون أصل يسى والقائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم (ع ١٢)

هذا الاقتباس الرابع من إشعياء ١١ الذى يتكلم عن ملك المسيح الألفى ويقول عن المسيح هنا « أصل يسى » بحسب لاهوته — فهو ابن داود بحسب الجسد ولكنه

« رب داود » لأنه بالروح يدعوه ربه « أصل وذرية داود » (رؤ ٢٢ : ١٦).
وهو سيسود على الأمم ويكون عليه رجاؤهم . الأمم الذين كانوا بلا مسيح
وبلا رجاء ، سيكون على المسيح رجاؤهم .

وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام فى الإيمان لتزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس (ع ١٣)

نجد هنا صلاة جميلة يصليها الرسول من أجل المؤمنين . « ليملأ كم » هكذا أعطانا الله بفيض وسخاء . كل مؤمن له الحق أن يمتلىء . ليس الفشل واليأس من نصيب المؤمن « لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح » .

« إله الرجاء » الذى عنده وحده باب الرجاء الذى عليه رجاء الأمم الذين كانوا بلا رجاء . الذى هو فينا رجاء المجد .

« كل سرور وسلام فى الإيمان » . المؤمن يتمتع بكل هذه البركات بفيض وامتلاء « فى الإيمان » . لأنه بعيداً عن دائرة الإيمان لاسلام ولاسرور . لايوجد شىء فى العالم يستطيع أن يملأ قلب الإنسان بالفرح والسرور ، ولا أن يعطيه سلاماً . ولكن المسيح يعطى للمؤمن فرحه وسلامه .

« لتزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس » . فى الرجاء مجال للازدياد . بقدر ما نتمتع بالبركات الروحية وننظر بالإيمان إلى النعمة التى يؤتى بها إلينا عند استعلان يسوع المسيح ، بهذا القدر نزداد فى الرجاء بقوة الروح القدس. فى الأصحاح الخامس يتكلم الرسول عن الرجاء قائلا « نفتخر على رجاء مجد الله » وفى الأصحاح الثامن يقول « لأننا بالرجاء خلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء . . . فإن كنا نرجو مالسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر » (ع ٢٤ ، ٢٥) . وفى الأصحاح الثانى عشر يقول « فرحين فى الرجاء » . وهنا

مطلوب من المؤمن أن يزداد فى الرجاء ، وذلك ليس بقوته هو ، بل بقوة الروح القدس . فلكى يتمتع المؤمن بكل سرور وسلام فى الإيمان ، ويزداد فى الرجاء ، يجب أن يفسح المجال للروح القدس ليعمل فيه ، وهو فى قوة التمتع بالشركة مع الله .

وأنا نفسى أيضاً متيقن من جهتكم يا إخوتى إنكم أنتم مشحونون صلاحاً ومملوؤون كل علم . قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً . (ع ١٤) .

ما أرق هذه الأقوال ! فالرسول يخاطبهم « يا إخوتى » ويبدى ثقته فيهم ويقينه من جهتهم أنهم مشحونون صلاحاً . من أين لهم هذا الصلاح ؟ من عمل الروح القدس فيهم . لأنهم بحسب الطبيعة كانوا كغيرهم من البشر مملوئين من كل إثم وشر ومشحونين حسداً وقتلا وخصاماً وكل صفة رديئة كريهة ، كما رأينا فى الأصحاح الأول . لكن ما أعظم نعمة الله وما أعجب معجزة عملها فى حياة المؤمنين ! إنها تلدهم ولادة ثانية ، وتعطيهم طبيعة جديدة وحياة جديدة مشحونة بالصلاح ، كما يقول الرسول للكولوسيين « مثمرين فى كل عمل صالح » (كو ١ : ١٠) . وكما يقول لفليمون « لكى تكون شركة إيمانك فعالة فى معرفة كل الصلاح الذى فيكم » (ع ٦) .

« مملوؤون كل علم قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً » . فالرسول بعد أن يحرضهم على الاهتمام بالضعفاء وأن يكونوا جميعاً بفكر واحد ونفس واحدة ، يبدى ثقته فيهم أنهم على علم وعلى استعداد لتتميم هذه التحريضات وقادرون على ذلك ، كما يقول الرسول يوحنا « لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق . بل لأنكم تعلمونه » (١يو ٢ : ٢١) . وكذلك الرسول بطرس يقول « لذلك لا أهمل أن أذكركم دائماً بهذه الأمور وإن كنتم عالمين ومثبتين فى الحق الحاضر » (٢ بط ١ : ١٢) .

ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التي وهبت لي من الله . حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس . (ع ١٥ ، ١٦) .

لقد شعر الرسول بالمسئولية أن يكتب هذا للمؤمنين فى رومية فى نطاق خدمته الخاصة كرسول للأمم . « بسبب النعمة (الموهبة) التى وهبت لى من الله . حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم » . كم كان الرسول خادماً أميناً للمسيح ! وكم كان شعوره بالمسئولية عميقاً ! ليتنا نتعلم هذا .

« مباشراً لإنجيل الله ككاهن » يأتى الرسول هنا بتشبيه من العهد القديم . فالكاهن قديماً كان يقدم قرباناً لله . وبحسب شريعة التقدمات كان قربانه مقدساً ومقبولا من الله . وكان وضع اللبان على القربان إشارة إلى قبوله وسرور الله به . والرسول هنا يشبه خدمته بين الأمم بخدمة الكاهن فى العهد القديم . ويشبه الأمم أنفسهم بالقربان . فهو كخادم ليسوع المسيح لأجل الأمم ، إذ يباشر إنجيل الله بينهم كأنه يقدمهم لله كقربان مقدس بالروح القدس ومقبول عند الله . أما تشبيه الأشخاص بالقربان فقد سبق ذكره فى مستهل الأصحاح الثانى عشر ، إذ يقول الرسول « أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مقبولة عند الله » . وفى الأصحاح الثامن من سفر العدد أمر الرب موسى أن يأخذ اللاويين من بين الشعب ، ويقدمهم أمام الرب ويرددهم هرون ترديداً أمام الرب (كما يفعل بالتقدمات) ليكونوا مقدسين وموهوبين للرب لأجل خدمته[1] . وعلى هذا القياس

(١) يستعمل يعقوب أيضاً فى رسالته تشبيه الباكورة التى كانت تقدم لله ويقول « شاء فولدنا بكلمة الحق لنكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٨) .

يبين الرسول أن الأمم الذين كانوا قبلا مرفوضين ، ولا يجوز تقديمهم لله ، لأنه كان منظوراً إليهم كالكلاب ، صار يمكن الآن بمباشرته لإنجيل الله أن يقدم المؤمنين منهم لله كقربان مقدس بالروح القدس ومقبول عنده .

هذا هو التفسير الواضح لهذه الآية ، ولكن مع الأسف فإن البعض يستندون عليها ليفهموا أن خدام الله هم وحدهم الكهنة وأن القربان يمكن أن تكون فيه إشارة إلى الخبز فى عشاء الرب . ولا أرى موجباً هنا لتفنيد هذه الأفكار البعيدة كل البعد عن الحقيقة فى العهد الجديد . لأنه واضح كل الوضوح أن جميع المؤمنين الذين أحبهم المسيح وقد غسلهم من خطاياهم بدمه هم كهنة لله ، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ولا توجد الآن طبقة من المؤمنين مختصة بالكهنوت التوسطى كما كان فى العهد القديم . وواضح كل الوضوح أن المسيح قدم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة ، وأن ذبيحة المسيح قد قدمت مرة واحدة « لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين . . . ولا يكون بعد قربان عن الخطية » (عب ١٠ : ١٤ و ١٨) . كما أن عشاء الرب لا يمكن بالمرة أن يطلق عليه اسم ذبيحة أو قربان .

فلى افتخار فى المسيح يسوع من جهة ما لله . لأنى لا أجسر أن أتكلم عن شىء مما لم يفعله المسيح بواسطتى لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل (ع ١٧ ، ١٨)

لم يكن للرسول إفتخار فى نفسه ، بل « فى المسيح يسوع » . وهذا هو الافتخار الصحيح « وأما من افتخر فليفتخر بالرب . لأنه ليس من يمدح نفسه هو المزكى بل من يمدحه الرب » (٢ كو ١٠ : ١٧ ، ١٨) . وأما من جهة نفسه فلم يفتخر إلا بأمور ضعفه ، بما قاساه من أخطار وآلام

واضطهادات (٢ كو ١١ : ٣٠) . لقد قاومه فى كورنثوس رسل كذبة ، كانوا يمدحون أنفسهم ويفتخرون بأنفسهم (٢ كو ١٠ : ١٢ و ١٣) . ولكنه مع فرط الإعلانات قد علمه الرب ألا يفتخر بها إذ أعطاه شوكة فى الجسد لئلا يرتفع (٢ كو ١٢ : ٧)

ولم يكن للرسول افتخار من جهة أمور تختص بذاته ، بل « من جهة ما لله » . لم يكن له أى شيء خاص يهتم به ، بل كانت خدمة الرب تمتلك كيانه تماماً ، وتمتص كل وقته ، وكل جهده ، وكل قواه . كان يعيش إن كان المؤمنون يثبتون فى الرب ، وبدون ذلك لا يطيب له عيش . إن عثر أحد كان يلتهب ولا يجد لنفسه راحة ولا عزاء . كان المسيح كل غرضه ، بل كل حياته هنا على الأرض كما قال « لى الحياة هى المسيح » ، وأيضاً « فى كل حين ... يتعظم المسيح فى جسدى سواء كان بحياة أم بموت » (فى ١ : ٢٠ ، ٢١) . يا له من خادم مكرس !

كانت إطاعة الأمم للإيمان بالقول والفعل هى كل ما يشغله ويعمل جاهداً لأجله . ولم يكن يجسر أن يتكلم إلا بما فعله المسيح بواسطته ، فلم يعتبر أنه هو الذى يفعل ، بل المسيح هو العامل به .

بقوة آيات وعجائب . بقوة روح الله . حتى إنى من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح (ع ١٩)

لقد أيد الرب رسولية بولس بقوة الروح القدس وبقوة الآيات والعجائب ، كما يقول للكورنثيين « إن علامات الرسول صنعت بينكم فى كل صبر بآيات وعجائب وقوات » (٢ كو ١٢ : ١٢) . ففى لسترة شفى بولس المقعد من بطن أمه الذى لم يمش قط ، حتى قالت الجموع إنه إله (أع ١٤ : ٨ — ١١) . ونقرأ فى أع ١٩ : ١١ ، ١٢ « وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى

المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم » . وفى جزيرة مليطة عندما نشبت الأفعى فى يده وتوقع الحاضرون أنه سينتفخ ويموت ، نفض الوحش إلى النار ولم يتضرر بشىء ، وآيات أخرى كثيرة غير ذلك .

وقد حرص بولس على أن يكرز بالإنجيل فى كل الأماكن لأنه كان يشعر أنه مديون للجميع لتوصيل البشارة إليهم (ص ١ : ١٤) . « حتى إلى الليريكون » وهى مقاطعة قريبة من إيطاليا . فمن أورشليم ذهب الرسول إلى سورية وإلى آسيا وكيليكية وبمفيلية وبيسيدية ، وإلى كورة غلاطية ، وبعد ذلك ذهب إلى أوربا بموجب دعوة من الرب ، فكرز بالإنجيل فى فيلبى فى مقاطعة مكدونية . وبعدها فى مقاطعة أخائية . وقد غمر هذه المنطقة كلها بالتبشير بإنجيل المسيح حتى إلى إلليريكون .

ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا ليس حيث سمى المسيح لئلا أبنى على أساس لآخر . بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون (ع ٢٠ ، ٢١)

كانت خدمة الرسول تأسيسية ، لأن الرسل هم الذين وضعوا الأساس ، وكانوا يؤسسون الكنائس حيث يذهبون . فلم يكن يذهب لزيارة الكنائس التى أسسها غيره ، بل كان محترصاً أن يعطى كل وقته للكرازة حيث لم يصل اسم المسيح ، مستنداً فى ذلك بإرشاد الروح القدس إلى آية فى سفر إشعياء «لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه » (إش ٥٢ : ١٥) .

لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة عن المجىء إليكم . وأما الآن فإذ ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم ولى اشتياق إلى المجىء إليكم منذ سنين كثيرة . فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم . لأنى أرجو

أن أراكم فى مرورى وتشيعونى إلى هناك إن تملأت أولاً منكم جزئياً
(ع ٢٢ — ٢٤)

نقرأ فى أع ١٩ : ٢١ أن بولس « وضع فى نفسه أنه بعدما يجتاز فى مكدونية وأخائية ... ينبغى أن يرى رومية أيضاً » . وفى الأصحاح الأول من هذه الرسالة ، يعبر الرسول عن أشواقه إلى رؤيتهم ، وأنه قصد مراراً كثيرة أن يأتى إليهم ومنع (ص ١ : ١١ — ١٣) . وهنا يبين الرسول سبب المنع ، وهو أنه لم يكن قد أكمل التبشير بالإنجيل فى تلك الأماكن . فى مرات أخرى أعاق الشيطان الرسول ، ولكن هنا كان العائق من الله . فقد كان للرسول اشتياق إلى المجىء إليهم منذ سنين كثيرة ، ولكن الله أعاقه المرار الكثيرة وذلك لقصد حكيم ، وهو أن لا يكون تأسيس الكنيسة فى رومية بواسطة أحد الرسل — بولس أو بطرس ، ومع ذلك فالشيطان قد نشر ادعاء بأن روما هى كرسى بطرس الرسول ، مع أنه واضح من التاريخ أن الكنيسة هناك لم تؤسس بواسطته كما سبق أن أوضحنا فى المقدمة .

وبما أن الرسول كان واضعاً فى نفسه أن يبشر حيث لم يسم المسيح ، فقد قصد أن يمر عليهم مجرد مرور لكى يتعزى بينهم بالإيمان المشترك (ص ١ : ١٢) . ثم يشيعونه إلى أسبانيا بعد أن يكون قد أشبع أشواقه منهم جزئياً . ولا نعلم بالضبط هل تحققت أمنية الرسول فى الذهاب إلى أسبانيا أم لا . لقد عزم الرسول أن يذهب ، ورسم الخطة بحسب أشواق قلبه ، وطلب منهم أن يصلوا من أجله ، ولكن الظاهر أن الرب أجاب على أشواقه ، فذهب إلى رومية (وإن يكن مقيداً) ، ولا يعرف إذا كان قد أجاب على الشطر الثانى من الخطة أم لا . نفهم من رسالتى تيموثاوس الثانية وفليمون ، وكذلك من الرسالة إلى العبرانيين أنه قد أطلق سراح الرسول بعد

سجنه الأول ، وأنقذ من فم الأسد . ثم أعيد القبض عليه ثانية بعد فترة من الزمن ، ولكن لا يذكر الكتاب رحلاته فى تلك الفترة .

ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين . لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين فى أورشليم (ع ٢٥ ، ٢٦)

كان ذاهباً إلى أورشليم ليخدم القديسين ، أى لكى يوصل إليهم الخدمة المالية التى أرسلها الإخوة فى مكدونية وأخائية . والواقع أن الإخوة فى هاتين المقاطعتين قد جمعوا هذه الخدمة بتحريض قوى من الرسول ، وأنه جعل سخاء الإخوة فى مكدونية مع فقرهم العميق محرضاً وحافزاً للإخوة فى كورنثوس ومقاطعة أخائية على السخاء (أنظر ٢ كو ٨ ، ٩) . نقرأ فى غلا ٢ : ٩ و ١٠ أنه عندما ذهب بولس إلى أورشليم ، وعرض الإنجيل الذى يكرز به بين الأمم على المعتبرين أنهم أعمدة هناك ، أعطوه يمين الشركة ليكون للأمم « غير أن نذكر الفقراء . وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله » . أى من تلقاء ذاته قبل أن يشيروا عليه بذلك .

وإرسال خدمة مالية من الإخوة من الأمم إلى فقراء الإخوة من اليهود ، وقبول الإخوة من اليهود هذه الخدمة ، هى ختم على أن المؤمنين من الأمم واليهود واحد فى المسيح — أعضاء فى جسد المسيح الواحد ، يشعر كل عضو بشعور باقى الأعضاء . ما كان يمكن أن يحدث هذا فى العهد القديم ، أن يقبل اليهودى خدمة من الأممى ، كما قالت المرأة السامرية متعجبة « كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا إمرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين » (يو ٤ : ٩) . ولكن ما أعظم نعمة الله فى العهد الجديد ! وربما كان فى إشارة بولس إلى هذا الموضوع هنا ، تلميح للإخوة فى رومية أن يرسلوا هم أيضاً خدمة للفقراء فى أورشليم .

استحسنوا ذلك وإنهم لهم مديونون . لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا فى روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً (ع ٢٧)

سبق أن أشار الرسول فى الأصحاح الحادى عشر إلى أن الأمم زيتونة برية قد طعمت فى الزيتونة الجيدة ، فصاروا شركاء فى أصل الزيتونة ودسمها (ص١١ : ١٧) . ويقول الرسول هنا إنه بما أنهم قد اشتركوا فى روحياتهم ، فيجب أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً . وهو يقول مثل هذا القول بخصوص الذى يتعلم الكلمة والمعلم . « ولكن ليشارك الذى يتعلم الكلمة المعلم فى جميع الخيرات » (غلا ٦ : ٦) . ويقول أيضاً للمؤمنين فى كورنثوس « إن كنا قد زرعنا لكم الروحيات أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات » (١ كو ٩ : ١١) .

فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر ، فسأمضى ماراً بكم إلى أسبانيا . وأنا أعلم أنى إذا جئت إليكم سأجىء فى ملء بركة إنجيل المسيح (ع ٢٨ ، ٢٩)

يعتبر الرسول هنا الخدمة المالية لمساعدة الفقراء « ثمراً » ، ويعتبرها فى رسالة العبرانيين « ذبيحة » ، « ولكن لاتنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ١٣ : ١٦) . وفى رسالة كورنثوس الثانية يعتبرها « نعمة » ، « ليتكم تزدادون فى هذه النعمة أيضاً » (٢ كو ٨ : ٧) . وأيضاً « هذه النعمة المخدومة منا لمجد ذات الرب الواحد » (٢ كو ٨ : ١٩) . ويعتبرها أيضاً « غلات بر » (٢ كو ٩ : ١٠) . ليت الرب يزيدنا فى هذه النعمة وفى هذا الثمر ، وينمى ويكثر غلات برنا لمجد الرب ولسد أعواز المحتاجين . « وأنا أعلم أنى إذا جئت إليكم سأجئ فى ملء بركة الإنجيل » .

كم فى الانجيل من بركات غنية وعظيمة ! وقد ذكر الرسول فى هذه الرسالة شيئاً كثيراً من بركات الإنجيل — بركة التبرير، والسلام مع الله ، والإقامة فى النعمة ، ورجاء مجد الله ، والعتق من سلطان الخطية ، والتمتع ببركات سكنى الروح القدس الذى يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . ما أسمى البركات المبينة فى هذه الرسالة ولاسيما فى الأصحاحين الخامس والثامن ، ولكن هناك بركات أخرى سيجىء بها إليهم عند حضوره شخصياً ، مثل الحقائق السامية الموضحة فى رسالتى أفسس وكولوسى . وكان الرسول واثقاً فى الرب أنه عند حضوره إليهم سيأتى « فى ملء بركة انجيل المسيح » .

فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى فى الصلوات من أجلى إلى الله لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية . ولكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين . حتى أجىء إليكم بفرح بإرادة الله واستريح معكم (ع ٣٠ — ٣٢) .

كان الرسول يصلى فى كل حين لأجل المؤمنين فى كل مكان — الذين رآهم والذين لم يسبق له رؤيتهم بالجسد . وكان يطلب أيضاً فى معظم رسائله من المؤمنين أن يصلّوا لأجله . كان يشعر ، وهو رسول عظيم ، أنه محتاج جداً إلى صلوات المؤمنين من أجله . . وفى هذا تعليم ثمين لنا . فهو يطلب إليهم هنا متوسلا بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح ، وهذه عبارة جميلة ، فالروح القدس الأقنوم الإلهى يحبنا كمحبة الآب والإبن ، وله خدمات عظيمة وجليلة لنا وفينا .

يطلب الرسول إلى المؤمنين فى رومية لا أن يصلوا لأجله فقط ، بل أن يجاهدوا معه فى الصلوات من أجله إلى الله . والجهاد فى الصلاة أمر جميل ،

كان الرب نفسه مثالا فيه لا سيما فى بستان جثسيمانى ، وكان يتصف به أبفراس فى كولوسى إذ يقول عنه الرسول « مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات » (كو ٤ : ١٢) ويذكر الرسول ثلاث نقط محددة للصلاة :

(١) « لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية » . أولئك كانوا يريدون أن يبطشوا به . وكان الرسول شاعراً بذلك ، وقد تنبأ بعض الإخوة عما كان سيقابل الرسول فى أورشليم .

(٢) « لكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين » أى لا يعترض عليها أحد من المؤمنين من الختان .

(٣) « حتى أجىء إليكم بفرح بإرادة الله وأستريح معكم » . كان هذا شوق قلب الرسول . وقد تحقق شوقه فعلا ، فذهب إليهم بفرح فى الروح ، وإن كان بحزن فى الجسد لأنه ذهب مقيداً ومجهداً بعد رحلة شاقة وخطرة فى البحر ، ولكن يقول الوحى إنه لما رأى الإخوة الذين خرجوا لاستقباله « شكر الله وتشجع » (أع ٢٨ : ١٥) .

إله السلام معكم أجمعين . آمين (ع ٣٣)

رأينا فى هذا الأصحاح ، أن الله « إله الصبر » و « إله التعزية » و « إله الرجاء » . ويختم الأصحاح بالله « إله السلام » . وهذا فى غاية المناسبة ، لا سيما مع الكلام السابق .

ولقب « إله السلام » يذكر أيضاً فى الأصحاح التالى (الأخير) ع ٢٠ . وتختتم به أيضاً رسائل تسالونيكى الأولى والثانية والعبرانيين . « وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام » (١ تس ٥ : ٢٣) « ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً من كل وجه » (٢ تس ٣ : ١٦) . « وإله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع ليكملكم فى كل عمل صالح » (عب ١٣ : ٢٠)

ما أجمل هذا ! كم نحن محتاجون ، ونحن فى هذا العالم المضطرب إلى التمتع بسلام الله ، بل إلى « إله السلام نفسه » .

الأصحاح السادس عشر

وإن كان هذا الاصحاح لايحتوى على كثير من التعليم ، ولكنه يحتوى على ملامح جميلة للحياة المسيحية فى الأيام الأولى ، ففيه يرسم الروح القدس صورة حقيقية لعواطف الرسول نحو المؤمنين ، وعواطف المؤمنين من نحو بعضهم البعض ، والأحوال التى كان عليها المؤمنون من إخوة وأخوات والخدمات التى كانوا يؤدونها .

لم يكن الرسول قد زار روما ، ولاخدم هناك كما رأينا آنفاً . ولكنه كان يعرف كثيرين من القديسين هناك ، إذ كان قد تعرف بهم فى جهات أخرى ثم انتقلوا إلى هناك . ومنهم كثيرون ممن آمنوا بواسطته ، وكان يعرف درجة إيمانهم وخدماتهم ، إذ كان بعضهم قد خدم الرسول وتعب معه .

كان الإخوة المؤمنون قلائل فى وسط العالم ، ولكنهم يعرفون بعضهم البعض ، وتربطهم روابط المحبة الأخوية كأعضاء فى الجسد الواحد ، وأفراد فى العائلة السماوية « رعية مع القديسين وأهل بيت الله » .

وهكذا هم المؤمنون دائماً . يأتى بعض الإخوة من بلاد بعيدة ليزوروا إخوتهم ، فلا يشعرون أنهم أجانب عن بعضهم البعض بل كأنهم يعرفون بعضهم من زمن طويل — شعور واحد ، محبة واحدة ، فكر واحد ، ذوق روحى واحد « جميعنا سقينا روحاً واحداً » . رب واحد ، كتاب واحد ، غرض واحد ورجاء واحد . هذا هو صنع الرب يسوع المسيح الذى جاء « لكى يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » .

من ينظر نظرة سطحية إلى هذا الاصحاح ، قد لايرى فيه شيئاً هاماً يستدعى أن يكتب لأجله فى الكتاب المقدس . ولكن هناك فوائد وبركات ثمينة فى كل كلمة دونها الوحى . إن الأسماء المذكورة هنا عزيزة عند الرب .

لم تكن معروفة فى العالم وربما كان بعضهم عبيداً (كما نستدل من أسمائهم) لكنهم أحباء فى الرب ، ويقول عنهم الوحى فى رسالة العبرانيين « وهؤلاء لم يكن العالم مستحقاً لهم » ، لأن لهم قيمة وغلاوة خاصة عندالرب . وعندما نقرأ عنهم هنا نتمنى لو كنا قد عرفناهم شخصياً . لكن لابد أن يأتى الوقت حين نرى كل المؤمنين من كل الأجيال ، الذين سمعنا عنهم والذين لم نسمع عنهم ، سنجتمع بهم فى المجد فى بيت الآب بعدأن نلتقى بهم فى السحب عندما يأتى الرب لأخذ قديسيه اليه . والرب الذى قاد الرسول بولس أن يسجل عنهم بعض كلمات قليلة ، عنده سجل كامل لجميع أعمالهم الصغيرة والكبيرة بل ومقاصدهم وبواعثهم ، وعند كرسى المسيح سينال كل واحد أجره « حتى كأس ماء بارد لايضيع أجره » حتى كلمة رقيقة للتشجيع والبنيان لاينساها الرب « وكلم متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين فى اسمه » .

أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا لكى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً (ع ١ و ٢)

سبق أن عرفنا أن هذه الرسالة كتبها الرسول بولس من كورنثوس ، وكنخريا هى ميناء هام فى كورنثوس ، وقد أرسل الرسول هذه الرسالة مع الأخت فيبى التى كانت مسافرة إلى رومية لبعض شؤونها ، ويكتب فى نهاية الرسالة كأنه خطاب توصية عنها . كانت خطابات التوصية معروفة فى العصر الرسولى ، فيقول : الأخ « الذى أخذتم لأجله وصايا » . وعن آخر يقول « سيحضر عندكم ... اقبلوه فى الرب » . وعندما كان أبلوس فى كورنثوس وذهب إلى أفسس أرسلوا معه خطاب توصية للإخوة لكى يقبلوه لأنه لم يكن معروفاً هناك بالوجه . فخطابات التوصية للإخوة المسافرين من مكان

لآخر كانت متبعة فى العصر الرسولى ، وهى متبعة للآن بين كثيرين من القديسين فى بلاد كثيرة .

والأخت فيبى يقول الرسول عنها « خادمة الكنيسة التى فى كنخريا » . للأخوات خدمات فى الكنيسة ، ويمكن أن تكون الأخوات عاملات ولهن مواهب فى الكنيسة ، ولكن يمارسنها فى حدود المكتوب .

ففى اجتماع المؤمنين معــــاً يقول الرسول « لست آذن للمرأة أن تعلم ولاتتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت » (١تى ٢ : ١٢) وأيضاً «لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة » (١ كو ١٤ : ٣٤و٣٥) . فالأخوات لهن خدمات متنوعة ولكن فى مجالهن الخاص بين النساء والأطفال .

وفيبى كانت خادمة الكنيسة ، وكلمة خادمة تفيد الخدمة المادية ، مثل توصيل مساعدات مالية للفقيرات ، أو ترتيب أمور مادية للكنيسة . ويقول الرسول أيضاً إنها كانت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً . فيمكن للأخوات أن يكن مساعدات لخدام الرب فى أشياء كثيرة . إن المؤمنة عضو فى جسد المسيح ، وكل عضو له عمل ، والرسول يوصى أن يقبلوها فى الرب فى شركة المحبة وفى كسر الخبز . ليس ذلك فقط بل أن يقوموا لها فى أى شىء احتاجته ـ أية خدمة مادية أو أدبية تحتاج اليها فى المهمة التى ذهبت لأجلها ، لأن المؤمنين عائلة واحدة ، يساعدون بعضهم بعضاً فى كل شىء . فهذه الأخت كانت مساعدة للرسول وعندما ذهبت إلى رومية كان على الإخوة هناك أن يكونوا مساعدين لها .

بعد ذلك تأتى التسليمات

سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى اللذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً

جميع كنائس الأمم (ع ٣ و ٤)

نلاحظ أن معظم رسائل بولس كان بها تسليمات كثيرة ، أما رسالة غلاطية فليس فيها تسليمات بالمرة ، لأن الرسول لم يكن مشغولا بالتسليمات بل كان مشغولا بموضوع هام وخطير ، وهو خلط الإنجيل بتعاليم الناموس فكتب لهم كلاماً قاسياً جداً إذ يقول لهم « أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق » . لقد كانت المحبة الأخوية موجودة وهى التى تنذر وتوبخ ولكن لكل شيء وقت ، للتسليم وعلامات الرضى وقت ، وللتوبيخ وقت ، وكل ذلك من المحبة .

« سلموا على بريسكلا وأكيلا » . بريسكلا هى زوجة اكيلا وقد تعرف الرسول بهما لأول مرة فى كورنثوس التى كتب منها هذه الرسالة ، وقد كانا قبل ذلك فى رومية ، ومن كورنثوس ذهبا إلى أفسس وبعد ذلك رجعا إلى رومية ، والرسول يكتب للمؤمنين فى كورنثوس قائلا : إنه لم يثقل على أحد منهم مع أنه له سلطانا كرسول لأن « الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون » ، ولكنه انضم إلى اكيلا وبريسكلا فى صناعة الخيام فسكن معهما واشتغل معهما ، وكان يعيش من هذه الصناعة كما قال « أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان » . وفى تلك الفرصة المباركة شرح لهما الرسول طريق الرب . ثم نقرأ أنهما ذهبا إلى أفسس حيث تقابلا مع أبلوس هناك فأخذاه إلى بيتهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق .

وهنا يأتى الرسول باسم بريسكلا قبل أكيلا ، وفى ٢ تى ٤ : ١٩ يذكر أيضاً بريسكلا أولا وذلك فى التسليمات ، ولكن عندما يتكلم عن خدمتهما يأتى باسم الرجل أولا ، ويذكر الرسول هنا حادثاً لم يذكر قبل ذلك إذ يقول « اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى » ، ونحن لا نعرف شيئاً عن هذه الحادثة ، ولكننا نستنتج أنه فى وقت إقامة الرسول عندهما تعرضت حياتهما للخطر بسببه ، وقد قبلا الخطر ولم يقبلا أن يتركهما الرسول .

« اللذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم » وذلك لأن كنائس الأمم كانت مدينة للرسول لأنه « رسول الأمم » وقد تأسست كنائس الأمم بواسطته . فأكيلا وبريسكلا إذ أنقذا حياة الرسول ، قدما خدمة عظيمة لكنائس الأمم .

وعلى الكنيسة التى فى بيتهما . سلموا على أبينتوس حبيبى الذى هو باكورة أخائية للمسيح (ع ٥)

كانت هناك كنيسة تجتمع فى بيت أكيلا وبريسكلا فى رومية ، وعندما كانا فى كورنثوس كانت هناك أيضاً كنيسة فى بيتهما كما نقرأ فى ١ كو١٦:١٩ ويظهر أن صناعتهما كخياميين كانت تحتاج إلى مكان متسع فكانا يستغلان اتساع المكان لاجتماع الكنيسة هناك . ونرى فى هذا الأصحاح أن آخرين أيضاً كانت هناك كنيسة فى بيوتهم ، حيث يذكر الرسول أسماء بعض إخوة ثم يقول « والإخوة الذين معهم » . وبعد ذلك يأتى بإخوة آخرين ويقول « وعلى جميع الذين معهم » فكانت هناك اجتماعات متعددة فى تلك المدينة الكبيرة بسبب بعد المسافات . وكانت تلك الاجتماعات فى أماكن عادية بسيطة يجتمع فيها المؤمنون للعبادة تحت رئاسة الرب وقيادة الروح القدس .

« سلموا على أبينتوس حبيبى » كلمة حبيبى مذكورة ثلاث مرات فى هذا الأصحاح . هنا ، وفى ع ٨ ، ع ٩ ، فهؤلاء الإخوة كانت لهم علاقة حبية خاصة مع الرسول بولس . صحيح أن جميع المؤمنين يحبون بعضهم البعض « من قلب طاهر بشدة » لكن هناك محبة خاصة وشركة خاصة للبعض ، كما كان للرب يسوع نفسه علاقة خاصة مع يوحنا الذى يدعو نفسه فى إنجيله التلميذ الذى كان يسوع يحبه ، وأيضاً مكتوب عن العائلة المباركة فى بيت عنيا « وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر » هذه محبة خاصة وشركة خاصة .

« الذى هو باكورة أخائية للمسيح » المقصود هنا آسيا وليس أخائية لأن

باكورة أخائية للمسيح بيت استفاناس الذين «رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين» (١ كو ١٦ : ١٥) . أخائية هي المقاطعة التي فيها كورنثوس لكن المقصود هنا آسيا وعاصمتها أفسس ، وكان فيها عدة كنائس . والروح القدس يسجل للأخ أبينتوس هذه الميزة أنه أول مؤمن في تلك المنطقة « باكورة آسيا للمسيح » .

سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً (ع ٦)

هذه الأخت تعبت لأجل الرسول . وهذا التعب ليس منسياً أمام الله ، وعند وقوفنا أمام كرسي المسيح لابد أن تنال هذه الأخت أجرتها كاملة لأجل تعبها .

في ١ أخ ١١ نقرأ عن أبطال داود . كان هناك ثلاثة أوائل يأتي ذكرهم بالترتيب ، الأول أكثرهم شجاعة ثم الثاني ثم الثالث ، وبعدهم يأتي ذكر ثلاثين آخرين ويقول عنهم إنهم لم يبلغوا إلى الثلاثة الأول ويذكر الوحي أشهر أعمال بطولتهم . والرب يسوع المسيح رب داود له أبطال مخفيين ، ليسوا محاربين في العالم ، ولكنهم أبطال في خدمته . ونجد أيضاً قائمة شرف عن أبطال الإيمان في عب ١١ . هم معروفون وأعزاء عند الرب ولا بد أن يأخذوا مكافآتهم .

سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبيَّ المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي (ع ٧)

أنسبائي أي أقاربي حسب الجسد . القرابة الجسدية ليس لها قيمة إلا عندما تكون العلاقة في الجسد وفي الرب معاً . ويقول الرسول عن هذين الأخوين « المأسورين » ليسا بالضرورة مقيدين ولكنهما مأسورين في الرب في خدمته وطاعته .

« اللذين هما مشهوران بين الرسل » و « قد كانا فى المسيح قبلى » أى أن الرسول بولس لم يكن أول واحد فى العائلة آمن بالمسيح بل كان هناك من أقاربه من آمن بالمسيح قبله .

سلموا على امبلياس حبيبى فى الرب . سلموا على أوربانوس العامل معنا فى المسيح وعلى استاخيس حبيبى (ع ٨ ، ٩)

إمبلياس له شركة محبـــة خاصة مع الرسول وكذلك استاخيس ، أما أوربانوس فيصفه قائلا « العامل معنا فى المسيح » . كل واحد بحسب مكانته وخدمته وعمله .

سلموا على ابلس المزكى فى المسيح . سلموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس (ع ١٠).

« أبلّس » شخص آخر خلاف « ابلوس » المذكور فى سفر الأعمال ورسالة كورنثوس الأولى . ويصفه بالقول « المزكى فى المسيح » أى كان له مدح من الرب . ربما اجتاز فى ضيقات وتجارب لأجل الرب «طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة » ، وربما تزكى فى خدمته لله (٢ تى ٢ : ١٥) .

كان أرستوبولوس مؤمناً وكان أهله أيضاً مؤمنين . لا يكفى أن يكون الشخص مؤمناً وحده دون أفراد عائلته ، بل أهم خدمة للمؤمن هى فى وسط أهله الأقربين إليه الذين هو مسئول عنهم « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » جميل أن يقول المؤمن «أما أنا وبيتى فنعبد الرب » .

سلموا على هيروديون نسيبى . سلموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكائنين فى الرب (ع ١١) .

« هيروديون » هو أيضاً من أقارب الرسول حسب الجسد . أما أهل

نركيسوس فيقول عنهم « الكائنين في الرب » . ما أسعد المؤمنين الكائنين في الرب ، هم في تمام القبول أمام الله وفي كمال الأمان « إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة » . ويقول الرسول عن نفسه « أعرف إنساناً في المسيح » وكلمة كائن تعني أيضاً أنه ثابت في الرب .

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب .

سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب (ع ١٢)

قال بعض المفسرين إن هذين الإسمين قد يكونا أسمي جاريتين وما أجمل أن تكونا جاريتين للرب تاعبتين في خدمته .

«سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب » . الكلمة الأولى « تاعبتين » أي مستمرتين في التعب ، لكن يقال عن برسيس إنها تعبت كثيراً في الرب ، فيظهر أنها قد وصلت إلى درجة الضعف ، لذلك يتكلم عن خدمتها الماضية . ويصفها بأنها « محبوبة » أي محبوبة للجميع ، للقديسين وللرسول وللرب . ويتجاسر أن يصفها هكذا لأنها كانت متقدمة في السن . هذه هي الآداب المسيحية ، وهكذا الرسول يوحنا عندما كتب رسالته الثالثة وجهها إلى « غايس الحبيب » . أما رسالته الثانية فوجهها إلى « كيرية المختارة » ولا يقول عنها « المحبوبة » كما كتب إلى غايس . كل شيء في محله .

كان يمكن للرسول بولس أن يضم الأخوات الثلاثة ويقول تريفينا وتريفوسا وبرسيس اللواتي تعبن في الرب ، لكن لكل واحدة درجة من التعب . ولذلك يضيف الروح القدس كلمة « كثيراً » عن الأخت برسيس .

سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي (ع ١٣)

روفس هذا هو ابن سمعان القيرواني الذي كان آتياً من الحقل وسخروه لحمل الصليب خلف يسوع . وقد أعطاه الرب أجرته ، إذ تجددت

زوجته « أم روفس » . نقرأ فى مر ١٥ : ٢١ أن « سمعان القيروانى أبو الكسندرس وروفس » ويقول الرسول عن روفس إنه مختار فى الرب ، وعن أمه أمى . ويظهر أن الرسول تقابل معهم فى وقت ما ، وأن هذه الأم الفاضلة أظهرت له حناناً وعطفاً حتى أنه يسميها « أمه » . قال الرب له المجد « إن من ترك أباً أو أماً . . . فإنه يأخذ فى هذا العالم مائة ضعف آباء وأمهات .

سلموا على اسينكريتس فليفون هرماس بتروباس وهرميس وعلى الإخوة الذين معهم . سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس وعلى جميع القديسين الذين معهم (ع ١٤ ، ١٥)

يذكر الرسول أولا خمسة إخوة يظهر أنهم المتقدمون فى أحد الاجتماعات، ثم يذكر « الإخوة الذين معهم». وبعد ذلك يذكر أخاً وزوجته : فيلولوغس وجوليا ، ثم أخاً وأخته : « نيريوس وأخته » : ثم أخاً بمفرده وبعد ذلك القديسين الذين معهم ويظهر أنهم كانوا يجتمعون معاً فى ناحية أخرى فى روما فكانت هناك كنيسة فى بيت أكيلا وبريسكلا، والخمسة الإخوة والذين معهم، وهؤلاء الخمسة الآخرون والإخوة الذين معهم. وجملة الذين أرسل إليهم الرسول تسليماته فى هذا الأصحاح ثمانية وعشرون، منهم عشرون أخاً وثمانى أخوات ، هذا بخلاف الإخوة الذين معهم ، ولهؤلاء درجات مختلفة من العلاقة والخدمات والأتعاب فى الرب .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة كنائس المسيح تسلم عليكم (ع ١٦) .

القبلة المقدسة كانت علامة المحبة المعروفة فى أيام الكنيسة الأولى . وتذكر أربع مرات ، فى الأصحاحات الأخيرة من رسائل رومية ، وكورنثوس

الأولى وكورنثوس الثانية ، وتسالونيكي الأولى . ويذكرها بطرس أيضاً في رسالته الأولى « سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة » . ونلاحظ أن الرسول بولس يصف القبلة بأنها مقدسة والرسول بطرس يصفها بأنها « قبلة المحبة » ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض .

« كنائس المسيح تسلم عليكم » الروح القدس هو الذى أوحى للرسول أن يكتب هذا ، لأنه هو الذى يعرف قلوب الجميع . أليست هذه صورة جميلة تبين رابطة المحبة التى بين كنائس المسيح فى كل مكان ؟

لكن الشيطان لا يهدأ . فعمل الله جميل : المؤمنون كائنون فى الرب ، والمؤمنات تاعبات فى الرب ، والجميع فى سلام . ولكن يأتى الشيطان لكى يوجد انقسامات وانشقاقات . فيقول الرسول :

وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذى تعلمتموه واعرضوا عنهم (ع ١٧)

لقد اندس بين المؤمنين أشخاص يصنعون الشقاقات والعثرات و « ويل لمن تأتى بسببه العثرات » ويقول الرسول « لاحظوهم واعرضوا عنهم » فلا مجاملة هنا لأنه يوجد داء معد فأفضل شيء هو الابتعاد عنه .

لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء (ع ١٨)

نلاحظ كيف أرشد الروح القدس الرسول أن يكتب هذا للمؤمنين فى رومية قبل أن يذهب إلى هناك . والتاريخ يخبرنا ماذا حدث فى روما بعد ذلك ، إن الكنيسة هناك بدأت تنصرف عن التعليم الصحيح وتقبل تعاليم

الذين أتوا إليهم بالكلام المعسول لكى يخدعوهم إلى أن وصلت روما إلى ما وصلت إليه فى العصور البابوية المظلمة . لقد رأى الروح القدس ذلك من بعيد وحذر المؤمنين منه . ولاشك أن المؤمنين لاحظوا أولئك المعلمين فى البداءة ، لكن مع الوقت زحف عمل الشيطان شيئاً فشيئاً حتى وصلت الكنيسة هناك إلى ماوصلت إليه ، وستتطور إلى الزانية العظيمة المذكورة فى (رؤ ١٧) .

ونلاحظ أن دخول التعاليم الضالة كان بأقوال حسنة أى بأقوال أناس مهذبين ومتعلمين ، وبكلام طيب له مظهر براق وخداع ، ولكن الرب كشف حقيقتهم حتى لايخدع المؤمنون بأقوالهم المزيفة ، وكشف أغراضهم أنهم لايخدمون الرب بل بطونهم ، الذى هو تعليم بلعام — الخدمة لأجل أجرة أو لأجل « الربح القبيح » . وهؤلاء طبعاً غير مؤمنين كما هو مكتوب عن أمثالهم فى فيلبى ٣ « الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم » ، «هؤلاء يخدعون قلوب السلماء . وهذه كلمة جميلة تشف عن الإخلاص ونقاوة القلب . لكن الرب علمنا أن لانكون سلماء فقط ، بل نكون « بسطاء كالحمام وحكماء كالحيات » . حكماء للخير وبسطاء للشر .

لأن طاعتكم ذاعت إلى الجميع . فأفرح أنا بكم وأريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر (ع ١٩)

يخاف الرسول لئلا تتحول هذه الطاعة الظاهرة السليمة التى ذاعت ، تتحول إلى طاعة للمعلمين الكذبة أيضاً . يكفى أن يعرف المؤمن الخير فقط ، ولا يجب أن يدخل إلى أعماق الشر بل يتحفظ منه فى ضوء كلمة الله . بكلام شفتيك تحفظت من طرق المعتنف » . فطالما كلمة الله تسكن فينا فليس من اللازم أن نعرف « أعماق الشيطان » . وفى ١ كو ١١ يقول الرسول « كونوا أطفالا فى الشر وأما فى أذهانكم فكونوا كاملين » .

وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً . نعمة ربنا يسوع المسيح معكم . آمين (ع ٢٠)

الشيطان يريد أن يوجد الشقاقات والعثرات ، لكن لنا إله السلام وهو الأقوى ، وسيسحق الشيطان تحت أرجلنا سريعاً وكلمة سريعاً هنا هي نفس الكلمة التي يقولها الرب في رؤ ٢٢ « ها أنا آتي سريعاً » ، أي أن الرب سيسحق الشيطان تحت أرجلنا عند مجيئه . ولكن الآن ، وإن كان الشيطان لا يسحق تحت أرجلنا ، لكننا نقاومه فيهرب لأن المسيح قد هزمه في الصليب «قاوموا إبليس فيهرب منكم . اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم » (يع ٤ : ٧و٨) فواجبنا الآن أن نقترب إلى الله ، ونقاوم الشيطان . نلبس سلاح الله الكامل لكي نثبت « ضد مكايد إبليس » (أف ٦ : ١١) . إبليس له مكايد لكن لنا سلاح الله الكامل ، ولنا عرش النعمة . وعند مجيء المسيح لابد أن الله سيسحقه تحت أرجلنا سريعاً لقد سحق رأسه في الصليب ولكنه سيسحقه نهائياً عند مجيئه . ونعرف من سفر الرؤيا أنه قبل الملك الألفي سيقيد الشيطان ويطرح في الهاوية . وبعد الملك سيحل زماناً يسيراً ليضل الأمم ، ثم يذهب إلى مصيره الأبدي إذ يطرح في بحيرة النار المعدة له ولملائكته .

يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائي (ع ٢١)

الآن يرسل الرسول سلام الذين معه في كورنثوس . صورة طبيعية جميلة ترينا الجو الذي فيه كان الرسول يكتب هذه الرسالة . كان تيموثاوس ملازماً له وعاملا معه وقد خدم كابن مع أب في الإنجيل . ولوكيوس مذكور في ١ ع ١٣ : ١ حيث يلقب « لوكيوس القيرواني » . وياسون مذكور في ١ع ١٧ : ٥ أنه كان في تسالونيكي وقد ذهب الرسول إلى بيته ، حتى أنهم عندما أتوا ولم يجدوا الرسول بولس جروا ياسون إلى الحكام . وصار

ياسون رفيقاً للرسول . ويقول الرسول عن هذين الاثنين وسوسيباترس « انسبائى » أى أقاربه فى الجسد . وسوسيباترس مذكور فى ا ع ٢٠ويسمى هناك « سوباترس البيرى » .

أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم فى الرب (ع ٢٢)

كأن الرسول يقول للكاتب : أنت تعبت وكتبت هذه الرسالة فاكتب سلامك أيضاً ، وهذا طبعاً بإرشاد الروح القدس . من هـــذا نفهم أن الرسول لم يكن يكتب الرسائل بيديه بل كان يمليها لكاتب ، ويظهر أن ذلك بسبب الشوكة التى فى جسده التى يقول عنها للغلاطيين « تجربتى التى فى جسدى » . وغير ظاهر فى الكتاب نوع هذه الشوكة . ولكن يظن البعض أنها كانت مرضاً فى عينيه ، ويستدلون على ذلك من قوله « لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتمونى » ، وأيضاً « ما أكبر الأحرف التى كتبتها إليكم بيدى » . فقد كان معتاداً أن يكتب السلام بيده فى نهاية كل رسالة كما يقول فى ٢ تس ٣ « السلام بيدى أنا بولس الذى هو علامة فى كل رسالة » .فكان يملى الرسالة للكاتب وفى النهاية يكتب السلام بيده لكى لا يزور أحد الرسائل كما يقول « لا ترتاعوا بكلمة ولا برسالة كأنها منا » (٢ تس ٢ : ٢) .

يسلم عليكم غايس مضيفى ومضيف الكنيسة كلها . يسلم عليكم أراستس خازن المدينة وكوارتس الأخ (ع ٢٣)

يظهر أن الرسول كتب هذه الرسالة فى بيت غايس أو على الأقل كتب الفصل الأخير منها هناك ، فأرسل سلام صاحب البيت مضيفه ، بل ومضيف الكنيسة كلها . لقد كان قلب هذا الأخ مفتوحاً لإضافة المؤمنين بسخاء ومحبة

ويرد إسم هذا الأخ مرة ثانية فى ١ كو ١ : ١٤ عندما يقول الرسول « إنى لم أعمد أحداً منكم إلا كريسبس وغايس » فمن هذا نفهم أن الرسول قد عمّده فى كورنثوس : ويوجد شخص بهذا الاسم كتب إليه الرسول يوحنا

رسالته الثالثة يقول « أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنعه إلى الإخوة وإلى الغرباء » . وربما يكون هو نفس غايس المذكور هنا . وسبقت الإشارة إلى فضيلة إضافة الغرباء فى الأصحاح الثانى عشر .

« يسلم عليكم أراستس خازن المدينة » كانت لهذا الأخ وظيفة كبيرة فى الحكومة . لكننا نقرأ عنه فى سفر الأعمال أنه كان يخدم الرسول . فمع أنه كان ذا مركز كبير ولكننا نقرأ أن الرسول « أرسل اثنين من الذين يخدمونه تيموثاوس وأراستس » (أع ١٩ : ٢٢) . ويذكر اسمه أيضاً فى رسالة تيموثاوس الثانية « أراستس بقى فى كورنثوس » (٢ تى ٤ : ٢٠) :

« وكوارتس الأخ » هذا لقب جميل « أخ » . ربما لم تكن له خدمة ظاهرة لكن يكفى أنه أخ . هذا امتياز كبير . كلمة « كوارتس » معناها رابع و « ترتيوس » معناها ثالث ، وربما كانت هذه أسماء عبيد فليكن ولكنهم مؤمنون وإخوة . وهكذا نرى أناساً لهم مركز فى الحكومة ، وآخرين عبيداً ولكن كلهم واحد فى المسيح « حيث ليس عبد وحر » .

نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين (ع ٢٤)

هل كانوا يحتاجون إلى نعمة ربنا يسوع المسيح ؟ نعم . سيما وأنهم كانوا معرضين للانقسامات والعثرات . وهكذا نحن ، ولاسيما فى هذه الأيام الأخيرة نحتاج إلى نعمة ربنا يسوع المسيح . وهذه هى العلامة المميزة لرسائل بولس

وللقادر أنه يثبتكم حسب انجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب اعلان السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية (ع ٢٥) .

فى ختام الرسالة نجد تسبيحة جميلة . سبق أن رأينا فى ختام القسم التعليمى فى آخر الأصحاح الثامن نغمة عالية منتصرة « من سيفصلنا عن محبة المسيح فانى متيقن أنه لاموت ولا حياة ولا ملائكة ولارؤساء ولا قوات ولا أمور

حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولاعمق ولاخليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » وفى ختام القسم التدبيرى يهتف الرسول قائلا يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ... له المجد إلى الأبد آمين » (ص ١١ : ٣٣ — ٣٦) وهكذا ينتهى القسم التدبيرى بأنشوده وتنتهى الرسالة كلها بتسبيحة للرب . عند مجىء الرب سيسحق الشيطان تحت أرجلنا ، لكن إلى أن يجىء ، هو وحده القادر أن يثبتنا . ورسالة يهوذا تختم أيضاً بمثل هذه التسبيحة « والقادر أن يحفظكم غير عاثرين » ثم يقول « حسب إنجيلى والكرازه بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية » هذا السر ليس هو موضوع هذه الرسالة ولكننا نجده فى رسالة أفسس . أما هنا فيربط الإنجيل بالسر فكانت هذه تهيئة للأذهان لقبول هذا السر العظيم الذى نجده موضحاً بالتفصيل فى رسالتى أفسس وكولوس اللتين كتبهما الرسول فى سجن رومية . وفى كو ١ يتكلم الرسول عن نفسه كخادم لانجيل الله ثم كخادم للكنيسة .

ولكن ظهر الآن واعلم به لجميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان (ع ٢٦) .

الكتب النبوية المشار إليها هنا هى أسفار العهد الجديد لأن كتب العهد القديم ليس فيها هذا السر .

لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين (ع ٢٧)

بهذه التسبيحة الجيلة يختتم الرسول هذه الرسالة العظيمة التى تحتوى على حقائق الإيمان الأساسية . ونحن بدورنا ، سيما ونحن من الأمم نضم صوتنا مع الرسول وننشد للرب بهذه التسبيحة من أعماق قلوبنا .

رقم الإيداع ٤٣٩٥ لسنة ١٩٧٢